

الصراط

لِمَوْلَانَا الصَّادِقِ عَزَّعِزُهُ

بِرَوَايَةِ الْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ مِنْهُ السَّلَامُ وَإِلَيْهِ التَّسْلِيمُ



الصَّراطُ

لِمَوْلَانَا الصَّادِقِ عَزَّ عِزُّهُ

رِوَايَةُ الْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ مِنْهُ السَّلَامُ

اعداد وتحقيق

كتيبة محمد بن نصير العقائدية

طبعة الكتيبة الاولى للكتاب

٣ صفر ١٤٤٧ هـ

٢٩ / ٧ / ٢٠٢٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

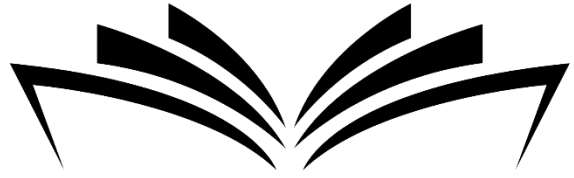
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِنَّا نَعْبُدُكَ

نَسْتَغِيثُ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ

غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ



مكتبة كتيبة

محمد بن نصير العقائدية

تنويه عام

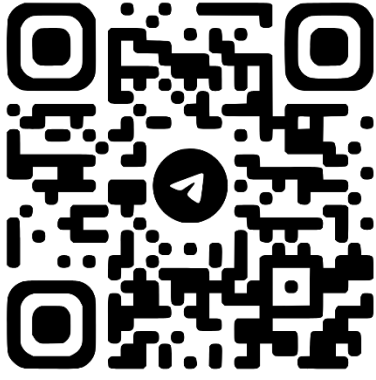
- النصوص والروايات الواردة عن موالينا جل جلالهم واصحابهم تمثل منهجنا ومصدر عقائدنا.
- أما الآراء والتفسيرات الواردة في الكتب التي ننشرها فتعبر عن وجهة نظر المؤلف بالمقام الأول ولا تعكس بالضرورة موقف المكتبة الفكري والعقائدي، ولا تعني مخالفتنا لها أيضا.

ملاحظة

الكتب التي ننشرها المكتبة أما من تحقيق وإعداد مكتبة الكتيبة كاملاً، أو المكتبة تقوم بإعادة نشرها فقط بعد تعديلات بسيطة، وسيشار لهذا في مقدمة الكتب

حقوق النشر

شروط الاستخدام أو إعادة النشر:
"يجوز إعادة نشر واستخدام الكتاب بشرط عدم التغيير أو التلاعب به، والنسخة الأصلية هي النسخة التي تصدر من موقع وحسابات الكتيبة الرسمية"



لتحميل باقي الكتب على حساب التليجرام

@ali_ali_ali110



زورونا على بقية مواقعنا

[اضغط هنا](#)

كتيبة محمد بن نصير العقائدية



[اضغط هنا](#)

كتيبة محمد بن نصير العقائدية



[اضغط هنا](#)

كتيبة محمد بن نصير العقائدية



[اضغط هنا](#)

كتيبة محمد بن نصير العقائدية



[اضغط هنا](#)

كتيبة محمد بن نصير العقائدية



الإهداء

إلى الأرواح التي ظمئت فلم تَرَوْ إِلَّا من ينابيع المعنى الصافي
وإلى العقول التي ما قنعت بقشور الظواهر ولا برحيق زائف جاف
بل غاصت في لجج الفكر، تبحث عن جواهر الحق الخفاف

إلى طلاب الحقيقة، من جعلوا السؤال محراباً
والتأمل سلماً يرتقى به إلى أبواب المعرفة والألباب

وإلى المؤمنين
الذين ما ركنوا إلى تقليد آباء أو سُكون يقين
بل ساروا بنور البصيرة، يهتدون بالفطرة، ويستنيرون بنور المتين

إليكم أهب هذا الكتاب
قبساً من فكر طيب، ونبضاً من قلب مُجاب
لعل فيه للباحث عون، وللساعي سلوان
وللفؤاد المحب برهان واطمئنان

الفهرس

- سؤال العارفين للمولى عن الصراط ١
- عدد أجزاء الكتاب ٧
- الأمر والتّهي: ١٠
- فصل معنى الصراط: ٢٠
- باب العقبات ومنازلها ٢٧
- عقبة المخلص: ٢٨
- عقبة المختص: ٢٨
- عقبة التجيب: ٢٩
- عقبة التقيب: ٢٩
- عقبة اليتيم: ٣٠
- عقبة الباب: ٣١

ظُهُورُ الْإِسْمِ: ٣٢

صَاحِبُ الْكُرَةِ الْوَاحِدَةِ: ٣٧

زِيَارَتُهُ لِأَهْلِ الْبَشَرِيَّةِ: ٣٩

دِقَّةُ الصَّرَاطِ: ٤٠

حِدَّةُ الصَّرَاطِ: ٤٣

الصَّرَاطُ بَعْدَ غَيْبَةِ الْبَابِ: ٤٨

اسْتِقْرَارُ دَعْوَةِ إِبْلِيسَ: ٥٤

نَفْسُ الْمُؤْمِنِ: ٥٥

اللِّسَانُ الْمَعْبَرُ: ٥٦

عَدْلُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ: ٥٩

بَابُ ذِكْرِ نُقْلَةِ الْمُوَافِقِ وَالْمُخَالِفِ وَمَا يُعَايِنَانِ مِنْ أَشْخَاصِ الْحَقِيقَةِ ٦٢

الْبَشَرِيَّةُ وَالْمَسُوخِيَّةُ: ٦٤

أَنْوَاعُ الْمَسُوخِيَّاتِ: ٦٥

- أَحْوَالُهُمْ فِي الْمَسُوحِيَّةِ: ٧١
- أَجْنَاسُهَا وَنَعَوْتُهَا: ٧٤
- حَدِيثُهُ عَنِ السَّمَوَاتِ: ٨٢
- كُلُّ سَمَاءٍ هِيَ سَلْمَانُ: ٨٣
- الْمَحَدَّثُ نَفْسَهُ: ٨٤
- مُرَافَقَةُ الْمَوْلَى لَهُمْ: ٨٦
- الِاخْتِبَارُ: ٨٧
- بَابُ الْقَوْلِ فِي الْإِخْتِبَارِ وَمَعْرِفَتِهِ ٨٩
- التَّمَسُّكُ بِالْإِقْرَارِ وَتَرْكُهُ: ٩٩
- بَابُ فِي مَعْرِفَةِ قَوْلِهِ: يَدْخُلُ فِي هَذَا الْأَمْرِ ابْنُ ثَمَانِينَ ١٠٥
- التَّزَايُدُ فِي الْمَعْرِفَةِ وَالتَّقْصَانُ فِيهَا: ١١٠
- التَّنَاقُضُ: ١١٢
- بَابُ التَّجَلِّيِّ ١١٤

بَابُ مَعْرِفَةِ الْكَوْنِ وَالتَّكْوِينِ وَالتَّجَلِّي ١٢٠

بَابُ الظُّهُورَاتِ وَالدَّعْوَةِ الْأُولَى فِي الْإِجَابَةِ وَالْإِنْكَارِ ١٢٣

أَقْوَالُهُمْ عِنْدَ غَيْبَةِ الْمَوْلَى: ١٢٣

الْإِدَالَةُ: ١٢٨

وُقُوفُ الْمُتَحَيِّرِينَ: ١٢٩

ظُهُورُ الْمَقَامَاتِ: ١٣٢

التَّاطِقُ الصَّامِتُ: ١٣٣

هَذَا أَصْلُ الصَّرَاطِ: ١٣٤

بَابُ إِبْلِيسَ وَقَبِيلِهِ وَذُرِّيَّتِهِ ١٣٨

رَتَبَ أَهْلُ الْإِقْرَارِ وَالتَّوْحِيدِ: ١٤٠

بَابُ مَعْرِفَةِ الْقُمْصَانِ التَّيَّرةِ وَالْمُظْلِمَةِ ١٤٣

بَابُ مَعْرِفَةِ الْهَيَاكِلِ ١٤٥

الْبَشَرُ الْمَنْسُوبُونَ إِلَى الْمَعْنَى: ١٤٩

الْحَيْلُ: ١٥١

الْعِبَادَةُ سِرًّا: ١٥٤

مَعْرِفَةُ الْقُدْرَةِ: ١٥٥

حَالُ سَلَفٍ: ١٦١

مِنْ أَيْنَ تَفَرَّقَتِ الْأُمَّةُ: ١٦٤

بَابُ مَعْرِفَةِ تَفْسِيرِ السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ١٦٨

بَابُ إِرَادَةِ الْمَوْلَى وَابْتِدَائِهِ الْمُلْكَ ١٧١

الْمُسُوخِيَّةُ تَأْخُذُ بِأَوْتَارِهَا وَحُقُوقِهَا: ١٧٢

حَالُ الْمُؤْمِنِينَ فِي ذَلِكَ وَخَلَاصِهِمْ مِنْهُ: ١٧٥

بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْيَهُودِ: ١٨١

مَعْرِفَةُ مَنْ ظَاهِرُهُ بَشَرٌ وَبَاطِنُهُ مَسْخٌ ١٨٣

كتاب الصراط

هُوَ كِتَابُ لُبَابِ اللَّهِ الْأَعْظَمِ الْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ الْجُعْفِيِّ مِنْهُ السَّلَامُ وَهُوَ
 أَحَدُ كُتُبِ الْأُصُولِ الَّتِي وَصَلَتْ إِلَيْنَا مِنْ أَصْحَابِنَا رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ.

يَحْتَوِي هَذَا الْكِتَابُ عَلَى مَفَاهِيمَ عِدَّةٍ مِنْهَا مَعْنَى شَرْحِ الصَّرَاطِ
 الْحَقِيقِيِّ وَدَقَّتِهِ وَوَصْفِهِ وَسَيْرِ الْمُؤْمِنِ فِي طَرِيقِهِ الْمَعْرِفِيِّ وَمُرُورِهِ عَلَى
 الْعَقَبَاتِ لِلتَّخَلُّصِ مِنَ الْأَجْسَادِ اللَّحْمِيَّةِ الدَّمَوِيَّةِ وَمَفَاهِيمِ الْمَرَاتِبِ
 وَالدَّرَجِ وَظُهُورِ الْبَارِي **جَلَّ وَعَلَا** فِي كُلِّ كَوْرٍ وَدَوْرٍ وَكَيْفَ كَانَ ظُهُورُهُ
 وَشَرْحَ مَفْهُومِ النَّسُوخِيَّةِ وَالْمَسُوخِيَّةِ وَالرُّسُوخِيَّةِ وَالْفَسُوخِيَّةِ.

هُوَ ضَمْنَ مَا أَخْبَرَ بِهِ مَوْلَانَا جَعْفَرُ الصَّادِقُ **عَزَّ عِزُّهُ** لِلْمُفَضَّلِ مِنْهُ
السَّلَامُ: اَكْتُبْ وَبُتَّ عِلْمَكَ فِي إِخْوَانِكَ، فَإِنْ مِتَّ فَأُورِثْ كُتُبَكَ
 بَنِيكَ، فَإِنَّهُ يَأْتِي النَّاسَ زَمَانٌ هَرَجٌ لَا يَأْنُسُونَ فِيهِ إِلَّا بِكُتُبِهِمْ^(١).

سُؤَالُ الْعَارِفِينَ لِلْمَوْلَى عَنْ الصِّرَاطِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَوَاهُ الشَّيْخُ أَبُو الْحُسَيْنِ مُحَمَّدُ بْنُ الْهَذَرِيِّ، عَنِ الشَّيْخِ الثَّقَةِ أَبِي
 الْحُسَيْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْجَلِيِّ، عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ بْنِ
 حَمْدَانَ الْخُصَيْبِيِّ شَرَّفَ اللَّهُ مَقَامَهُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَنْصُورٍ
 الْبَغْدَادِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو الْحُسَيْنِ ^(١) عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ، قَالَ: حَدَّثَنِي
 أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ الْبَرَّازُ، عَنْ سُرَاقَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ
 الْقُمِّيَّ، عَنْ مَا هَانَ الْأُبُلَى ^(٢)، عَنْ يُونُسَ بْنِ ظَبْيَانَ، عَنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ
 عَمْرِ **مِنْهُ السَّلَامُ**، أَنَّهُ قَالَ: سَأَلْتُ مَوْلَايَ جَعْفَرَ الصَّادِقَ الْوَعْدَ **عَزَّ**
عِزُّهُ، وَقَدْ حَضَرَ عِنْدَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ وَالْإِقْرَارِ، يَسْأَلُونَهُ عَنْ
 مَعْرِفَةِ الصِّرَاطِ وَشَرْحِ بَاطِنِهِ وَبَيَانِ نَعْتِهِ.

^(١) في نسخة أخرى: الحسين.
^(٢) ماهان الأبلَى. الأبلَى: نسبة إلى أبلَّة، والأبلَّة: بلدة على شاطئ دجلة البصرة في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة. (معجم البلدان: الأبلَّة). أما الإبلَى أو الإيلي: أي ذو إيل.

فَقَالَ مَوْلَايَ: يَا مُفَضَّلُ، عَمِيَ ^(١) الْخَلْقُ عَنْ مَعْرِفَةِ الْبَارِي فَكَيْفَ لَا
 يَعْمُونَ عَنِ الْأَوْصَافِ وَالنُّعُوتِ؟ وَذَلِكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ ^٣
 بِالْمَعْنَى أَشَدَّ بَصِيرَةً وَأَشَدَّ تَفَرُّسًا، وَأَوْجَدَ ^(٢) اخْتِبَارًا مِنْهُ بِظَنِّ نَفْسِهِ
 وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ظَهَرَ لَخَلْقِهِ بِالنُّورَانِيَّةِ وَأَظْهَرَهُمْ بِهَا وَأَوْجَدَهُمْ
 نَفْسَهُ، وَدَلَّاهُمْ عَلَى ذَاتِهِ فَنَاجَاهُمْ خِطَابًا وَاضِحًا وَنُطْقًا بَيِّنًا عَيَانًا
 وَإِيجَادًا وَوُجُودًا، وَعَرَّفَهُمْ أَنَّهُ الْخَالِقُ لَهُمْ، فَقَالَ وَقَوْلُهُ الْحَقُّ: ﴿أَلَسْتُ
 بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ ^(٣) وَكَانَ ذَلِكَ السُّؤَالُ اخْتِبَارًا اخْتَبَرَهُمْ بِهِ هَلْ
 يَعْرِفُونَهُ وَإِنَّمَا قَالَ لَهُمْ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ كَمَا صَحَّ ذَلِكَ لَكُمْ فَقَالُوا:
 بَلَىٰ، أَجَابُوهُ بِسَبْقِ مَعْرِفَتِهِمْ وَإِقْرَارِهِمْ لَهُ قَبْلَ السُّؤَالِ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ
 تَعَالَى لَمْ يَكُنْ لِيَسْأَلَ مَنْ لَمْ يَعْرِفُوهُ وَيُعَايِنُوهُ وَيُقَرُّوا بِهِ، فَيَقُولُ:
 أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ وَإِنَّمَا كَانَ هَذَا السُّؤَالُ عَنْ مَعْرِفَةٍ مُتَقَدِّمَةٍ، وَلَوْلَا
 ذَلِكَ لَكَانُوا مِنَ الْعَمَى عَنْهُ، وَالشَّكَّ فِيهِ، وَالتَّأَخَّرَ عَنِ الْإِجَابَةِ لَهُ
 وَالْإِقْرَارِ بِهِ، وَهُمْ ذُرُوفُ فِي النُّورِ، أَشَدَّ تَيِّهًا وَحَيْرَةً بِهِ مِنْهُمْ عِنْدَ ^(٤) ظُهُورِهِ

^١ في نسخة أخرى: عميت ثم صححها فوق الكلمة: عمو
^٢ أوجد: تأتي بمعاني مختلفة. وهنا تأتي بمعنى (أقوى) وأكثر إصرارًا على معرفة الحق.
^٣ الأعراف. الآية ١٧٢
^٤ في نسخة أخرى: عن

بِالْبَشَرِيَّةِ، لَمَّا أَظْهَرَ لَهُمُ الْأَفْعَالَ وَأَوْجَدَهُمْ أَنَّهُ كُهُمٌ^(١)، وَأَنَّهُ مَوْلَاهُمْ
 وَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِقْرَارِ بِهِ كَمَا أَقَرُّوا بِهِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَقَدْ أَظْهَرَ
 اللَّاهُوتِيَّةَ الْعُظْمَى وَالتُّورَانِيَّةَ الْبَاهِرَةَ.

فَلَمَّا اشْتَكَلَ عَلَيْهِمُ الْحَالَانِ، صَدَّ عَنْهُ الْعَالَمُ الْمَنْكُوسُ، وَنَسَبُوا
 أَفْعَالَهُ إِلَى السَّحْرِ وَالْكَهَانَةِ، لِأَنَّهُمْ عَرَفُوهُمَا وَعَرَفُوا بَاطِنَهُمَا وَنَعْتَهُمَا
 وَآيَةَ حُجَّةٍ تُلْزِمُ الْعَالَمَ فِي مَعْرِفَةِ السَّحْرِ وَالْكَهَانَةِ، وَمِنْ أَيْنَ تَأَصَّلَا
 وَعَلَامَ تَفَرَّعَا وَإِلَامَ تَأَوَّلَا.

اِعْلَمْ يَا مُفَضَّلُ، أَنَّهُ مَا قَامَ لِلَّهِ مَقَامٌ مِنْ ظُهُورِ آدَمَ إِلَى السَّيِّدِ
 مُحَمَّدٍ، إِلَّا وَخَاطَبَهُ هَذَا الْعَالَمُ بِأَنَّهُ سَاحِرٌ وَكَاهِنٌ، وَكَانَ مِنْ زِيَادَةِ ذَلِكَ
 قَوْلُ الْمَلَائِكَةِ لَهُ بِزَعْمِهِمْ، وَالْمَلَائِكَةُ لَمْ تَقُلْ ذَلِكَ، لِأَنَّ هَذَا تَبْدِيلُ

^١ عن جابر بن يزيد الجعفي منه السلام قال مولانا الباقر عز عزه: الحمد لله الذي تراءى لخلقه كخلقه، فهو غير رؤيته ورؤيته غيره. (التجريد للطوباني) للمعنى سبحانه جهتين، الجهة الأولى جهة بشرية جانس خلقه بنفسه وأظهر نفسه كهم، والجهة الثانية هي الغيبية الذي لم يطلع عليها أحد من الخلق وهو قوله باطني غيب منيع لا يدرك وهو منزّه عن مجانسة مخلوقاته، فالرؤيا كهم فهي من جهة البشرية حين رأوه بصورهم.

فِي الْكِتَابِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ
 الدَّمَاءَ؟﴾^(١) وَالْفَسَادُ أَرَادَ بِهِ السَّحْرَ وَالْكَهَانَةَ.

وَكَذَلِكَ كَانَ مِنْ قَابِيلَ مَعَ هَابِيلَ حِينَمَا قَرَّبَا الْقَرَابِينَ، فَتُقَبَّلَ
 مِنْ هَابِيلَ وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنْ قَابِيلَ فَقَالَ قَابِيلُ لِهَابِيلَ: إِنَّكَ لَسَاحِرٌ
 سَحَرْتَ النَّارَ حَتَّى أَحْرَقْتَ قُرْبَانَكَ وَسَحَرْتَهَا حَتَّى لَا تَمَرَ^(٢) بِقُرْبَانِي
 فَحَسَدَهُ وَنَسَبَهُ لِلْسَّحْرِ، فَقَتَلَهُ، وَهَكَذَا كَانَ لِشِيثَ، وَنُوحَ، وَإِبْرَاهِيمَ
 وَمُوسَى وَعِيسَى، وَمُحَمَّدٍ، وَكُلُّ مَا بَيْنَهُمْ مِنَ الظُّهُورَاتِ الَّتِي ظَهَرَتْ
 بِالنُّبُوَّةِ وَالرَّسَالَةِ، مَا رَمَوْهُمْ فِيهَا بِغَيْرِ السَّحْرِ وَالْكَهَانَةِ، وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ
 تَعَالَى بِذَلِكَ عَنْهُمْ، وَبَيَّنَّهُ فِي الْكِتَابِ.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾^(٣)

^(١) البقرة. الآية ٣٠.
^(٢) في نسخة أخرى: لا تحرق قرباني.
^(٣) الأعراف. الآية ١٠٩.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكَ مِنْ أَرْضِكَ بِسِحْرِهِمَا﴾^(١)، وَقَوْلُهُ: ﴿إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾^(٢)، وَقَوْلُهُ: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرٍ﴾^(٣)

وَقَوْلُهُ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾^(٤)، وَقَوْلُهُ: ﴿لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ﴾^(٥)

فَهَذَا يَا مُفَضَّلُ، مِنْ صِحَّةِ عَزْمِهِمْ وَثَبَاتِهِمْ عَلَى الْجُحُودِ وَالْكُفْرِ بِكُلِّ مَا أَظْهَرَهُ لَهُمْ فِي الْبَشَرِيَّةِ مِنَ الظُّهُورَاتِ وَالْمَقَامَاتِ، لِأَنَّهُمْ قَدْ أَصَرُّوا عَلَى جُحُودِهِمْ وَكُفْرِهِمْ بِهَا، فَلَا يَرْجِعُونَ عَنِ اعْتِقَادِهِمْ وَكُفْرِهِمْ وَجُحُودِهِمْ.

^١ طه . الآية ٦٣
^٢ الذاريات . الآية ٥٢
^٣ القصص . الآية ٣٦
^٤ الفرقان . الآية ٤
^٥ القصص . الآية ٤٨

عَدَدُ أَجْزَاءِ الْكِتَابِ:

ذَلِكَ وَآيَاتُ فِي الْكِتَابِ كَثِيرَةٌ فِي السَّحْرِ يَطُولُ عَلَيْكُمْ شَرْحُهَا
 مَا تَعْلَمُونَ مَا هِيَ وَمَا وَصَفُهَا، لِأَنَّ مَا فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ جُزْءٌ
 مِنْ سِتِّينَ جُزْءًا، وَإِنَّ السَّتِّينَ جُزْءًا هِيَ جُزْءٌ مِنْ سِتِّمِائَةِ جُزْءٍ، وَإِنَّ
 السَّتِّمِائَةَ جُزْءٌ هِيَ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةِ آلَافِ جُزْءٍ، وَإِنَّ السَّتَّةَ آلَافَ جُزْءٍ هِيَ
 جُزْءٌ مِنْ سِتِّينَ أَلْفِ جُزْءٍ، وَإِنَّ السَّتِّينَ أَلْفَ جُزْءٍ هِيَ جُزْءٌ مِنْ سِتِّمِائَةِ
 أَلْفِ جُزْءٍ، وَإِنَّ السَّتِّمِائَةَ أَلْفِ جُزْءٍ هِيَ جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءٍ لَا تُحْصَى، وَلَا
 نِهَآيَةَ لَهَا، وَلَا عَدَدَ لَهَا، وَلَا آخِرَ لَهَا، كَمَا قَالَ تَبَارَكَ اسْمُهُ وَتَعَالَى:
 ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ
 رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾^(١)

فَإِذَا كَانَ هَذَا وَصْفُهُ، فَمَا يَكُونُ آخِرُهُ، وَأَيْنَ تَكُونُ نِهَآيَتُهُ، وَهَلْ
 يُدْرِكُ كُنْهَهُ؟ وَذَلِكَ أَنَّ الْكَلَامَ بَدْءُهُ مِنَ الْمُتَكَلِّمِ، فَإِنْ وَجَدْتَ لِلْمُبْتَدِي
 ابْتِدَاءً وَجَدْتَ لِلْكَلامِ أَوَّلًا، وَإِنْ وَجَدْتَ لِلْمُبْتَدِي انْتِهَاءً، وَجَدْتَ



لِلْكَلامِ آخِرًا، فَاعْقِلْ هَذَا يَا مُفَضَّلْ وَلْيَعْقِلْهُ مَنْ سَمِعَهُ مِنْ أَهْلِ
 التَّوْحِيدِ وَالْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّهُ لَيْسَ فِيهِ لِمَ، وَلَا كَيْفَ، وَلَا مَا
 وَإِنَّ مِنْ قَوْلٍ: لِمَ وَكَيْفَ وَمَا هَلَكَ الضَّالُّونَ وَتَاهَ الشَّاكُونَ.

وَاعْلَمْ يَا مُفَضَّلْ، أَنَّهُ مَا قَامَ لِلَّهِ مَقَامٌ فِي الْبَشَرِيَّةِ بَيْنَ هَذَا
 الْخَلْقِ فِي سَائِرِ الدُّهُورِ وَالْأَكْوَارِ، وَالْأَدْوَارِ وَالْأَعْصَارِ، إِلَّا وَقَدْ وَصَفُوا
 أَفْعَالَهُ بِالسَّحْرِ وَالْكَهَانَةِ، وَجَحَدُوهُ بِهَا إِلَى ظُهُورِ السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ **عَزَّ عِزُّهُ**،
 فَإِنَّهُ بَهَرَهُمْ بِالْأَفْعَالِ الْبَاهِرَاتِ وَالْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ، وَالذَّلَائِلِ الْوَاضِحَاتِ
 وَأَوْجَدَهُمْ إِيَّاهَا سَمَاوِيَّةً وَأَرْضِيَّةً فَأَحْيَا الْمَوْتَى وَأَمَاتَ الْأَحْيَاءَ، كَمَا
 وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي قَوْلِهِ **جَلَّ ذِكْرُهُ**: ﴿وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾^(١) وَأَرَاهُمْ^(٢)
 فِي السَّمَاوَاتِ آيَاتٍ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٍ بَهَرَهُمْ بِهَا، بَعْدَ رَمِيهِمْ إِيَّاهُ
 بِالسَّحْرِ، ثُمَّ أَنَّهُ أَوْجَدَهَا فِي أَشْخَاصٍ أَقَامَهَا مَقَامَ الْإِمَامَةِ بَعْدَ مَا عَدَلَ
 بِهَا عَنِ التُّبُوَّةِ وَكَانُوا يَنْسُبُونَ الْأَنْبِيَاءَ فِي مَقَامَاتِهِمْ إِلَى السَّحْرِ، إِذَا
 أَظْهَرُوا الدَّعْوَةَ وَالشَّرِيعَةَ وَكَانُوا يَقُولُونَ: إِنَّ هَؤُلَاءِ يَدْعُونَنَا إِلَى الْقَوْلِ

^١ آل عمران . الآية ٥٦
^٢ في نسخة أخرى: فأراهم. أي جعلهم يزرون.

بِهِمْ وَالتَّصَدِيقِ بِسِحْرِهِمْ!! فَلَمَّا أَظْهَرَ مِثْلَ ذَلِكَ فِي مَقَامَاتِ الْإِمَامَةِ
 بِغَيْرِ شَرِيعَةٍ وَلَا دَعْوَةٍ، رَمَوْا بِالْكُفْرِ كُلَّ مَنْ قَبَلَ ذَلِكَ وَسَلَّمَ بِهِ، وَقَالُوا
 فِيهِمْ: إِنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّ الْإِمَامَ الَّذِي أَتَى بِهِذِهِ الدَّلَائِلِ الْوَاضِحَاتِ
 وَالْمُعْجَزَاتِ الْبَاهِرَاتِ رَبٌّ، فَزَادَتْ رُتْبَةُ الْإِمَامِ عَلَى رُتْبَةِ النَّبِيِّ الَّذِي
 رَمَوْهُ بِالسَّحْرِ وَالْكَهَانَةِ، وَرَمَوْا مَنْ أَجَابَهُ بِأَنَّهُ قَدْ قَبَلَ سِحْرَهُ، وَأَمَنَ
 وَصَدَّقَ بِهِ، وَرَمَوْا الْإِمَامَ بِأَنَّهُ ادَّعَى الرُّبُوبِيَّةَ، وَأَنَّ مَنْ أَجَابَهُ فَقَدْ عَبَدَهُ
 وَكَفَرَ بِاللَّهِ.

فَاَنْظُرْ يَا مُفَضَّلُ إِلَى هَاتَيْنِ الْمَنْزِلَتَيْنِ فِي الْعَالَمِ، وَذَلِكَ أَنَّ مَوْلَاكَ
 لَمْ يُظْهِرْ فِيهِمْ ذَلِكَ، وَيُقِيمَ مَقَامَاتِ الْإِمَامَةِ، إِلَّا بَعْدَ الْإِعْذَارِ
 وَالْإِنْذَارِ بِالرُّسُلِ فِي مَقَامَاتِ النُّبُوَّةِ، وَإِثْبَاتِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ، فَلَمَّا قَرُبَ
 كَشْفُ الْغِطَاءِ وَظُهُورُهُ لَهُمْ بِالْمُخَاطَبَةِ الْأُولَى وَالْمُشَاهَدَةِ الْقَائِمَةِ،
 أَظْهَرَ لَهُمْ مَقَامَ الْإِمَامَةِ بَعْدَ النُّبُوَّةِ.

وَهَكَذَا جَرَتْ قُدْرَتُهُ فِي الْأَكْوَارِ وَالْأَدْوَارِ، وَالْأَحْقَابِ وَالْأَعْصَارِ
 عَلَى سُنَّةٍ وَاحِدَةٍ، لَا يَزِيدُ زَمَانٌ عَلَى زَمَانٍ، وَلَا أَوَانٌ عَلَى أَوَانٍ، وَهَذِهِ هِيَ

الْحِكْمَةُ الْقَائِمَةُ الْحَقِيقِيَّةُ، الَّتِي لَا نِهَايَةَ لَهَا، وَلَا بُلُوغَ لِغَايَتِهَا، وَإِنَّ
 ١٠ وُجُودَ الْمَوْجُودِ^(١) مِنْ حَيْثُ عَدَمَ الْمَوْجُودِ، وَإِنَّ الْعَدَمَ مِنْ حَيْثُ وُجُودِ
 الْعَدَمِ وَذَلِكَ لَمَّا بَطَنَ فِي ظُهُورِهِ، ظَهَرَ فِي بُطُونِهِ، وَاحْتَجَبَ فِي كَشْفِ
 ذَاتِهِ فَكَانَتْ الْقُدْرَةُ مِنْهُ جَارِيَةً خَفِيَّةً وَبَادِيَةً، وَعِنْدَ إِعَادَتِهِ لَهَا كَانَ
 الْخَلْقُ الْمَنْكُوسُ عَلَى مِنْهَاجٍ وَاحِدٍ، سَوَاءً عَلَيْهِمْ جُحُودُهُ فِي ظُهُورِهِ
 مَعَهُمْ وَبُطُونِهِ عَنْهُمْ، فَلَا يَعْرِفُونَ شَرِيعَةً وَلَا هُدًى وَلَا حَقًّا
 فَاخْتَبَرَهُمْ بِذَلِكَ مُدَّةَ إِرَادَتِهِ فِيهِمْ، ثُمَّ شَرَعَ الشَّرَائِعَ، وَأَخْبَرَ أَنَّ لِكُلِّ
 شَرِيعَةٍ مِنْهَاجًا وَمَقْصِدًا وَجَزَاءً وَعَطَاءً.

الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ:

ثُمَّ أَبَانَ لَهُمْ فَضْلَ الشَّرَائِعِ، وَوَضَّحَ لَهُمْ تِلْكَ الْمَنَاهِجَ، وَدَلَّاهُمْ عَلَى
 تِلْكَ الْمَقَاصِدِ، وَشَرَحَ الْجَزَاءَ وَأَوْضَحَ الْعَطَاءَ، وَجَعَلَهَا تَجْرِي فِي الْعَالَمِ
 عَلَى حَالَيْنِ لَا غَيْرَ، وَهُمَا: الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ، وَبِهِمَا تَجْرِي كُلُّ طَاعَةٍ
 وَمَعْصِيَةٍ وَإِيمَانٍ وَكُفْرٍ، وَعَدْلٍ وَجَوْرِ، وَحَقٍّ وَبَاطِلٍ، وَأَمْنٍ وَخَوْفٍ، وَهَمٌّ

^١ في نسخة أخرى: الموجد.

وَفَرَجٍ وَعُسْرٍ وَيُسْرٍ، وَشِدَّةٍ وَرَخَاءٍ، وَبُعْدٍ وَقُرْبٍ، وَسِلْمٍ وَحَرْبٍ،
 وَصِدْقٍ وَكَذِبٍ وَحَمْدٍ وَذَمٍّ، وَشُكْرِ وَجَحْدٍ، وَغُفْرَانٍ وَانْتِقَامٍ، وَنَعِيمٍ
 وَعَذَابٍ وَسَعَادَةٍ وَشَقَاءٍ، وَحَيَاةٍ وَمَوْتٍ، وَخَيْرٍ وَشَرٍّ، وَكُلُّ شَيْءٍ يَقَعُ
 مَوَاقِعَ مَا نَعْتُهُ وَوَصَفْتُهُ لَكَ، فَإِنَّهُ يَجْرِي وَيَكُونُ بِقَبُولِ هَذَيْنِ
 الْوَصْفَيْنِ، وَهُمَا الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ فَمَا كَانَ مِنْ أَمْرٍ أَمَرَ اللَّهُ بِهِ فَاسْتَنْتَهُ
 الْعَالَمُ وَصَارُوا يَأْتِمِرُونَ بِهِ، كَانَ لَهُمْ عَلَيْهِ الْعَطَاءُ، وَكَانَتْ لَهُمُ الْمَنَازِلُ
 الْمَحْمُودَةُ فِي هَذِهِ النُّعُوتِ وَمَا كَانَ مِنْ نَهْيٍ نَهَى اللَّهُ عَنْهُ فَأَتَوْهُ عِنَادًا
 وَلَمْ يَقْبَلُوهُ كَانَ لَهُمُ الْجَزَاءُ، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهَا حُدُودًا وَشُرُوطًا وَنَهَى
 هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هُمْ بِهِذَيْنِ الْحَالَيْنِ أَنْ يَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا أَوْلِيَاءَ فَقَالَ
 عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ

الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١)

وَقَوْلُهُ: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾^(٢)

فَأَهْلُ الْإِقْرَارِ هُمُ الَّذِينَ عَمِلُوا بِالْأَمْرِ، وَتَجَنَّبُوا النَّهْيَ؛ وَأَهْلُ الْإِنْكَارِ
 هُمُ الَّذِينَ تَمَسَّكُوا بِالنَّهْيِ، وَخَالَفُوا الْأَمْرَ قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ ءَاللهُ أَذِنَ
 لَكُمْ أَمْ عَلَى الله تَفْتَرُونَ﴾^(١)

وَقَالَ: ﴿إِنَّ الله يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾^(٢)
 وَقَالَ: ﴿إِنَّ الله يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾^(٣)
 وَقَالَ: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ
 شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٤)
 وَقَالَ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾^(٥)
 وَقَالَ: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾^(٦)
 وَقَالَ: ﴿أَتَى أَمْرُ الله فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾^(٧)
 وَقَالَ: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ﴾^(٨)

^١ يونس . الآية ٥٩
^٢ النحل . الآية ٩٠
^٣ النساء . الآية ٥٨
^٤ النمل . الآية ٩١
^٥ طه . الآية ١٣٢
^٦ الشورى . الآية ٥٢
^٧ النحل . الآية ١
^٨ المؤمنون . الآية ٢٧

فَهَذَا يَا مُفَضَّلُ، دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ كُلَّ أَمْرٍ مِنَ اللَّهِ فِي خِطَابِهِ عَلَى مَا قَدَّمْتُهُ
 لَكَ فِي الشَّرْحِ وَالنُّطْقِ وَالْكَلَامِ، لَا آخِرَ لَهُ وَلَا نِهَايَةَ، وَبِذَلِكَ عُرِفَتْ
 الطَّاعَةُ وَالْمَعْصِيَةُ، لِأَنَّ أَمْرَهُ حَقٌّ مَقْصُودٌ، وَأَمَّا مَا كَانَ مِنْ نَهْيٍ نَهَى
 اللَّهُ عَنْهُ، مِثْلَ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿أَلَمْ أَنهَكُمَا عَنْ تِلْكَمَا الشَّجَرَةِ﴾^(١)

وَقَوْلِهِ: ﴿وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾^(٢)

وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(٣)

وَمَا يَقَعُ مَوَاقِعَ النَّهْيِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا

الْحَقَّ﴾^(٤) وَقَوْلِهِ: ﴿لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾^(٥)

وَقَوْلِهِ: ﴿لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾^(٦)

وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ

وَاحِدٌ﴾^(٧) وَقَوْلِهِ: ﴿لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾^(٨)

^١ الأعراف . الآية ٢٢

^٢ النحل . الآية ٩٠

^٣ الحشر . الآية ٧

^٤ النساء . الآية ١٧١

^٥ يس . الآية ٦٠

^٦ النحل . الآية ٥١

^٧ النساء . الآية ١٧١

^٨ هود . الآية ٢٦

وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾^(١)

وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾^(٢)

وَقَوْلِهِ: ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾^(٣)

وَقَوْلِهِ: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾^(٤)

وَقَوْلِهِ: ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾^(٥)

وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾^(٦)

وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٧)

وَكُلُّ «لَا» فِي كِتَابِ اللَّهِ فَهِيَ^(٨) نَهْيٌ، وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ يَجْمَعَانِ
 الطَّاعَةَ وَالْمَعْصِيَةَ، فَتَرَكُ الْأَمْرَ وَاتَّبَعُ النَّهْيَ هُوَ الْكُفْرُ، وَاجْتِنَابُ
 النَّهْيِ وَاتَّبَاعُ الْأَمْرِ هُوَ الْإِيمَانُ.

^١ البقرة. الآية ٦٠
^٢ البقرة. الآية ١٦٨
^٣ النازعات. الآية ٤٠
^٤ آل عمران. الآية ١٩٦
^٥ النساء. الآية ١٧١
^٦ الاسراء. الآية ٣٢
^٧ الانعام. الآية ١٥٢
^٨ في نسخة أخرى: فهو، والأصح فهي

وَأَمَّا التُّعُوتُ الَّتِي نَعْتُهَا لَكَ، وَالْأَوْصَافُ الَّتِي وَصَفْتُهَا لَكَ بِهِذَيْنِ
 الْحَالَيْنِ وَهُمَا الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ، فَلَهَا مَصَادِرُ وَمَوَارِدُ مِنْهَا الْمِيزَانُ فِي قَوْلِهِ
 تَعَالَى: ﴿وَنَضْعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾^(١)

وَقَوْلِهِ: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ *
 وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾^(٢)

وَقَوْلِهِ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ
 ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(٣)

وَقَوْلِهِ: ﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا
 حَاسِبِينَ﴾^(٤)

^١ الأنبياء . الآية ٤٧
^٢ القارعة . الآية ٦٩
^٣ الزلزلة . الآية ٧٨
^٤ الأنبياء . الآية ٤٧

وَفِي الْمَوَازِينِ آيَاتٌ كَثِيرَةٌ يَطُولُ شَرْحُهَا، ثُمَّ إِنَّهُ جَعَلَ لَهَا حِفَظًا
 يَحْفَظُونَهَا، كَقَوْلِهِ: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ
 قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾^(١)

وَقَوْلِهِ: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ
 تَحِيدُ﴾^(٢) وَقَوْلِهِ: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾^(٣)

وَهُمَا هَذَانِ الْمُتَلَقِّيَانِ، وَشَرَحُ الْحِفَاطِ طَوِيلٌ ثُمَّ وَصَفَ
 الْكِتَابَ^(٤) بِقَوْلِهِ: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ
 حَسِيبًا﴾^(٥)

^١ ق. الآية ١٨
^٢ ق. الآية ١٩
^٣ ق. الآية ٢١
^٤ في نسخة أخرى: الكتب.
^٥ الاسراء. الآية ١٤

وَقَوْلِهِ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهِ ۖ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهِ﴾^(١)

وَقَوْلِهِ: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾^(٢) وَقَوْلِهِ: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾^(٣) وَهُوَ بِلَفْظِ كِتَابٍ مُبِينٍ.

وَقَوْلِهِ يُخْبِرُ عَنْهُمْ بِاعْتِرَافِهِمْ بِالْكِتَابِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾^(٤)

وَهَذَا يَا مُفَضَّلُ إِنْخِبَارٌ عَمَّا كَانُوا قَدْ فَعَلُوهُ وَقَالُوهُ مِرَارًا وَاسْتِشْهَادًا عَلَى تَعَدُّدِ هَذَا، قَوْلُهُ: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾^(٥) فَالْأَجَلُ: الْكُورُ وَالِدَّوْرُ.

^١ الحاقة. الآية ٢٦

^٢ الجاثية. الآية ٢٩

^٣ يس. الآية ١٢

^٤ الكهف. الآية ٤٩

^٥ الرعد. الآية ٣٨

يُقَالُ: أَجَلَ الشَّيْءِ: مُدَّتُهُ، وَكُلُّ أَجَلٍ أَيْ كَوْرٍ وَدَوْرٍ لَهُ كِتَابٌ وَنُعُوتٌ
وَأَوْصَافٌ فِيمَا كَانَ قَبْلَهُ وَيَكُونُ بَعْدَهُ.

وَهَكَذَا بِدَوَامِ الْمُلْكِ وَالْكُونِ الْمَكُونِ لَا نَفَادَ لَهَا وَلَا انْقِطَاعَ
وَلَا يَغُرَّنَّكَ مَنْ هَلَكَ فَإِنَّهُ يَعُودُ، وَلَا مَنْ يَعُودُ فَإِنَّهُ يَهْلِكُ، وَمَا مَنْ
هَلَكَ إِلَّا كَمَنْ يَكُونُ، وَلَا مَنْ يَكُونُ إِلَّا كَمَنْ هَلَكَ، لَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا
وَلَا تَبَايُنَ إِلَّا مَا دَارَتْ بِهِمَا الدُّهُورُ وَعَادَتْ بِهِمَا الْكَرَّاتُ.

ثُمَّ يَا مُفَضَّلُ، جَعَلَ اللَّهُ الْغَايَةَ مِنْ تَنَاهِي ذَلِكَ أَنْ بَيِّنَ الْكَيْلَ
وَالْمِيزَانَ وَالْقِسْطَ فَقَالَ: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾^(١)

وَقَالَ: ﴿وَلَا تُخْسِرُوا^(٢) الْمِيزَانَ﴾^(٣)

^١ الانعام . الآية ١٥٢
^٢ في نسخة أخرى: ولا تبخسوا.
^٣ الرحمن . الآية ٩

وَقَالَ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ: «بِالدَّيْنُونَةِ الَّتِي بِهَا تَدِينُونَ تُدَانُونَ،
 وَبِالْكَيْلِ الَّذِي بِهِ تَكِيلُونَ يُكَالُ لَكُمْ»^(١) ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ
 وَجَعَلَهُ اعْتِبَارًا، ثُمَّ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ: «صِرَاطُ مَمْدُودٌ» وَوَصَفَ الصِّرَاطَ
 وَذَكَرَهُ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرًا، وَذَكَرَ أَنَّ لَهُ سَبْعَ عَقَبَاتٍ، وَأَنَّهُ أَحَدٌ مِنَ
 السَّيْفِ وَأَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ^(٢)، وَأَنَّ^(٣) فِيهِ صُعُودًا وَهُبُوطًا^(٤)، وَنَعْتَهُ
 بِنُعُوتٍ أَذْهَلَتِ الْعُقُولَ وَأَوْجَلَتِ الْقُلُوبَ وَحَيَّرَتِ الْأَلْبَابَ.

وَهَذَا بَدْءُ^(٥) مَسْأَلَتِكَ يَا مُفَضَّلُ وَإِنَّمَا قَدَّمْتُ لَكَ مَا سَلَفَ مِنَ
 الْخِطَابِ لِيَتَّضِحَ لَكَ الْحَقُّ، وَيَنْشَرِحَ لَكَ مَعْنَى الصِّدْقِ، وَلِتَعْلَمَ أَنَّ
 الْمَسْئُولَ أَعْلَمُ مِنَ السَّائِلِ، وَالْمُفْهِمَ أَعْلَمُ مِنَ الْمُسْتَفْهِمِ، وَالْمُسْمِعَ
 أَبْلَغُ مِنَ الْمُسْتَمِعِ، فَكُنْ لِحَوَائِكَ وَاعِيًا، وَعَلَيْهِ مُوَاطِبًا، وَحُتَّ عَلَيْهِ
 وَاقْصِدْ^(٦) إِلَيْهِ، فَإِنِّي أَشْرَحُ لَكَ مِنْ بَاطِنِ مَسْأَلَتِكَ مَا يُثَبِّتُ لَكَ

^١ إِنْجِيلُ مَتَّى: ٢٠: ٧ وفي نسخة أخرى: (بِالدَّيْنِ الَّذِي تُدِينُ بِهِ تُدَانُ وَبِالْكَيْلِ الَّذِي تَكِيلُ بِهِ تُكَالُ) ولقد صوبناه من خلال (إِنْجِيلُ مَتَّى: ٢٠: ٧)
^٢ يحيى بن معين قال مولانا أبي شعيب محمد بن نصير النميري منه السلام وإليه التسليم: (إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) فالصراط هو مولانا علي
 الأزل القديم، والصراط أحد من السيف وأدق من الشعرة، ودقته تعني الإقرار له بالربوبية، وتنزيهه عن الصور الحسية

المصدر: تفسير العرفان

^٣ في نسخة أخرى: إِنَّ.

^٤ عَنْ حَقِصُ بْنُ غِيَاثٍ قَالَ وَصَفَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ (الصِّرَاطُ) فَقَالَ أَلْفُ سَنَةٍ صُعُودٍ وَأَلْفُ سَنَةٍ هُبُوطٍ وَأَلْفُ سَنَةٍ حَدَّالٍ

المصدر: تفسير القمي

^٥ في نسخة أخرى: بَدْءُ.

^٦ في نسخة أخرى: واقْصِدْ

التَّوْحِيدَ وَيُصَحِّحُهُ، وَيُبْطِلُ عَنْكَ الشَّكَّ وَيَدْحَضُهُ، وَيَسْتَبِينُ لَكَ بِهِ هَذَاكَ، وَتَعْرِفُ عِنْدَ ذَلِكَ رَبَّكَ وَكُلَّ مَا لَكَ وَمَا عَلَيْكَ، فَمَا لِلْأَجِيرِ غَيْرُ أَجْرِهِ وَمَا عَلَى الْمُقْتَرِفِ غَيْرُ وَزْرِهِ.

وَأَعْلَمَ يَا مُفَضَّلُ، أَنَّ^(١) اللَّهَ جَعَلَ الْأَبْوَابَ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ، وَجَعَلَكَ أَحَدَهَا إِذْ خَصَّكَ بِالسُّؤَالِ عَنِ الْحِكْمَةِ، بِاسْتِظْلَاعِكَ^(٢) عَلَى تَنَاهِي الْعَظَمَةِ. وَقَدْ قَالَ السَّيِّدُ الْأَكْبَرُ مُحَمَّدٌ **عَزَّ عِزُّهُ**: "إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ خَلْقًا جَعَلَهُمْ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ وَمَغَالِيقَ لِلشَّرِّ" فَالْخَيْرُ هُوَ الْبَاطِنُ، وَالشَّرُّ هُوَ الظَّاهِرُ، وَأَنْتَ أَحَدُ ذَلِكَ الْخَلْقِ.

فَصْلٌ مَعْنَى الصِّرَاطِ:

فَعَلَيْكَ بَيَانِ مَا أُلْقِيَهِ إِلَيْكَ وَأَكْشَفُهُ لَكَ، لِتَكْشِفَهُ وَتُلْقِيَهُ إِلَى أَهْلِ عَقَبَاتِ الصِّرَاطِ، الَّذِينَ لَا يَرْتَقِي الْمُرْتَقِي إِلَيْهِمْ إِلَّا بِمِقْدَارِ عِلْمِهِ وَاجْتِهَادِهِ وَعَمَلِهِ، فَإِنْ كَانَ لَهُ عِلْمٌ وَعَمَلٌ يَسْتَحِقُّ بِهِمَا عَقَبَةً جَارَهَا

^(١) في نسخة أخرى: إِنَّ
^(٢) في نسخة أخرى: باستنباطك لتناهي العظمة.

وَإِنْ زَادَ عِلْمُهُ وَعَمَلُهُ بِمِقْدَارِ مَا يَسْتَحِقُّ بِهِ عَقَبَةً ثَانِيَةً، لَحِقَ بِهَا وَإِنْ
 رَقَّاهُ عِلْمُهُ وَعَمَلُهُ إِلَى الثَّالِثَةِ، رَقِيَ إِلَيْهَا، وَإِنْ اسْتَوْجَبَ أَنْ يَرْفَعَهُ مَوْلَاهُ
 إِلَى الْعَقَبَةِ الرَّابِعَةِ، وَهِيَ عَقَبَةُ النَّجِيبِ سَمَا إِلَيْهَا وَيَكُونُ قَدْ جَاوَزَ
 ثَلَاثَ عَقَبَاتٍ، وَإِنْ زَادَ إِلَى الْخَامِسَةِ، ارْتَقَى إِلَيْهَا، وَإِنْ زَادَ إِلَى السَّادِسَةِ
 ارْتَقَى إِلَيْهَا، وَهَكَذَا إِلَى تَنَاهِي السَّبْعِ عَقَبَاتٍ.

وَأَنَا أَشْرَحُ لَكَ مَعْنَى مَا بَدَأْتُكَ بِهِ، فَثِقْ بِمَوْلَاكَ وَسَلِّمْ لِأَمْرِهِ، إِذَا
 شَرَحْتُهُ لَكَ فَاحْفَظْهُ وَاحْتَفِظْ بِهِ، وَكُنْ لِلْمُسْتَمِيعِ نَاصِحًا كُنُصْحِ
 مَوْلَاكَ لَكَ، وَمُشْفِقًا كَاشْفَاقِ مَوْلَاكَ عَلَيْكَ، فَإِنَّكَ سَبَبُ هَذِهِ
 الْعِقَابِ وَمَقْصَدُهَا، وَإِلَيْكَ تَنَاهِي بُلُوغِهَا، فَبَلِّغْ إِلَى الْعَالَمِ مَسْأَلَتَكَ
 سَبِيلَ الصِّرَاطِ وَتَجَاوَزَ الْعَقَبَاتِ، فَعِنْدَكَ رُتَبُ الْعَقَبَاتِ وَازْدِلَافُهَا^(١)

^(١) في نسخة أخرى: وأزلافها وتصح أيضا ازدلافها تعني الاقتراب وكذلك أزلافها تعني الاقتراب.

وَمَا دَامَ الْخَلْقُ يَعْجِزُونَ عَنِ الْبُلُوغِ إِلَى نِهَايَةِ الْعَقَبَاتِ السَّبْعِ^(١)
 فَإِنَّهُمْ فِي تَعَبٍ وَنَصَبٍ وَشَقَاءٍ وَطَلَبٍ^(٢).

وَأَعْلَمُ يَا مُفَضَّلُ، أَنَّ أَوَّلَ عَقَبَةٍ يَسْلُكُهَا الْعَارِفُ الطَّالِبُ هِيَ
 عَقَبَةُ الْمُتَحَنِّ^(٣) فَإِذَا سَمِعَ الطَّالِبُ الْمُرِيدُ مِنَ الْمُتَحَنِّ عِلْمًا
 بَاطِنًا فَحَمَلَهُ وَأَقَرَّ بِهِ، وَسَلَّمَ إِلَيْهِ، وَوَاطَبَ عَلَيْهِ، وَطَلَبَ الزِّيَادَةَ مِنْهُ
 فَقَدْ اسْتَوْجَبَ أَنْ يُبْلَغَهُ مَوْلَاهُ الْعَقَبَةُ الثَّانِيَّةُ، وَهِيَ عَقَبَةُ الْمُخْلِصِ^(٤)
 وَإِذَا بَلَغَ إِلَى سَمَاعِ عِلْمِ الْمُخْلِصِ، فَقَدْ جَازَ إِلَى الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ فَهُوَ
 عِنْدَهَا وَاقِفٌ، وَإِنْ كَبُرَ عَلَيْهِ مَا أَلْقَاهُ إِلَيْهِ الْمُتَحَنُّ وَمَا سَمِعَهُ مِنْهُ
 وَلَمْ يَحْمِلْهُ وَشَكَّ بِهِ، أُوقِفَ دُونَ تِلْكَ الْعَقَبَةِ، وَلَا يَزَالُ مُوقِفًا عِنْدَهَا
 وَعَلَيْهَا، حَتَّى يَزُولَ عَنْهُ ذَلِكَ الشَّكُّ وَالضَّعْفُ الْعَارِضُ لَهُ فَيَمُرُّ بِهِ مَا
 يَمُرُّ مِنَ الشَّدَّةِ عَلَى مَا يَصِفُهُ أَهْلُ الظَّاهِرِ مِنْ هَوْلِ الْعِقَابِ، وَالسُّقُوطِ

^١ عن محمد بن سنان قال مولانا الصادق عز عزه: حرام على كل من بلغ ولاية أمير المؤمنين عز عزه ولم يبلغ فيها الغاية القصوى (الحجب والانوار)

^٢ عن بريد قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول في قول الله تبارك وتعالى: "أَوْ مِنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ" فقال: "ميت" لا يعرف شيئًا و"نورا يمشي به في الناس": إماما يؤتم به "كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها" قال: الذي لا يعرف الامام الكافي.

^٣ الْمُتَحَنُّ: هُوَ الْمُصْطَفَى الْمُهْدَبُ الْمُخْلِصُ. مِنْ مَحَنَتْ الْفَضَّةُ: إِذَا صَفِيَّتْهَا وَخَلَصَتْهَا بِالنَّارِ. وَمَحَنَتْهُ وَامْتَحَنَتْهُ: بِمَنْزِلَةِ خَبَرْتُهُ وَاخْتَبَرْتُهُ وَتَلَوْتُهُ وَابْتَلَيْتُهُ (لسان العرب)

^٤ الْمُخْلِصُ: الَّذِي أَخْلَصَهُ اللَّهُ وَجَعَلَهُ مُحْتَازًا خَالِصًا مِنَ الدُّنْسِ. وَالْمُخْلِصُ: الَّذِي وَحَدَ اللَّهُ تَعَالَى خَالِصًا. وَلِذَلِكَ قِيلَ لِسُورَةِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، سُورَةُ الْإِخْلَاصِ. وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا خَالِصَةٌ فِي صِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَقْدُسُ. (لسان العرب).

عَنْهَا، وَالثُّبُوتِ ^(١) عَلَيْهَا، وَإِنَّ السُّقُوطَ عَنْهَا، هُوَ الشَّكُّ بِمَا يَرِدُ إِلَيْهِ مِنْ
 عِلْمِ الْعِقَابِ، عَنْ صَاحِبِ ^(٢) الْعَقْبَةِ، وَالرُّجُوعَ عَنْهُ، وَالثَّبَاتُ عَلَيْهَا هُوَ
 الْوُقُوفُ وَالْقَبُولُ مِنْ صَاحِبِ الْعَقْبَةِ فَإِنْ شَكَّ بِمَا يُقَالُ لَهُ مِنَ الْعَالِمِ
 سَقَطَ، وَإِذَا عَادَ إِلَيْهِ، وَأُلْوَى عَلَيْهِ، وَقَبِلَهُ وَتَمَسَّكَ بِهِ، وَأَجْهَدَ نَفْسَهُ فِي
 مُعَانَاتِهِ، وَطَلَبَ الزِّيَادَةَ مِنْ عِلْمِ صَاحِبِ الْعَقْبَةِ، تَثَبَّتَ بِهِ وَلَا شَيْءَ
 أَشَدَّ مِنْ هَذَا الْعِلْمِ وَحَمْلِهِ، وَالْجَزَاءُ عَلَى إِنْكَارِهِ وَمُعَانَاتِهِ وَالشَّكِّ فِيهِ
 وَالتَّقْصِيرِ بِمَعْرِفَتِهِ، فَإِذَا حَمَلَ عِلْمَ الْمُخْلِصِ وَقَبِلَهُ وَلَمْ يَشْكُ بِهِ، فَقَدْ
 أَسْعَدَهُ مَوْلَاهُ وَبَلَغَهُ مُنَاهُ، إِلَى أَنْ يَسْمَعَ مِنَ الْمُخْتَصِّ ^(٣) الْعِلْمَ، فَيَكُونُ
 قَدْ جَاَزَ عَقَبَتَيْنِ مِنْ مَسْلَكِ الصِّرَاطِ وَعَلَا إِلَى الثَّالِثَةِ وَهُوَ فِي كُلِّ
 عَقْبَةٍ مِنْ هَذِهِ الْعِقَابِ السَّبْعِ إِذَا عَلَا إِلَيْهَا، وَرَدَ عَلَيْهِ عِلْمٌ هُوَ أَعْلَى
 وَأَنْفَعُ وَأَرْفَعُ، مِمَّا سَمِعَهُ مِنْ عِلْمِ صَاحِبِ الْعَقْبَةِ الَّتِي دُونَهَا وَكُلَّمَا
 حَمَلَ مِنْ هَذَا الْعِلْمِ اسْتَوْجَبَ أَنْ يَسْمَعَ مَا هُوَ أَعْلَى وَأَرْفَعُ وَأَنْفَعُ مِنْ
 ذَلِكَ وَكُلَّمَا قَصَرَ عَنْ عِلْمِ صَاحِبِ الْعَقْبَةِ، كَانَ جَزَاؤُهُ ^(٤) عَلَى عَجْزِهِ فِي

^١ في نسخة أخرى: والثبات عليها.

^٢ في نسخة أخرى: وصاحب.

^٣ قال الخصبي في رسالته: وسَمِيَ الْمُخْتَصُّ مُخْتَصًّا لِأَنَّهُ اخْتُصَّ ابْتِدَاءً فَكَانَ كَمَا اخْتُصَّ مَوْلَاهُ فِي خَاصَّةِ مَعْرِفَتِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ لَمْ يَنْقُصْ مِنْ
 الاختصاص شَيْئًا وَلَا قَصُرَ عَنْهُ شَيْئًا.

^٤ في نسخة أخرى: جزاءه.

الدَّرَجَةِ الْعَالِيَةِ الْعَظِيمَةِ أَعْظَمَ مِنْ جَزَائِهِ فِي الْعَقَبَةِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا
 وَرَقِي مِنْهَا، وَإِذَا حَمَلَ عِلْمَ الْمُخْتَصِّ وَمَا يُلْقِيهِ إِلَيْهِ وَيُظْهِرُهُ عَلَيْهِ
 اسْتَوْجَبَ أَنْ يَرْفَعَهُ مَوْلَاهُ إِلَى الْعَقَبَةِ الرَّابِعَةِ، وَهِيَ عَقَبَةُ النَّجِيبِ^(١)
 فَيَكُونُ عِنْدَ ذَلِكَ قَدْ جَازَ ثَلَاثَ عَقَبَاتٍ مِنْ مَسْلَكِ الصِّرَاطِ وَوَصَلَ
 إِلَى الرَّابِعَةِ مِنْهَا، وَإِذَا سَمِعَ عِلْمَ النَّجِيبِ وَحَمَلَهُ وَصَبَرَ عَلَيْهِ وَلَمْ
 يَجْحَدْهُ وَلَمْ يَشْكُ بِهِ، اسْتَوْجَبَ أَنْ يَجُوزَ تِلْكَ الْعَقَبَةَ وَيَعْلُوَ إِلَى مَا
 فَوْقَهَا مِنَ الْعِقَابِ وَيَصِيرَ مِنْ أَهْلِ الصَّفَاءِ وَالتَّخْلِصِ، وَيَعْلُوَ إِلَى سَمَاعِ
 عِلْمِ النَّقِيبِ^(٢) وَدَلَائِلِهِ وَبَرَاهِينِهِ وَيَكُونُ عِنْدَ ذَلِكَ قَدْ جَازَ أَرْبَعَ
 عَقَبَاتٍ مِنْ مَسْلَكِ الصِّرَاطِ، وَعَلَا إِلَى الْخَامِسَةِ مِنْهَا، وَصَارَ فِي مَنْزِلَةِ
 مَنْ يَحُلُّ الْمَلَكُوتَ وَإِذَا حَمَلَ عِلْمَ النَّقِيبِ وَلَمْ يَشْكُ بِجَمِيعِ مَا يُورِدُهُ لَهُ
 وَيُظْهِرُهُ عَلَيْهِ، وَكَانَ مُسَلِّمًا عَالِمًا بِأَنَّهُ لَا يَدْعُوهُ إِلَى الْبَاطِلِ وَلَا يُورِدُهُ
 الضَّلَالَةَ، اسْتَوْجَبَ أَنْ يَعْلُوَ مِنْ دَرَجَتِهِ إِلَى سَمَاعِ عِلْمِ الْيَتِيمِ^(٣)
 وَيَكُونُ قَدْ جَازَ خَمْسَ عِقَابٍ مِنْ مَسْلَكِ الصِّرَاطِ، وَعَلَا إِلَى

^١ قال الخصيبي في رسالته: وَسَمِّي النَّجِيبُ نَجِيبًا لِأَنَّهُ أَنْجَبَ وَسَارَعَ إِلَى مَعْرِفَةِ بَارئِهِ وَاسْمِهِ وَبَابِهِ وَأَيْتَامِهِ وَنُقَبَائِهِ كَأَسْرَعِ مِنَ الْفَرَسِ فِي حَلَبَةِ الرَّهَانِ

^٢ قال الخصيبي في رسالته: وَسَمِّي النَّقِيبُ نَقِيبًا لِأَنَّهُ نَقَّبَ عَمَّا فِي الصُّدُورِ وَعَلِمَ مَا فِي الصُّمُورِ، وَشَاهِدُهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَتَقَبَّلُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَجِيسٍ﴾ (ق: ٣٦). أَيْ لَا يَجِيسُ عَنْ عِلْمِهِمْ شَيْءٌ إِلَّا أَحَاطُوا بِهِ.

^٣ قال الخصيبي في رسالته: وَسَمِّي الْيَتِيمُ يَتِيمًا لِأَنَّهُ اتَّيَّمُ بِمَنْ قَوْفُهُ مِنَ الْمَعْنَى وَالْأَسْمِ وَالْبَابِ وَكَذَلِكَ اتَّيَّمُ بِهِ مَنْ هُوَ دُونَهُ مِنَ النَّقَبَاءِ وَمَنْ دُونَهُمْ وَتَمَّتْ بِهِ الْمَعْرِفَةُ تَحْقِيقًا.

السَّادِسَةُ مِنْهَا، وَصَارَ بِمَنْزِلَةِ الشَّاهِدِينَ الطَّائِعِينَ ^(١) فَإِذَا
 سَمِعَ عِلْمَ الْيَتِيمِ وَقَبْلَهُ وَسَارَعَ إِلَيْهِ، عَلِمَ أَنَّ الَّذِي سَمِعَهُ مِنْ قَبْلِ
 صَغِيرٍ فِيمَا سَمِعَهُ مِنْ عِلْمِ الْيَتِيمِ وَأَنَّ مَوْلَاهُ يَزِيدُهُ خِبْرَةً وَمَعْرِفَةً وَثِقَةً
 وَيَقِينًا، بِمَا يُظْهِرُ لَهُ فِيهَا مِنَ الْيَتِيمِ، مِنْ اخْتِبَارَاتٍ عَظِيمَةٍ وَكَثِيرَةٍ
 يَخْتَبِرُهَا بِهَا وَيَلُوهُ، فَإِذَا ثَبَتَ عِنْدَ ذَلِكَ وَلَمْ يَزَلْ وَلَمْ يَشْكْ اسْتَوْجَبَ
 أَنْ يَبْلُغَ بِفَضْلِ مَوْلَاهُ عَلَيْهِ وَإِحْسَانِهِ إِلَيْهِ أَنْ يَسْمَعَ مِنَ الْبَابِ عِلْمَ
 مَوْلَاهُ صُرَاحًا وَكَشَفًا وَعِيَانًا فَيَكُونُ لَهُ بَعْدَ الْمُشَاهَدَةِ مُعَايِنَةٌ بِالنَّظَرِ
 وَتُجْمَعُ لَهُ الْأَحْوَالُ الَّتِي سَلَفَتْ لَهُ فِي جَمِيعِ الْعِقَابِ فَيَكُونُ إِنْ شَاءَ
 غَائِبًا، وَإِنْ شَاءَ حَاضِرًا وَشَاهِدًا وَثَابِتًا وَمُعَايِنًا وَمُسْتَمِعًا لَا يَغْرُبُ
 عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ طَلِبَتِهِ وَإِرَادَتِهِ وَبُغْيَتِهِ، وَيَكُونُ عِنْدَ ذَلِكَ سَبَبًا مِنْ
 أَسْبَابِ اللَّهِ وَحُجَّةً ^(٢) لِأَوْلِيَائِهِ وَنِقْمَةً عَلَى أَعْدَائِهِ وَسِرَاجًا يُسْتَضَاءُ بِهِ
 وَمَكَانًا يُشَارُ إِلَيْهِ، وَمَقْصَدًا وَمَطْلَبًا، وَيَكُونُ قَدْ جَازَ مِنْ مَسْلَكِ
 الصَّرَاطِ سِتَّ عَقَبَاتٍ وَبَلَغَ إِلَى الْعَقَبَةِ السَّابِعَةِ وَعَلَيْهِ عِنْدَ بُلُوغِهَا
 الْاجْتِهَادُ وَالطَّلَبُ وَالْمُواظَبَةُ وَجَمْعُ الْعَزِيمَةِ وَالزِّيَادَةُ فِي التَّعَبُّدِ، فَإِذَا

^١ في نسخة أخرى: الطائعين.
^٢ في نسخة أخرى: وحجته

تَكَامَلَتْ لَهُ السَّبْعُ عَقَبَاتٌ يَكُونُ وَرَاءَهَا ظُهُورُ مَوْلَاهُ لَهُ^(١) وَعِيَانُهُ
 إِيَّاهُ^(٢) وَسَمَاعُهُ وَخَطَابُهُ وَبُلُوغُ إِرَادَتِهِ، وَهِيَ الْعَقَبَةُ الَّتِي وَصَفَهَا اللَّهُ
 وَذَكَرَهَا فِي كِتَابِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ
 ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾^(٣) لِأَنَّهُ إِذَا صَارَ إِلَى تِلْكَ الْعَقَبَةِ السَّابِعَةِ وَحَلَّ فِيهَا
 خَرَجَ عَنِ التَّعَبِ وَصَارَ حُرًّا مُحَرَّرًا عُلِّمَ فَعَلِمَ، فَغَنِيَ عَنِ التَّعَلُّمِ^(٤)
 وَبَصَّرَ فَأَبْصَرَ فَغَنِيَ عَنِ التَّبَصُّرِ وَأُسْمِعَ فَاسْتَمَعَ^(٥)، فَغَنِيَ عَنِ
 الْإِسْتِمَاعِ وَوَجَدَ مَا طَلَبَ، فَغَنِيَ عَنِ الْبَحْثِ.

^١ وفي هذا ورد في الظاهر أن الصراط هو أمير المؤمنين
 عن حماد بن عيسى قال مولانا الصادق عز عزه في قوله تعالى (إهدنا الصراط المستقيم) قال: هو أمير المؤمنين عز عزه ومعرفته
 المصدر: معاني الاخبار للصدوق
 عن أبي حمزة الثمالي عن أبي عبد الله عز عزه عن قوله تعالى ((قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ)) قال: هو والله علي هو والله علي الميزان والصراط
 المصدر: تفسير ابو حمزة الثمالي
 قال رسول الله لأمر المؤمنين عز عزه: لِأَنَّ حِسَابَ الْخَلَائِقِ إِلَيْكَ وَمَا بِهِمْ إِلَيْكَ وَالْمِيزَانُ مِيزَانُكَ وَالصِّرَاطُ صِرَاطُكَ وَالْمَوْقِفُ مَوْقِفُكَ وَ
 الْحِسَابُ حِسَابُكَ فَمَنْ رَكَنَ إِلَيْكَ نَجَا وَمَنْ خَالَفَكَ هَوَىٰ وَ هَلَكَ
 المصدر: المناقب المرتضوية
 عن ابن عباس، قال: قال رسول الله (ص) لعلني بن أبي طالب (ع): أنت الطريق الواضح وأنت الصراط المستقيم، وأنت يعسوب المؤمنين.
 المصدر: شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني
^٢ وقد روي عن الإمام الصادق عز عزه: أن الصورة الإنسانية هي الطريق المستقيم إلى كل خير، والجسر الممدود بين الجنة والنار
 المصدر: تفسير الصافي
^٣ البلد. الآية ١٣
^٤ في نسخة أخرى: التعليم.
^٥ في نسخة أخرى: فاستمع، والأصح فاستمع بدون همزة على الألف.

بَابُ الْعَقَبَاتِ ^(١) وَمَنَازِلِهَا

وَاعْلَمْ يَا مُفَضَّلُ، أَنِّي مُبَيِّنٌ لَكَ مِنْ بَاطِنِهِ بَاطِنًا ثَانِيًا، وَشَرَحًا
 فِي مَعْرِفَةِ الْعَقَبَاتِ وَمَنَازِلِهَا.

يَا مُفَضَّلُ، إِنَّ عَقَبَةَ الْمُتَحَنِّ الَّتِي يَصِيرُ إِلَيْهَا الطَّالِبُ وَيَسْمَعُ
 مِنْهَا هِيَ ظُهُورُ الْمُتَحَنِّ لِذَلِكَ الطَّالِبِ وَسَمَاعُهُ مِنْهُ، وَلَيْسَ يَظْهَرُ
 لِكُلِّ طَالِبٍ، إِنَّمَا يَظْهَرُ لِلطَّالِبِ الْمُحِقِّ الصَّادِقِ الصَّافِي، الْمُسْتَوْجِبِ
 لِظُهُورِهِ وَإِذَا ظَهَرَ لَهُ الْمُتَحَنُّ، وَسَمِعَ مِنْهُ وَحَمَلَ عَنْهُ وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ
 فَلَيْسَ يَظْهَرُ لَهُ غَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ الْمَرَاتِبِ وَالدَّرَجِ الْعُلَوِيَّةِ، أَهْلِ الْعِقَابِ
 حَتَّى يَسْتَوْجِبَ بِظُهُورِهِ لَهُ وَقَبُولِهِ مِنْهُ، ظُهُورَ صَاحِبِ الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ لَهُ
 وَعِنْدَ ظُهُورِ الْمُتَحَنِّ لِهَذَا الطَّالِبِ، يَكُونُ مَحَلُّهُ فِي السَّمَاءِ الْأُولَى لَا
 يَتَجَاوَزُهَا إِلَى الثَّانِيَةِ.

^١ في نسخة أخرى: العقاب.

عَقَبَةُ الْمُخْلِصِ:

٢٨

فَإِذَا وَصَلَ إِلَى الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ، عَقَبَةُ الْمُخْلِصِ^(١)، فَلَيْسَ يَظْهَرُ لَهُ
 سِوَاهُ، وَلَا يُشَاهِدُ غَيْرَهُ وَغَيْرَ الْمُتَحَنِّ وَيَرْقَى إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ
 وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا مَحَلٌّ يَحُلُّهُ كَمَا كَانَ فِي الْأُولَى، لَا يَتَجَاوَزُ هَاتَيْنِ
 السَّمَاءَيْنِ إِلَى الثَّالِثَةِ، حَتَّى يَسْتَوِيَ^(٢) بِقَبُولِهِ مِنَ الْمُخْلِصِ، الْعُلُوَّ إِلَى
 الْعَقَبَةِ الثَّالِثَةِ.

عَقَبَةُ الْمُخْتَصِّ:

فَعِنْدَ ذَلِكَ، يَظْهَرُ لَهُ الْمُخْتَصُّ وَيَرْقَى بِظُهُورِهِ لَهُ، وَسَمَاعِهِ مِنْهُ
 وَإِقْبَالِهِ عَلَيْهِ، فَيَصِيرُ لَهُ مَحَلٌّ فِي السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، كَمَحَلِّهِ فِي هَاتَيْنِ
 السَّمَاءَيْنِ، وَمَنْزِلَةً مِثْلَ مَنْزِلَتِهِ فِيهِمَا فَيَحُلُّهَا.

^١ سَمِيَ الْمُخْلِصُ مُخْلِصًا لِأَنَّهُ أَخْلَصَ لِبَارِئِهِ وَاسْمُهُ وَبَابُهُ وَأَيْتَامُهُ وَنَقْبَائِهِ وَنَجَائِهِ وَمَخْتَصِبِهِ فَمَا شَكَ، وَلَا تَدَاخُلَهُ رَيْبٌ، وَلَا ظَنٌّ، وَلَا
 وَهْمٌ، فَصَارَ مُخْلِصًا (الرستباشة للخضبي).
^٢ فِي نَسْخَةٍ أُخْرَى: يَسْتَوِي.

عَقَبَةُ النَّجِيبِ:

وَكَذَلِكَ عِنْدَ اكْمَالِ قَبُولِهِ مِنَ الْمُخْتَصِّ، يَظْهَرُ لَهُ النَّجِيبُ
 فَيَعَايِنُهُ وَيُشَاهِدُهُ، وَيَعْلَمُ مِنْهُ مَا يُظْلَعُهُ عَلَيْهِ وَيُلْقِيهِ إِلَيْهِ، وَعِنْدَ
 ذَلِكَ، يَكُونُ قَدْ شَاهَدَ مُتَحَنًّا وَمُخْلِصًا وَمُخْتَصًّا وَنَجِيبًا، وَيَكُونُ
 مَحَلَّهُ فِي السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، مِثْلَ مَحَلِّهِ فِيمَا قَبْلَهَا مِنَ السَّمَاوَاتِ، وَيَرْقَى
 إِلَيْهَا وَيَهْبِطُ مِنْهَا وَيَحُلُّ فِي أَيَّهَا شَاءَ، وَالْأَرْضُ هِيَ لَهُ، لِأَنَّهُ قَدْ مَلَكَ
 كُلَّ مَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَهُ مِنْهَا وَلَا يَرْقَى إِلَى الْمَحَلِّ الْعَالِيِّ الْعُلُويِّ، حَتَّى
 تَزُولَ عَنْهُ الْمَرَاتِبُ الْأَرْضِيَّةُ الْبَشَرِيَّةُ فَإِذَا تَكَامَلَ فِيهِ ذَلِكَ كُلُّهُ، رَقِيَ
 إِلَى الْمَحَلِّ الْعَالِيِّ الْعُلُويِّ وَصَارَ مِنْ عَالَمِهِ، وَهِيَ رُتْبَةُ الْعَالَمِ النُّورَانِيِّ.

عَقَبَةُ النَّقِيبِ:

فَإِذَا اسْتَوْجَبَ بِقَبُولِهِ وَإِجَابَتِهِ لِلنَّجِيبِ، ظَهَرَ لَهُ النَّقِيبُ
 وَيَكُونُ فِي ذَلِكَ الظُّهُورِ مُشَاهِدًا لِمَنْ ظَهَرَ لَهُ، وَلَا يَجِدُ أَحَدًا مِمَّنْ
 يَظْهَرُ لَهُ حَتَّى يَسْتَوْجِبَ بِقَبُولِهِ وَصَفَائِهِ ظُهُورَ الْآخَرِ، مِمَّنْ لَمْ يَظْهَرْ لَهُ

وَإِذَا اسْتَوْجَبَ ظُهُورُهُ لَهُ، عَلَتْ مَنَزِلَتُهُ وَصَارَ لَهُ مَعَ ظُهُورِهِ مَحَلٌّ فِي
السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ، الَّتِي هِيَ أَعْلَى مِمَّا دُونَهَا.

عَقَبَةُ الْيَتِيمِ:

وَكَذَلِكَ بِقَبُولِهِ مِنَ النَّقِيبِ وَطَاعَتِهِ لَهُ وَتَسْلِيمِهِ إِلَيْهِ، يَظْهَرُ لَهُ
الْيَتِيمُ وَيَكُونُ بِذَلِكَ قَدْ جَارَ خَمْسَ عَقَبَاتٍ^(١) مِنْ مَسَلِكِ الصِّرَاطِ
وَصَارَ إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَيَحُلُّهَا وَيَصِيرُ لَهُ ارْتِفَاعٌ، يَعْرِفُ جَمِيعَ مَا
تَحْتَ السَّتِّ سَمَاوَاتٍ مِنْ أَهْلِ الْمَرَاتِبِ وَالدرَجِ، وَيَصِيرُ لَهُ فِيهَا اسْمٌ
مِثْلُ أَسْمَائِهِمْ وَمَحَلٌّ كَمَحَلِّهِمْ، وَنَعَتْ كَنُعُوتِهِمْ وَيَصِيرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ
ذَلِكَ الْأَسْمُ الْبَشَرِيُّ عِنْدَ الْعَالَمِ، يُنْزِلُونَهُ مَنَازِلَ التَّفْعِ وَالضَّرِّ^(٢)
وَالسَّعْدِ وَالنَّحْسِ.

^(١) في نسخة أخرى: عقاب.
^(٢) في نسخة أخرى: الضرر.

عَقَبَةُ الْبَابِ:

فَإِذَا ثَبَتَ عَلَى مَعْرِفَةِ عِلْمِ الْيَتِيمِ وَأَقَرَّ بِهِ، وَلَمْ يُنْكِرْهُ وَلَمْ يَشْكُ
 فِيهِ، وَلَمْ يَكْبُرْ عَلَيْهِ مَا يُورِدُهُ إِلَيْهِ، وَعَلِمَ أَنَّ الَّذِي سَمِعَهُ قَبْلَ ذَلِكَ
 صَغِيرٌ فِيمَا يَسْمَعُهُ مِنْ عِلْمِ الْيَتِيمِ، اسْتَوْجَبَ بِقَبُولِهِ مِنَ الْيَتِيمِ
 وَطَاعَتِهِ لَهُ، وَتَسْلِيمِهِ إِلَيْهِ وَرِضَاهُ^(١) بِهِ، أَنْ يُعْلِيَهُ مَوْلَاهُ فَيُظْهَرُ لَهُ
 الْبَابُ وَيُزْلِفُهُ إِلَى الْعَقَبَةِ السَّابِعَةِ فَيَحُلُّ فِيهَا، وَيُظْهَرُ لَهُ الْبَابُ وَيَسْمَعُ
 مِنْهُ عِلْمَ مَوْلَاهُ وَتَوْحِيدَهُ صُرَاحًا وَكَشْفًا، وَيَرْقَى إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ
 فَيَحُلُّ فِيهَا، وَعِنْدَ ذَلِكَ يَكُونُ قَدْ انْتَهَى إِلَى الْمَنْزِلَةِ الْعَالِيَةِ وَحَلَّ
 الْمَحَلَّ الْأَعْلَى مِنَ السَّمَاوَاتِ كُلِّهَا، وَمَلَكَ فِي سَائِرِ السَّمَاوَاتِ رُتَبًا
 وَجَمِيعَ مَا يُرِيدُهُ مِنَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعِ فِي الْعَالَمِينَ لَا
 يَغْرُبُ عَلَيْهِ عِلْمُ شَيْءٍ، وَلَا يَفُوتُهُ شَيْءٌ، وَلَا يَبْعُدُ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ
 طَلَبِهِ وَإِرَادَتِهِ، وَيَصِيرُ مُحْكَمًا مُخَيَّرًا فِي نَفْسِهِ، لِأَنَّهُ قَدْ تَخَلَّصَ فَخَلَّصَ
 وَصَفًا فَلَيْسَ عَلَيْهِ خَوْفٌ إِذَا بَلَغَ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ الْعَالِيَةَ فِي السَّمَاءِ
 السَّابِعَةِ وَإِنَّمَا الْخَوْفُ عَلَيْهِ مِنَ الزَّلَلِ مَا دَامَ فِي دَرَجِ التَّعَبُّدِ وَالطَّلَبِ

^(١) في نسخة أخرى: رضاه. والأصح ورضاه، حتى يستقيم المعنى والله أعلم.

فِي هَذِهِ الْعِقَابِ السَّتِّ، فَإِذَا صَارَ إِلَى الْعَقَبَةِ السَّابِعَةِ وَحَلَّ فِيهَا مَحَلَّهُ
 الْأَعْلَى الَّذِي ذَكَرْتُهُ لَكَ، وَصَفَا وَتَخَلَّصَ وَعَادَ إِلَى جَوْهَرِهِ.

ظُهُورُ الْإِسْمِ:

فَعِنْدَ ذَلِكَ يَظْهَرُ لَهُ الْإِسْمُ وَهُوَ الْحِجَابُ، فَيَعَايِنُهُ وَيُشَاهِدُهُ
 وَيَشْهَدُ أَفْعَالَهُ، وَيُطْلِعُهُ عَلَى عِلْمِ تَكْوِينِهِ وَبَدْئِهِ، وَيَعْرِفُهُ بِتَقَلُّبِهِ مِنْ
 حَالٍ إِلَى حَالٍ، وَمَا عَانَاهُ مِنْ امْتِحَانٍ مَوْلَاهُ لَهُ فِي تَقْصِيرِهِ عَمَّا^(١)
 افْتَرَضَهُ عَلَيْهِ وَأَمَرَهُ بِهِ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَتَخَلَّصُ مِنْ جَمِيعِ مَا كَانَ عَلَيْهِ
 وَيَكُونُ لَهُ إِنْ شَاءَ أَنْ يَغِيبَ وَإِنْ شَاءَ أَنْ يَحْضُرَ، وَأَنْ يَحُلَّ شَرْقًا أَوْ
 غَرْبًا أَوْ سَمَاءً أَوْ أَرْضًا وَيَعْلَمُ حَيْثُ يَحُلُّ مَوْلَاهُ وَحِجَابُهُ وَبَابُهُ، فَإِذَا
 أَرَادَ حُضُورَهُ حَضَرَ أَوْ أَحَبَّ مَقَامَهُ^(٢) فِي مَكَانٍ مِنَ الْأَمْكِنَةِ أَقَامَ وَإِنْ
 أُنْسَ إِلَى الْبَشَرِيَّةِ فَيُؤْنِسُهُمْ بِنَفْسِهِ وَيَعْرِفُهُمْ وَيَشْهَدُ لَهُمْ وَيَعْرِفُونَهُ
 حَتَّى يَكُونَ لَهُ أَنْ يَجْلِسَ بَيْنَ أَقْوَامٍ يُحَادِثُهُمْ وَيُكَلِّمُهُمْ، بِلِسَانٍ مِنْ

^(١) في نسخة أخرى: عَمَّا، والأصح "مِمَّا" حتى يستقيم المعنى والله أعلم.
^(٢) في نسخة أخرى: إقامته.

الْأَلْسُنِ الْجَارِيَةِ بَيْنَهُمْ، وَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ فَلَا يَرَوْنَهُ، وَلَا يَعْلَمُونَ بِهِ
 وَلَا كَيْفَ مَضَى وَيَشْهَدُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، أَنَّهُ كَانَ يُكَلِّمُهُمْ.

وَهَذَا هُوَ يَا مُفَضَّلُ الْقَوْلُ الَّذِي يَقُولُهُ هَذَا الْعَالَمُ إِذَا جَرَى لَهُمْ
 خِطَابٌ مَعَ بَشَرٍ مِثْلِهِمْ، وَأَفْحَمَهُمْ وَظَهَرَ عَلَيْهِمْ بِالْحُجَّةِ، وَأَتَى بِمَا لَا
 تَحْتَمِلُهُ قُلُوبُهُمْ وَمَا لَمْ يَسْمَعُوا بِمِثْلِهِ قَطُّ، وَذَلِكَ الْمُتَكَلِّمُ عِنْدَهُمْ دُونَ
 تِلْكَ الْمَنْزِلَةِ مِنْ حَيْثُ الذِّكَاءُ وَالْفَهْمُ وَالذَّرَايَةِ، لَا يَعْهَدُونَ لَهُ فِي
 الْخِطَابِ قَوْلًا صَوَابًا وَلَا حُجَّةً وَافِيَةً فَإِذَا أَتَى ذَلِكَ الَّذِي هُوَ عَاجِزٌ
 عِنْدَهُمْ، وَبَدَرَ فِي مَقَالَتِهِ ^(١) لَدَيْهِمْ بِذَلِكَ الْقَوْلِ الَّذِي لَا تَحْتَمِلُهُ
 قُلُوبُهُمْ، يَقُولُونَ لَهُ تَعَجُّبًا: مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا الْقَوْلُ؟ مَا هَذَا مِنْ
 كَلَامِكَ، وَمَا جِئْتَ بِمِثْلِهِ قَطُّ مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا وَمَنْ عَلَّمَكَ إِيَّاهُ؟

وَيَقُولُونَ أَيْضًا إِذَا جَرَى لَهُمْ مِثْلُ مَا شَرَحْتُ لَكَ قَوْلًا ثَانِيًا مِنْ
 تَعَجُّبِهِمْ: أَمَّا الْكَلَامُ، فَهُوَذَا مَا سَمِعَ ^(٢)، وَأَمَّا الْإِنْسَانُ فَمَا نَرَى وَهُمْ
 صَادِقُونَ بِذَلِكَ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ هُوَ الْمُتَكَلِّمُ عَلَى ذَلِكَ اللَّسَانِ النَّاطِقِ

^(١) في نسخة أخرى: مقالتهم.
^(٢) في نسخة أخرى: ما تسمع.

لَيْسَ يَرُونَهُ، ثُمَّ يَقُولُونَ يَا مُفَضَّلُ كَلَامًا آخَرَ إِذَا جَرَى لَهُمْ مِثْلُ مَا
 شَرَحْتُ لَكَ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يَخْلِفُونَ وَيَقُولُونَ: وَاللَّهِ إِنَّا لَنَخْلِفُ أَنْ هَذَا
 الْكَلَامَ الَّذِي تَكَلَّمْتَ بِهِ لَيْسَ هُوَ مِنْكَ وَلَا مِنْ كَلَامِكَ، وَلَا هُوَ إِلَّا
 مِنْ كَلَامِ غَيْرِكَ وَهُمْ صَادِقُونَ بِذَلِكَ.

وَهَذِهِ يَا مُفَضَّلُ مَنَزَلَةٌ مِنْ جَاَزَ عَقَبَاتُ^(١) الصَّرَاطِ^(٢)، وَهُوَ غَيْرُ
 مَا ذَكَرُوهُ فِي ظَاهِرِهِمْ، أَنَّهُ إِذَا جَاَزَ^(٣) الْعَبْدُ الصَّرَاطَ دَخَلَ الْجَنَّةَ

^١ في نسخة أخرى: عقاب.
^٢ وهذا بيان معنى الصراط وأن حقيقته في أهل المراتب الذين لا جواز على الصراط إلا بهم، ويوافق هذا الشرح للصراط رواية في مختصر البصائر في أن الصراط لا يجاز والجنة لا تدخل إلا بالأوصياء والأولياء في كل زمان وهي كما جاءت: قيل للنبي ﷺ: من الولي يا نبي الله؟ فقال: وليكم في هذا الزمان علي ومن بعده وصيه، ولكل زمان عالم يحتج الله به لئلا يقول كما قال الضلال قبلهم حين فارقتهم أنبياءهم (رَبَّنَا لَوْ لَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَتَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنُخْزَى) بما كان من ضلالتهم وهي جهالتهم بالآيات وهم الأوصياء، فأجابهم الله عز وجل: (قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصَّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنْ اهْتَدَى) وإنما كان تربصهم أن قالوا: نحن في سعة من معرفة الأوصياء حتى نعرف إماماً، فغيرهم الله بذلك. فالأوصياء هم أصحاب الصراط وقوفاً عليه، لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه، لأنهم عرفاء الله عرفهم عليهم عند أخذه المواثيق عليهم، ووصفهم في كتابه فقال عز وجل: ﴿ وَ عَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ ﴾ وهم الشهداء على أوليائهم، والنبي ﷺ الشهيد عليهم، أخذ لهم مواثيق العباد بالطاعة، وأخذ النبي ﷺ ه عليهم الميثاق بالطاعة، فجرت نبوته عليهم، وذلك قول الله عز وجل: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً ﴾ * يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا . عن المفضل بن عمر، قال: سألت أبا عبد الله الصادق "ع" عن الصراط، فقال: هو الطريق إلى معرفة الله عز وجل، وهما صراطان: صراط في الدنيا، وصراط في الآخرة، فأما الصراط الذي في الدنيا فهو الإمام المفروض الطاعة، من عرفه في الدنيا، واقتدى بهداه أمر على الصراط (توضيح: أي هو أمام كل زمان وهو المؤمن من أهل المراتب الاعلى منك في المرتبة والذي تأخذ علمك منه وتأنم به حتى يرفعك) الذي هو جسر جهنم في الآخرة، ومن لم يعرفه في الدنيا زلت قدمه عن الصراط في الآخرة فتتردى في نار جهنم معاني الاخبار للصدوق
^٣ في نسخة أخرى: اجتاز.

وَالْحِنَّةُ هِيَ الْمَعْرِفَةُ الْحَقِيقِيَّةُ^(١)، غَايَةُ الْمَعْرِفَةِ وَالْمُنْتَهَى فِي الشَّيْءِ إِلَى غَايَتِهِ يَصِيرُ.

ثُمَّ أَنَّهُ يَا مُفَضَّلُ لَيَتَفَضَّلُ عَلَى مَنْ كَانَ دُونَهُ، مِمَّنْ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِمَعْرِفَتِهِ وَأَقَرَّ بِحَقِيقَتِهِ، حَتَّى يَكُونَ فِي صَفَائِهِ يُحِبُّ لِكُلِّ طَالِبٍ أَنْ يَصِلَ إِلَى مَا أَوْصَلَهُ مَوْلَاهُ إِلَيْهِ، وَبِذَلِكَ يَكْمُلُ لَهُ قَوْلُ مَوْلَاهُ: "لَا يَكُونُ الْمُؤْمِنُ مُؤْمِنًا حَقًّا، حَتَّى يَرْضَى لِأَخِيهِ الْمُؤْمِنِ مَا يَرْضَاهُ لِنَفْسِهِ".

وَإِنَّمَا عَنِ بِذَلِكَ أَهْلَ هَذِهِ الْمَنْزِلَةِ، الَّذِينَ قَدْ عَبَرُوا عَقَبَاتِ^(٢) الصَّرَاطِ وَبَلَغُوا إِلَى مَا شَرَحْتُهُ لَكَ مِنْ^(٣) تَفَضُّلِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ فِي أَوَّلِ دَرَجَةٍ مِنَ الْإِيمَانِ وَالَّذِينَ فِي الْبَشَرِيَّةِ، وَالَّذِينَ يَكُونُونَ بِهَذَا الْوَصْفِ، يَرْضَوْنَ لِإِخْوَانِهِمْ وَمَنْ هُوَ دُونَهُمْ فِي الْمَنْزِلَةِ مَا يَرْضَوْنَ لِنَفْسِهِمْ مِنْ حَالِ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا، وَيَكْرَهُونَ لَهُمْ مَا

^١ عن المفضل بن عمر، قال: سألت أبا عبد الله الصادق عزه عزه عن الصراط، فقال: هو الطريق إلى معرفة الله عز وجل معاني الأخبار للصدوق.

^٢ في نسخة أخرى: عقاب.

^٣ هذه الكلمة (من) غير موجودة في نسخة أخرى. من الأفضل وجودها حتى يستقيم المعنى.

يَكْرَهُونَ لِأَنْفُسِهِمْ وَكُلَّمَا رَقَّوْا إِلَى مَنَزِلَةٍ وَأَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِنِعْمَةٍ
 أَحَبُّوا أَنْ يَكُونَ مَنْ هُوَ دُونَهُمْ مَعَهُمْ فِيهَا، فَإِذَا رَأَيْتَ الْمُسْلِمَ الدَّاخِلَ
 بِهَذَا الْأَمْرِ، الْمُقَرَّرَ بِالْمَعْرِفَةِ فِي هَذِهِ الصِّفَةِ، وَعَلَى هَذِهِ الْمَوَاطَبَةِ، فَاشْهَدْ
 لَهُ بِسُرْعَةِ الصَّفَاءِ وَالتَّخَلُّصِ مِنَ الْبَشَرِيَّةِ، وَإِذَا كَانَ لَا يُحِبُّ لِأَخِيهِ مَا
 يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، وَلَا يَرَى لَهُ مَا يَرَاهُ لِنَفْسِهِ، وَلَا يَخْتَارُ لَهُ مَا يَخْتَارُهُ لِنَفْسِهِ
 وَلَا يَكْرَهُ لَهُ مَا يَكْرَهُهُ لِنَفْسِهِ مِنْ حَالِ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا، فَاشْهَدْ عَلَيْهِ
 بِبُعْدِ الصَّفَاءِ وَالتَّخَلُّصِ، وَإِنَّ مَنْ يُسَاوِي أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ لِنَفْسِهِ ^(١) فِي
 جَمِيعِ أَحْوَالِهِ، لَا يُرَدُّ فِي الْبَشَرِيَّةِ غَيْرَ قَمِيصٍ وَاحِدٍ وَكَمْ بَيْنَ مَنْ يُرَدُّ
 مَرَّةً وَاحِدَةً، وَبَيْنَ مَنْ يُرَدُّ مِائَةً مَرَّةً! هَذَا يَا مُفَضَّلُ، وَلَمْ يَزِدْ صَاحِبُ
 الْمِائَةِ كَرَّةٍ عَلَى كَرَّاتِهِ ^(٢) وَلَمْ يَنْقُصْ صَاحِبُ الْكَرَّةِ الْوَاحِدَةِ، وَيُرْفَعُ إِلَى
 عَالَمِ الصَّفَاءِ.

^(١) في نسخة أخرى: لِنَفْسِهِ، والأصح بنفسه. ويمكن أن تأتي العبارة صحيحة أيضًا بشكل آخر: وَإِنَّ مَنْ يُسَاوِي أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ نَفْسَهُ.
^(٢) في نسخة أخرى: كَرَّتِهِ.

صَاحِبُ الْكُرَّةِ الْوَاحِدَةِ:

٣٧

قَالَ الْمُفَضَّلُ مِنْهُ السَّلَامُ: فَقُلْتُ: يَا مَوْلَايَ، إِنَّ الْمُسْلِمَ الْمُقَرَّرَ
 الدَّخِلَ فِي هَذَا الْأَمْرِ يَصْفُو فِي كُرَّةٍ وَاحِدَةٍ، وَيَخْرُجُ عَنِ الْبَشَرِيَّةِ
 وَيَصِيرُ نُورَانِيًّا، وَيَرْقَى فِي هَذِهِ الْمَنَازِلِ بِغَيْرِ هَذِهِ الْعَقَبَاتِ؟ ^(١) فَقَالَ:
 نَعَمْ يَا مُفَضَّلُ، إِنَّ مَوْلَاكَ لَيُوجِبُ لِلْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ الْمُقَرَّرِ هَذَا فِي قَالِبٍ
 وَاحِدٍ وَذَلِكَ، إِذَا خَرَجَ مِنْهُ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ مُطَالَبَةٌ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
 فِي حَقِّ يَسْتَوْجِبُهُ مِنْهُ عَلَيْهِ، وَلَا قَصَرَ عَنْ ^(٢) أَمْرِ مَوْلَاهُ، بَلْ قَامَ بِهِ
 حَقُّ الْقِيَامِ فَإِنَّهُ يَسْتَوْجِبُ أَنْ لَا يَكِرَّ فِي قَمِيصٍ آخَرَ غَيْرَ مَرَّةٍ وَاحِدَةٍ
 فَقُلْ لَهُمْ يَا مُفَضَّلُ يُجْهِدُونَ أَنْفُسَهُمْ لِيَكُونُوا كَمَا ذَكَرْتُ لَكَ وَيَسْأَلُونِي
 التَّوْفِيقَ.

قَالَ الْمُفَضَّلُ مِنْهُ السَّلَامُ: يَا مَوْلَايَ، مَا كُنْتُ لِأَعْلَمَ بِأَنَّ أَحَدًا
 يَبْلُغُ رِضَاكَ بِهَذِهِ الْحَالَةِ وَهَذِهِ السَّرْعَةِ، فَقَالَ: يَا مُفَضَّلُ، أَمَا عَلِمْتَ

^(١) في نسخة أخرى: العقاب.
^(٢) في نسخة أخرى: في

أَنَّ السَّيِّدَ الْأَكْبَرَ قَالَ مُسْمِعًا مَنْ حَضَرَ: "إِنَّ الْكُفْرَ أَخْفَى مِنْ دَيْبِ
 النَّمْلِ، وَالْإِيمَانَ أَخْفَى وَأَخْفَى"

فَتَفَكَّرْ يَا مُفَضَّلُ بِهَذَا، مَتَى تَجِدُ مَنْ يَكُونُ سَالِمًا مِنْ كُلِّ ذَلِكَ؟
 طُوبَى لِمَنْ وَفَّقَ حَتَّى يَكُونُ فِيهِ مِنْ دَلَائِلِ الْإِيمَانِ، بَعْضُ مَا وَصَفْتُهُ
 لَكَ.

قَالَ الْمُفَضَّلُ مِنْهُ السَّلَامُ: فَقُلْتُ: يَا سَيِّدِي، أَعُوذُ بِكَ مِنَ الزَّيْعِ
 وَالزَّلَلِ، فَلَا طَاقَةَ لِي بِحِمْلِ مَا تُحْمَلُنِي. فَقَالَ: يَا مُفَضَّلُ، وَإِذَا خَلَصَ
 هَذَا الْعَبْدُ الْعَارِفُ الْعَابِدُ مِنْ عَقَبَاتِ^(١) الصِّرَاطِ، وَوَصَلَ إِلَى تِلْكَ
 الْجَنَّةِ^(٢) فَعَلَيْهِ هُنَاكَ حُقُوقٌ وَاجِبَةٌ وَأُمُورٌ لَا زِمَةَ لَا يَسَعُهُ التَّخَلُّفُ
 عَنْهَا. قَالَ الْمُفَضَّلُ مِنْهُ السَّلَامُ: فَقُلْتُ: وَأَيُّ شَيْءٍ هِيَ يَا مَوْلَايَ؟
 فَقَالَ: إِنَّهُ إِذَا بَلَغَ تِلْكَ الْمَنْزِلَةَ^(٣) وَعَرَفَ مَا صَارَ إِلَيْهِ، وَمَا تَفَضَّلَ اللَّهُ
 بِهِ عَلَيْهِ يَسْأَلُ مَوْلَاهُ أَنْ يُعَرِّفَهُ جَمِيعَ مَنْ فِي شَرْقِ الْأَرْضِ وَغَرْبِهَا

^١ في نسخة أخرى: عقاب
^٢ في نسخة أخرى توجد زيادة: المعرفة
^٣ في نسخة أخرى: إِنَّهُ إِذَا بَلَغَ تِلْكَ الْمَنْزِلَةَ، وربما الأصح: إِذَا بَلَغَ (العبد) تِلْكَ الْمَنْزِلَةَ بدون (إِنَّهُ).

وَسَمَائِهَا وَأَرْضِهَا، مِمَّنْ قَدْ أَقَرَّ لِلْمَعْنَى بِالْوَحْدَانِيَّةِ، وَلِحِجَابِهِ بِالْإِسْمِيَّةِ
 وَلَوْلِيَّهِ بِالْبَابِيَّةِ، فَيَعْرِفُهُ ذَلِكَ، فَإِذَا عَرَفَهُ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَزُورَ أَهْلَ
 التُّورَانِيَّةِ بِالمُشَاهَدَةِ^(١)، وَأَهْلَ الْبَشَرِيَّةِ بِالمُجَانَسَةِ وَيَسْأَلُ مَوْلَاهُ لِكُلِّ
 وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى قَدَرِ مَنْزِلَتِهِ فِي الْمَعْرِفَةِ بِالتَّوْفِيقِ وَالْقَبُولِ.

زِيَارَتُهُ لِأَهْلِ الْبَشَرِيَّةِ:

قَالَ الْمُفَضَّلُ مِنْهُ السَّلَامُ: فَقُلْتُ: فَهَيْتُ عَنْكَ يَا مَوْلَايَ أَنَّهُ
 نُورَانِي يَزُورُ أَهْلَ التُّورَانِيَّةِ بِجَوْهَرِهِ الَّذِي هُوَ مِنْ جَوْهَرِهِمْ، فَكَيْفَ
 زِيَارَتُهُ لِأَهْلِ الْبَشَرِيَّةِ؟ فَقَالَ: يَا مُفَضَّلُ، يَكُونُ لِذَلِكَ الْبَشَرِيِّ أَخٌ
 أَوْ صَدِيقٌ مُحِبٌّ يُحِبُّ قُرْبَهُ مِنْهُ وَيَأْنَسُ إِلَيْهِ، فَيَأْتِي الشَّخْصَ التُّورَانِيَّ
 إِلَيْهِ بِصُورَةِ ذَلِكَ الْأَخِ أَوْ الصَّدِيقِ، فَيَجْلِسُ مَعَهُ وَيُحَادِثُهُ وَيُؤَانِسُهُ
 وَرُبَّمَا أَكَلَ مَعَهُ وَشَرِبَ ثُمَّ يَنْصَرِفُ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ، حَتَّى لَا يَدَعَ يَوْمًا
 دُونَ أَنْ يَأْتِيَ فِيهِ إِلَى بَعْضِ مَنْ عَرَفَهُ بِهِ مَوْلَاهُ وَأُطْلِعَهُ عَلَيْهِ، فَإِذَا زَارَ
 أَحَدَهُمْ وَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ يَقُولُ ذَلِكَ الرَّجُلُ الْبَشَرِيُّ: مَا رَأَيْتُ أَسَرَّ

^(١) في نسخة أخرى: المُشَاهَدَةُ.

مِنْ يَوْمِي هَذَا، لَقَدْ سُرِرْتُ بِهَذَا الصَّدِيقِ سُورًا لَمْ أُسَرِّ بِمِثْلِهِ مَعَ أَحَدٍ
 قَطُّ فَيَقُولُ لَهُ قَائِلٌ: بِاللَّهِ عُدَّ عَنْ هَذَا وَلَا تَذْكُرْهُ لئَلَّا يُصِيبُوهُ بِالْعَيْنِ
 فَيُمْسِكُ عَنْ ذَلِكَ وَيَتَنَاسَاهُ، وَهَكَذَا، لَا يَزَالُ ذَلِكَ الشَّخْصُ النُّورَانِيَّ
 يَزُورُ جَمِيعَ مَنْ عَرَّفَهُ بِهِ مَوْلَاهُ، فَقُلْتُ: يَا مَوْلَايَ، أَوْ يَطْعَمُ الطَّعَامَ؟
 فَقَالَ: نَعَمْ، إِنَّهُ هُوَ أَحَبُّ ذَلِكَ وَأَرَادَهُ، وَإِلَّا يُرِي (١) أَنَّهُ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ
 وَهُوَ لَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ.

دِقَّةُ الصِّرَاطِ:

ثُمَّ قَالَ مَوْلَايَ عَزَّ عِزُّهُ: يَا مُفَضَّلُ، وَدِقَّةُ الصِّرَاطِ هَلْ عَلِمْتَ مَا
 هِيَ؟ قُلْتُ: لَا يَا مَوْلَايَ، إِلَّا بِفَضْلِكَ. فَقَالَ: إِنَّ دِقَّتَهُ عَظِيمَةٌ،
 وَصُعُوبَتُهُ أَعْظَمُ، وَكُلَّمَا عَظُمَ، صَعُبَ وَدَقَّتْ مَعْرِفَتُهُ وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا
 وُصِفَ لَكَ شَخْصٌ بَشَرِيٌّ، وَقَالَ لَكَ قَائِلٌ: بَلْ هُوَ مَلَكٌ نُورَانِيٌّ هَلْ
 يَدِقُّ عَلَيْكَ مَعْرِفَةُ ذَلِكَ، وَيَعْظُمُ عِنْدَكَ وَيَصْعُبُ عَلَيْكَ؟ قُلْتُ: هُوَ
 كَذَلِكَ يَا مَوْلَايَ، قَالَ: فَإِذَا قِيلَ لَكَ: إِنَّ شَخْصًا بَشَرِيًّا رَبُّ خَالِقِ

(١) ويصح: يُوري. أي يُظهر



رَازِقُ أَيُّهُمَا يَكُونُ أَدَقُّ وَأَعْظَمَ وَأَصْعَبَ مَعْرِفَةً عَلَى حَامِلِهِ، هَذَا أُمُّ
 ٤١ الْأَوَّلَ؟ فَقُلْتُ: بَلْ هَذَا يَا مَوْلَايَ أَصْعَبُ وَأَعْظَمُ وَأَدَقُّ، فَقَالَ: وَإِنْ
 قِيلَ لَكَ: إِنَّ رَبًّا خَالِقًا رَازِقًا مُحْيِيًا مُمِيتًا لَهُ الْقُدْرَةُ وَالْمَشِيئَةُ
 وَالتَّكْوِينُ، هُوَ شَخْصٌ بَشَرِيٌّ عَاجِزٌ مَقْهُورٌ مُضْطَّهَدٌ مَقْتُولٌ مُحْمُولٌ
 أَيْنَ تَكُونُ هَذِهِ الْمَنْزِلَةُ مِنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ؟ فَقُلْتُ: يَا مَوْلَايَ هَذِهِ
 تَكُونُ أَدَقُّ وَأَعْظَمَ وَأَصْعَبَ عَلَى حَامِلِهَا، فَقَالَ: وَمِنْ دِقَّتِهِ، إِظْهَارُهُ
 فِيهِمُ الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ، وَهُوَ يَنْفِي ذَلِكَ عَنْ نَفْسِهِ فِي كِتَابِهِ وَيَقُولُ:
 ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ﴾^(١)

وَقَوْلُهُ: ﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾^(٢)
 وَقَوْلُهُ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾^(٣)
 وَقَوْلُهُ: ﴿قَالَتِ الْيَهُودُ عِزِّيُّ ابْنُ اللَّهِ﴾^(٤)
 وَقَوْلُهُ: ﴿قَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾^(٥)

١ المؤمنون . الآية ٩١
 ٢ الجن . الآية ٣
 ٣ المائدة . الآية ١٨
 ٤ التوبة . الآية ٣٠
 ٥ التوبة . الآية ٣٠

وَفِي سُورَةِ التَّوْحِيدِ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾^(١)

وَقَدْ أَوْجَدَ الْوَالِدَ وَالْأُخُوَّةَ وَالْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ فَأُورَى^(٢) أَنَّ لَهُ وَالِدًا
 وَأُخُوَّةً وَأَزْوَاجًا^(٣) وَشُرَكَاءَ فِي الْمُلْكِ، فَأَيُّ هُوَ أَدَقُّ مِنَ الْوُجُوهِ هَذَا أَمْ مَا
 تَقَدَّمَ؟ وَكُلُّ ذَلِكَ، لِيَتَّضِحَ لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ أَنَّهُ اخْتِبَارٌ^(٤)، لِكَيْ يُحَقِّقَ بِهِ
 الْحَقَّ، وَيُبْطِلَ بِهِ الْبَاطِلَ، وَيُمَيِّزَ بِهِ مَا بَيْنَ الْحَبِيثِ وَالطَّيِّبِ، لِيَتَّصِلَ
 الْحُجَّةُ مِنْ جَمِيعِ وَجُوهِ الْحَقِّ بِالْإِعْذَارِ^(٥) وَالْإِنْذَارِ، فَقُلْتُ: مَا أَدَقُّ هَذَا
 الصَّرَاطَ وَأَعْظَمَهُ وَأَصْعَبَهُ! فَقَالَ: يَا مُفَضَّلُ، قِيلَ أَنَّهُ أَحَدٌ مِنَ السَّيْفِ
 وَأَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ، فَقُلْتُ: يَا مَوْلَايَ كَذَا يَقُولُونَ أَنَّهُ أَحَدٌ مِنَ السَّيْفِ
 وَأَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ.

^١ الإخلاص. الآية ١٤

^٢ في النسخ: فأرى. والأصح: فأورى. في حديث الإمام علي عَزَّ عَزُّهُ: "حتى أوزى قَبَسًا لِقَابِس"، أي أظهر نورًا من الحق لطالبه وكقول الخصبي:
والله يوري ظهوره في مشيته في كل جنس من الأجناس والعدد.

^٣ في نسخة أخرى: وأزواج. والأصح وأزواجا.

^٤ المولى سبحانه عندما ظهر للخلق أظهر لهم العجز في عيون الناظرين، وهي كالظلم والقهر والإضطهاد، ولكن أخبر المؤمنين أن ينزهوه عما
شاهدوه في أعينهم وهو بخلاف ذلك وأنه اختبار لهم ومحنة، وقد روى صاحب بصائر الدرجات، أن خَالِدَ الْجَوَازِ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى أَبِي الْحَسَنِ (الكاظم)
عزَّه و هو في عَرْصَةِ دَارِهِ وَهُوَ يَوْمِئِذٍ بِالرَّمْيَةِ فَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَيْهِ قُلْتُ يَا أَبَايَ أَنْتَ وَأَيُّيَ يَا سَيِّدِي مَظْلُومٌ مَغْضُوبٌ مُضْطَهَدٌ فِي نَفْسِي ثُمَّ
دَنَوْتُ مِنْهُ فَقَبَّلْتُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَجَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَالْتَفَتَ إِلَيَّ فَقَالَ: يَا ابْنَ خَالِدٍ نَحْنُ أَعْلَمُ بِهَذَا الْأَمْرِ فَلَا تَتَصَوَّرْ هَذَا فِي نَفْسِكَ قُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ
وَاللَّهِ مَا أَرَدْتُ بِهَذَا شَيْئًا فَقَالَ: نَحْنُ أَعْلَمُ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ غَيْرِنَا لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَلْبِسَ الْإِنِّاءَ وَإِنْ لِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ مُدَّةٌ وَغَايَةٌ لَا بُدَّ مِنَ الْإِنْتِهَاءِ إِلَيْهَا قَالَ فَقُلْتُ لَا
أَعُودُ وَأَصْبِرُ فِي نَفْسِي شَيْئًا أَبَدًا فَقَالَ لَا تَعُدْ أَبَدًا.
^٥ في نسخة أخرى: بالإعذار. والأصح بالاعذار.

حَدَّةُ الصِّرَاطِ:

فَقَالَ: أَمَّا شَرْحُ دِقَّتِهِ، فَقَدْ عَرَفْتَهُ أَخْبِرْنِي أَنْتَ بِحِدَّتِهِ، إِذْ قَدْ
 عَرَفْتَ دِقَّتَهُ. فَقُلْتُ: يَا مَوْلَايَ، مِنْ أَيْنَ لِعَبْدِكَ سَبِيلٌ إِلَى الْكَلَامِ عَنْ
 هَذَا الْوَصْفِ، وَأَنْتَ غَايَةُ كُلِّ غَايَةٍ، وَمَعْدِنُ كُلِّ فَضِيلَةٍ وَإِحْسَانٍ. فَقَالَ
 مَوْلَايَ **عَزَّ عِزُّهُ**: يَا مُفَضَّلُ، حِدَّتُهُ إِطْلَاقُ اللَّفْظِ بِهِ فَإِنَّهُ مَا دَامَ
 مَكْنُونًا مَخْفِيًّا عَنِ التَّصْرِيحِ، فَلَيْسَ عَلَى مُخْفِيهِ خَوْفٌ مِنْ مَالِكِهِ لِأَنَّهُ
 عِنْدَ مَالِكِهِ ذُو دِقَّةٍ وَكِتْمَانٍ وَصِيَانَةٍ وَحِفْظٍ وَحَذَرٍ وَالْخَوْفُ عَلَيْهِ مِنْ
 أَنْ يَقَعَ إِلَى غَيْرِ مُسْتَحِقِّهِ، فَيَأْخُذَ شِبْهَ الزَّنَا وَالْخِدَاعِ، وَيُرِي أَنَّهُ
 مُشْفِقٌ عَلَيْهِ وَإِنْ اضْطَرَّ وَطُولِبَ بِإِقَامَةِ الْوَاجِبِ فِيهِ، هَتَفَ بِهِ إِلَى
 الْعَالَمِ وَشَنَعَ عَلَى أَهْلِهِ، وَأَضَافَ إِلَيْهِمْ مَا لَيْسَ فِيهِمْ وَسَعَى بِهِمْ إِلَى طُغَاةِ
 الْوَقْتِ، فَيَكُونُونَ بِحَالِ التَّلَفِ، وَيَكُونُ ذَلِكَ الْمُلْقِي اللَّفْظِ إِلَى مَنْ
 تَصِيرُ هَذِهِ حَالَتُهُ، قَدْ بَدَّرَ، وَأَعْطَى، وَكَشَفَ مَا أَمَرَ بِسُتْرِهِ وَصِيَانَتِهِ،
 فَاسْتَوْجَبَ بِذَلِكَ مِنْ مَوْلَاهُ أَلِيمَ الْعَذَابِ وَشَدِيدَ الْعِقَابِ، مِنَ الدُّلِّ
 وَالْفَقْرِ وَالْجَهْدِ وَالنَّصَبِ، وَيَنْحَطُّ عَنْ دَرَجَتِهِ الَّتِي كَانَ قَدْ قَرَّبَ فِيهَا

إِلَى التَّخْلِصِ فَالْحِدَّةُ هِيَ إِطْلَاقُ ذَلِكَ اللَّفْظِ إِلَى الْمُلْقَى إِلَيْهِ الْمَعْرِفَةُ،
 فَإِنَّهُ إِذَا أَطْلَقَهُ بِلِسَانِهِ، فَلَيْسَ يُمَكِّنُ^(١) رَدُّهُ إِلَى مَعْدِنِهِ الَّذِي خَرَجَ
 مِنْهُ.

وَأَعْلَمَ يَا مُفَضَّلُ، أَنَّ فِي وَصْفِ الرَّجُلِ إِذَا كَانَ عَارِفًا^(٢) مُحْجَاجًا
 جَدَلًا^(٣)، يَقُولُونَ لِفُلَانٍ لِسَانُ أَحَدٍ مِنَ السَّيْفِ، وَيُخْرِجُ فُلَانٌ مِنْ
 لِسَانِهِ كَلَامًا أَشَدَّ مِنَ الصَّخْرِ وَالصَّوَاعِقِ. وَإِذَا تَنَاهَى الْعَالَمُ فِي وَصْفِ
 السُّيُوفِ وَنُعُوتِهَا، وَشِدَّةِ حَدِّهَا وَذَرَابَتِهَا^(٤) يَقُولُونَ: سَيْفٌ صَاعِقَةٌ
 وَذَلِكَ لِحِدَّةِ فِعْلِهِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ
 يَشَاءُ﴾^(٥) وَيُقَالُ أَيْضًا: كَلَامٌ أَشَدُّ مِنَ الصَّخْرِ وَكُلُّ نَعْتٍ بِالشِّدَّةِ، فَهُوَ
 مِنْ أَنْوَاعِ الْحَدِيدِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ
 لِلنَّاسِ﴾^(٦)

^١ في نسخة أخرى: عنده.
^٢ في نسخة أخرى: (ذَرِيًّا، مُتَقَرِّفًا). ذَرِيًّا: مُكْتَرًا.
^٣ في نسخة أخرى: مُحْجَاجًا وَجَدَلًا: أَيِ الرَّجُلِ الْكَثِيرِ الْاِحْتِجَاجِ، وَالْجَدَلِ.
^٤ في نسخة أخرى: ذَرَابَتِهَا. وَالْأَصَحُّ ذَرَابَتِهَا.
^٥ الرعد. الآية ١٣
^٦ الحديد. الآية ٢٥

وَيُقَالُ لِلْمُقَاتِلِ إِذَا أَخْرَجَ السَّيْفَ مِنْ غِمْدِهِ لِيَضْرِبَ بِهِ: رُبَّمَا
 أَوْضَحْتَ الضَّرْبَةَ، وَرُبَّمَا أَثَرَتْ أَثَرًا خَفِيفًا، وَرُبَّمَا نَبَا السَّيْفُ وَلَمْ
 يَعْمَلْ شَيْئًا، وَكَذَلِكَ إِذَا أَلْقَى الرَّجُلُ الْمُؤْمِنُ إِلَى رَجُلٍ كَلِمَةَ الْإِخْلَاصِ
 قَتَلَهُ بِالْمَعْرِفَةِ لَهَا، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا
 أَنْفُسَكُمْ﴾^(١) لِأَنَّ قَتْلَ الْمُؤْمِنِ بِالْمَعْرِفَةِ لِبَارِيهِ هُوَ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ
 وَقَالَ السَّيِّدُ مُحَمَّدٌ الْأَكْبَرُ عَزَّ عِزُّهُ: "الْمَوْتُ رَاحَةٌ وَرُبَّ مَيِّتٍ اسْتَرَّاحَ"
 وَالْمَوْتُ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الرَّبِّ، لِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ
 الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾^(٢) وَكَانَتْ هَذِهِ يَا
 مُفَضَّلُ إِشَارَةً إِلَى مَوْلَاكَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ^(٣) جَلَّ جَلَالُهُ، لِأَنَّهُ كَانَ
 مَنْظُورًا مُعَايِنًا مُشَاهِدًا بِهَذِهِ الصِّفَةِ.

وَأَمَّا الْمَوْتُ الْفَنَاءُ، وَالْمَيِّتُ الْفَانِي بَعْدَ أَنْ تَخْرُجَ رُوحُهُ مِنْهُ، فَلَا
 يَرَى شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُ شَيْئًا، بَلْ يَبْقَى جِيفَةً مُلْقَاةً، وَاللَّهُ أَجَلُ مَنْ أَنْ
 يُخَاطَبَ جِيفَةً لَا تَعْقِلُ وَلَا تَنْطِقُ وَلَا تَسْمَعُ وَلَا تُبْصِرُ وَلَا تُحِسُّ،

^١ البقرة. الآية ٥٤

^٢ آل عمران. الآية ١٤٣

^٣ فأينما تولوا فثم وجه الموت، روى المجلسي في بحاره عن مولانا أمير المؤمنين عز عزه أنه قال: أنا الموت المميت خواص المنيات. فمن لم ينفعه التلويع لم ينفعه التصريح.

وَأَمَّا الَّذِي يُوضِحُ بِضَرْبِ السَّيْفِ: فَرُبَّمَا أَطْلَقَ إِلَى رَجُلٍ كَلِمَةً
 الْإِخْلَاصِ فَتَنَقَّدِحُ لَهُ عَنْ مَعَانٍ يَحْتَاجُ إِلَيْهَا، وَيَتَّضِحُ لَهُ مِنْهَا صِحَّةُ مَا
 أَلْقَاهُ إِلَيْهِ وَأَمَّا الَّذِي يَكُونُ عِنْدَهُ ضَرْبُ السَّيْفِ يُؤَثِّرُ أَثَرًا خَفِيفًا:
 فَإِنَّهُ إِذَا أُلْقِيَ إِلَى رَجُلٍ مَعْرِفَةَ الْحَقِّ، لَمْ تَتْرُكْ فِي قَلْبِهِ إِلَّا شَيْئًا يَسِيرًا،
 فَإِنْ أَزْهَقَ مِنْ حَالٍ خَرَجَ عَنِ الْكَلِمَةِ ^(١) لِأَنَّهَا غَيْرُ مُتَمَكِّنَةٍ فِيهِ، وَأَمَّا
 الَّذِي يَكُونُ السَّيْفُ يَنْبُو لَدَيْهِ: فَإِنَّهُ إِذَا أَطْلَقَ اللَّفْظَ إِلَى رَجُلٍ لَا
 يَكُونُ لَهُ فِيهِ غَرَضٌ وَلَا يَتَحَقَّقُهُ، وَلَا يَعْأُ بِهِ، فَيَمُرُّ النُّطْقُ عَلَى أُذُنِهِ
 صَفْحًا، كَمَا يَمُرُّ السَّيْفُ مِنَ الضَّارِبِ صَفْحًا. وَلَا حِدَّةَ أَشَدُّ مِمَّا
 شَرَعْتُهُ لَكَ، فَكَمْ مِنْ طَالِبٍ حُجَّةٍ قَعَدَ عِنْدَ إِضْوَاجِ الْمَنْهَجِ لَهُ،
 وَقَصَرَ عَمَّا قَصَدَ إِلَيْهِ وَرَغِبَ عَنْ مَسْأَلَتِهِ، وَرَجَعَ عَنْ رُشْدِهِ، وَكَمْ مِنْ
 عَاقِلٍ فَطِنٍ عَرَفَ مَا أُلْقِيَ إِلَيْهِ مِنْ رُشْدِهِ، وَاسْتَنْبَطَ سَرَائِرَ دِينِهِ، وَقَصَدَ
 نَحْوَهُ، وَأَصْغَى إِلَيْهِ، وَعَدَلَ عَنْ جَمِيعِ هَمِّهِ، وَجَدَّ فِي طَلَبِهِ، وَجَعَلَهُ
 مَعْوَلًا يُعَوَّلُ عَلَيْهِ وَيَقْصِدُ نَحْوَهُ وَذَلِكَ بِحَيْثُ شَرَحْتُ لَكَ مِنْ
 اسْتِحْقَاقِهِ، وَإِنَّمَا مَثَلُ الْعَالَمِ فِي ذَلِكَ كَمَثَلِ بَذَارٍ بَذَرْتُهُ يَدٌ وَاحِدَةً فِي

وَقْتُ وَاحِدٍ، وَغُذِّي بِغِذَاءٍ وَاحِدٍ وَتَنَاهَى بِهِ زَمَانٌ وَاحِدٌ فَلَمَّا كَانَ
 وَقْتُ يَنْعِهِ، سَبَقَ بَعْضُ فَعْدُبٍ وَطَابَ وَتَخَلَّفَ بَعْضُ فَخْبَتْ وَكَدَرَ،
 وَهَكَذَا الْعَالَمُ يَا مُفَضَّلُ كَوْنٌ وَاحِدٌ لَوَقْتٍ وَاحِدٍ، بِقُدْرَةٍ وَاحِدَةٍ، فَلَمَّا
 ظَهَرَ لَهُمُ الْمَكُونُ وَدَعَاهُمْ إِلَى ذَاتِهِ، أَجَابَ بَعْضُ، وَتَخَلَّفَ بَعْضُ،
 وَتَثَاوَلَ بَعْضُ فَمِنْ أَجَابَ عَذْبَ وَطَابَ، وَمَنْ تَخَلَّفَ أَتَنَ وَخَبَتْ
 فَكَانُوا الْمُنْكَرِينَ الْجَا حِدِينَ، وَكَانَ ذَلِكَ التُّطْقُ أَوَّلَ حِدَّةِ الصِّرَاطِ، ثُمَّ
 كَانَ ^(١) ذَلِكَ التُّطْقُ الْأَوَّلُ الَّذِي يَجْرِي عَلَى أَيْ لِسَانٍ كَانَ فِي الْعَالَمِ، هُوَ
 حِدَّةُ الصِّرَاطِ، لِأَنَّهُ إِلَى تِلْكَ الدَّعْوَةِ يُشِيرُ وَعَنْهَا يَلُوحُ فَاعْرِفْ هَذَا يَا
 مُفَضَّلُ وَلَا حِدَّةَ أَشَدُّ وَأَعْلَى وَأَعْظَمُ مِنْ مَقَامِ دَعْوَتِكَ إِلَى مَوْلَاكَ،
 وَإِظْهَارِكَ فِيهِمْ هَذَا الْخِطَابَ، وَأَنْ يَنْقُلُوهُ عَنْكَ فِي كُلِّ مَقَامٍ عِنْدَ
 ظُهُورِ شَخْصِكَ فِيهِمْ، وَبَثَّكَ هَذَا الْعِلْمَ لَهُمْ عِنْدَ وُجُودِكَ بَيْنَهُمْ،
 لِتَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ وَتُمَسِّكَهُمْ بِهِ إِلَى أَنْ يَأْذَنَ لَكَ مَوْلَاكَ بِالظُّهُورِ لَهُمْ
 عِنْدَ ظُهُورِهِ وَأَنَّهُ إِذَا كَانَ بَدْءُ دَعْوَةِ مَوْلَاكَ يُظْهِرُ الْقَادِرُ الْقَدِيمُ قُدْرَتَهُ
 بِظُهُورِ الْغَايَةِ.

^١ في نسخة أخرى: ثم كان (هو) ذلك. وفي بعض النسخ لا توجد (هو).

الصِّرَاطُ بَعْدَ غَيْبَةِ الْبَابِ:

٤٨

قَالَ الْمُفَضَّلُ مِنْهُ السَّلَامُ: فَقُلْتُ: يَا مَوْلَايَ، لَقَدْ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ
 وَعَلَى أَوْلِيَائِكَ الْمُؤْمِنِينَ، بِمَعْرِفَةِ الصِّرَاطِ وَشَرْحِهِ، فَإِذَا كَانَ أَوَانُ
 غَيْبَةِ بَابِكَ بِإِرَادَتِكَ، فَمَا يَكُونُ لِهَذَا الْعَالَمِ أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ وَالْاجْتِهَادِ
 مِنَ الصِّرَاطِ فِيهِمْ؟ فَقَالَ عَزَّ عِزُّهُ: يَا مُفَضَّلُ، يَكُونُ صِرَاطُهُمْ مَا قَدْ
 سَمِعْتَهُ مِنِّي تُخْرِجُهُ إِلَيْهِمْ ^(١) فَيَتَلَقَّوْنَهُ مِنْكَ وَعَنْكَ، وَيَسْتَوْدِعُونَهُ فِي
 صُحُفِهِمْ وَصُدُورِهِمْ، فَهَذَا صِرَاطُهُمْ، وَيَكُونُونَ ^(٢) لَذَلِكَ خَزَنَةً، قَدْ
 جَعَلَهُمُ اللَّهُ سَبَبًا لِنَجَاةِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، حَتَّى يُظْهَرَ لَهُمُ الدَّعْوَةُ فِي
 الرَّجْعَةِ الْبَيْضَاءِ.

وَاعْلَمْ يَا مُفَضَّلُ، أَنَّ كُلَّ عِلْمٍ بَاطِنٍ مِنْ عِلْمِ الْحَقِيقَةِ يَظْهَرُ لَهُمْ
 بَعْدَ تِلْكَ الْغَيْبَةِ، هُوَ صِرَاطُ الطَّالِبِ، يَسْلُكُهُ وَيَطْلُبُ قَصْدَهُ.

^١ فنقول للذين قالوا إن هذا الكتاب الشريف مكذوب على المفضل منه السلام وأنه لا يمت إليه بصلة قط، نقول لهم والرواية التي تترنمون بها وهي هذه عن المفضل بن عمر، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: اكتب وبث علمك في إخوانك، فإن مت فأورث كتبك بنيك، فإنه يأتي على الناس زمان هرج لا يأنسون فيه إلا بكتبهم (الكافي)

فأين كتب المفضل عندهم؟ أليس هذه الرواية توافق ما قاله مولانا الصادق في النص " تخرجه إليهم " ولكن كلا إنكم لفي ذلك لمحجوبون عنه حتى تُسلموا.

^٢ في نسخة أخرى: " يكون " والأصح كما أثبتناها: " يكونون ". لأن الحديث بكامله هنا يشير إلى المؤمنين.

وَقَدْ أَبَانَ عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ
 تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾^(١) فَإِنَّهَا أَسَاطِيرُ الْمَقَامَاتِ وَالْمَرَاتِبِ وَمَا
 جَرَى فِيهَا مِنَ الدَّلَائِلِ فِي وَقْتِ ظُهُورِ كُلِّ مَقَامٍ^(٢) اكْتُتِبَتْ وَاحْتُفِظَ
 بِهَا، فَلَمَّا كَانَ مَقَامُ الْغَيْبَةِ، قَامَ ذَلِكَ مَقَامَ الْمُشَاهَدَةِ وَلِأَنَّ الْأَخْبَارَ
 تُوجِبُ الْعِيَانَ، صَارَ ذَلِكَ لِأَهْلِ الْحَقِيقَةِ، صِرَاطًا وَمَنْهَجًا وَمَقْصَدًا
 وَمَسْلَكًا وَمَطْلَبًا يَسْعَوْنَ^(٣) إِلَيْهِ وَيُقِيمُونَ عِنْدَهُ، إِلَى وَقْتِ ظُهُورِ
 مَوْلَاكَ، فَيَكُونُ ذَلِكَ بِمَوْضِعِ مُشَاهَدَةِ الْمُمْلِي لِمَا كُتِبَ عَنْهُ، وَأُلْقِيَ
 إِلَيْهِمْ، فَصَارَ ذَلِكَ مَنْهَجًا وَمَقْصَدًا لِغَيْرِهِمْ، لِقَوْلِهِ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ
 الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٤) وَهُوَ مَا حَفِظُوهُ وَنَقَلُوهُ، وَأُلْقِيَ إِلَى الطَّالِبِينَ الْمُقَرَّرِينَ
 الْعَارِفِينَ لِقَصْدِ الْهِدَايَةِ بِهِ، فَأُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ: "اهْدِنَا
 الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ" أَيِ الَّذِي أُلْقِيَ إِلَيْنَا عَنْ أَهْلِ الْمَرَاتِبِ وَالْمَقَامَاتِ،
 أَلَا تَرَى مَا ثَنُوهُ بَعْدَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِمْ: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾^(٥)
 وَالَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ يَا مُفَضَّلُ: هُمْ أَنْتَ وَمَنْ أَشْهَدَهُمْ مَوْلَاكَ مَا

^(١) الفرقان. الآية ٥
^(٢) في نسخة أخرى: كل وقت ظهور "مقام وأعتقد أنه يجب إعادة صياغة العبارة كالآتي: "وقت ظهور كل مقام. حتى يستقيم المعنى
^(٣) في نسخة أخرى: يسلمون.
^(٤) الفاتحة. الآية ٦
^(٥) الفاتحة. الآية ٧



أَشْهَدُكَ وَهُمْ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَوْلَاكَ، مِثْلَ قَوْلِهِ: ﴿وَهُدُوا إِلَى
 الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾^(١)

فَالطَّيِّبُ مِنَ الْقَوْلِ: هُوَ التَّوْحِيدُ بِشَرْحِ الْبَاطِنِ صِرَاحًا وَكُشْفًا.

وَالصَّارِطُ الْحَمِيدُ: هُوَ غَايَةُ الْحَمْدِ لِمَنْ دُونَهُ مِنْ أَصْحَابِ
 الْمَرَاتِبِ وَالدرَجِ لِأَنَّ الْحَمْدَ هُوَ الْإِسْمُ مُحَمَّدٌ عَزَّ عِزُّهُ، وَالْغَايَةُ صِرَاطُهُ
 وَهُوَ صِرَاطٌ لِمَنْ دُونَهُ، أَيِ الْبَابِ، وَالْبَابُ صِرَاطُ الْعَالَمِ جَمِيعًا فِي كُلِّ
 زَمَانٍ وَأَوَانٍ وَدَهْرٍ وَحِينٍ وَمَعْرِفَةُ ذَلِكَ، أَنَّ الْبَابَ صِرَاطٌ لِكُلِّ طَالِبٍ
 مُرِيدٍ وَكُلِّ هُدًى فِي نُطْقِ الْكِتَابِ، مِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿اهْدِنَا﴾ فَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى
 الصَّارِطِ وَكَذَلِكَ كُلُّ سَبِيلٍ فَهُوَ الصَّارِطُ، مِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي
 أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾^(٢)

وَقَوْلُهُ: ﴿عَسَىٰ رَبِّي أَن يُهْدِيَني سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾^(١)
 وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُم
 فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾^(٢)

فَهَذَا خِطَابُ إِبْلِيسَ لِمَنْ أَجَابَ دَعْوَتَهُ بِلَا دَلِيلٍ وَلَا حُجَّةٍ
 فَأَجَابَ الْمُجِيبُونَ لَهُ فِي الْكُشْفِ عَلَيْهِ، أَنَّهُ هُوَ كَانَ الدَّاعِيَ لَهُمْ إِلَى
 تِلْكَ الضَّلَالَةِ بِقَوْلِهِمْ: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا
 السَّبِيلَا﴾^(٣)

فَقَالَ هُوَ حِينَما أَحَالُوا عَلَيْهِ بِذَلِكَ: ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُم مِّن
 سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُم فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا
 أَنْفُسَكُمْ﴾^(٤) إِذْ أَجَبْتُمْ مَنْ دَعَاكُمْ إِلَى مَا دَعَوْتُكُمْ إِلَيْهِ، مِنْ
 الْجُحُودِ، وَالْإِنْكَارِ وَالْكَفْرِ، وَمُخَالَفَةِ الْحَقِّ، بِلَا دَلِيلٍ وَلَا سَبِيلٍ
 وَذَلِكَ لَوْ أَنِّي دَعَوْتُكُمْ إِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ، لَقُلْتُ: إِنَّا لَا نُحِبُّ إِلَى ذَلِكَ

^(١) القصص . الآية ٢٢

^(٢) إبراهيم . الآية ٢٢

^(٣) الأحزاب . الآية ٦٧

^(٤) إبراهيم . الآية ٢٢

إِلَّا بِدَلِيلٍ وَسَبِيلٍ وَصِرَاطٍ، وَبُرْهَانٍ، وَإِقَامَةٍ حُجَجٍ، وَإِضَاحٍ مَنَهَجٍ
 بَظُهُورٍ مُعْجَزٍ وَوُجُودٍ مُعَايِنٍ مُشَاهِدٍ وَقَدْ دَعَاهُمْ مَنْ هُوَ مِثْلُهُمْ
 لِيَعْبُدُوهُ وَيَتَّخِذُوهُ رَبًّا فَقَالَ: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾^(١) وَأَجَابُوهُ إِلَى ذَلِكَ
 بِلَا دَلِيلٍ وَلَا سَبِيلٍ بَلْ دَعَاهُمْ فَأَجَابُوهُ، وَقَدْ دَعَاهُمْ أَيْضًا حِينَ قَالَ
 إِبْرَاهِيمُ وَهُوَ الْمَقَامُ: ﴿رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ﴾^(٢)
 فَأَجَابُوهُ إِلَى تِلْكَ الدَّعْوَةِ بِلَا دَلِيلٍ وَلَا سَبِيلٍ وَلَهُ مِثْلُ ذَلِكَ دَعَوَاتٌ
 كَثِيرَةٌ مِنْهَا قَوْلُهُ: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ
 الْأَسْبَابَ﴾^(٣) أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطْلَعَ إِلَى إِلَهٍ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ
 كَاذِبًا^(٤) فَأَجَابُوهُ إِلَى ذَلِكَ بِلَا دَلِيلٍ وَلَا سَبِيلٍ، فَعَبَدُوا الْأَصْنَامَ ظَاهِرًا
 وَبَاطِنًا، وَأَلْزَمَهُمُ الْحُجَّةَ بِقَوْلِهِ: ﴿أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾^(٥)
 وَجَمِيعُ هَذِهِ الدَّعَوَاتِ بِلَا دَلِيلٍ وَلَا سَبِيلٍ.

وَهَذَا يَا مُفَضَّلُ، بَيَانٌ وَاحْتِجَاجٌ إِبْلِيسَ عَلَى الْخَلْقِ الْمَنْكُوسِ يَوْمَ
 الْكَشْفِ، وَقَدْ احْتَجَّ بِهَذَا عَلَيْهِمْ مَرَارًا كَثِيرَةً، وَعَقِلُوا خِطَابَهُ، لِأَنَّهُ

^(١) النازعات . الآية ٢٤

^(٢) البقرة . الآية ٢٥٨

^(٣) غافر . الآية ٣٧

^(٤) إبراهيم . الآية ٢٢

كَشَفَ لَهُمْ أَوَّلًا عَنْ نَفْسِهِ ثُمَّ ظَهَرَ فِيهِمُ الْمَوْلَى بِالنُّورَانِيَّةِ، وَخَاطَبَهُمْ
 بِنُطْقِهِ، وَأَبَانَ لَهُمْ سُبُلَهُ وَدَلَّاهُ^(١) ثُمَّ كَشَفَ لَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ عَنْ
 إِبْلِيسَ فَعَايَنُوهُ وَأَشَارُوا إِلَيْهِ بِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَضَلَّهُمْ، لِقَوْلِهِمْ عَنْهُ عِنْدَ
 مُعَايِنَتِهِمْ لَهُ: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾^(٢)

وَقَوْلِ إِبْلِيسَ لَهُمْ: ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾^(٣) أَيِ
 سَبِيلٍ وَالْجَمِيعُ مُعْتَرِفُونَ، أَنَّ الْهِدَايَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا بِسَبِيلٍ وَأَمَّا
 الضَّلَالَةُ، فَلَوْ طَلَبُوا عَلَيْهَا سَبِيلًا لَبْطَلَتْ، وَلَمْ يَصِحَّ لَهَا مَنْهَجٌ، وَقَدْ
 دَعَاهُمْ بَعْدَ هَذَا الْخِصَامِ وَالْخِطَابِ، إِلَى مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ أَوَّلًا كَرَّاتٍ
 كَثِيرَةً وَكَانُوا إِلَى إِجَابَتِهِ وَالْقَبُولِ مِنْهُ، أَسْرَعَ مِنْ جَرِي النَّفْسِ فِي
 الْجَنِينِ.

^(١) في نسخة أخرى: سبيله ودليله.

^(٢) الأحزاب. الآية ٦٧

^(٣) إبراهيم. الآية ٢٢

اسْتِقْرَارُ دَعْوَةِ إِبْلِيسَ:

٥٤

فَقُلْتُ: مَوْلَايَ، دَعْوَةُ إِبْلِيسَ مُسْتَقِرَّةٌ هِيَ عِنْدَ أَهْلِ الضَّلَالَةِ
 وَالْجُحُودِ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، مُسْتَقِرَّةٌ فِي النُّفُوسِ الْمَذْمُومَةِ الَّتِي قَالَ اللَّهُ
 فِيهَا: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾^(١)

وَقَالَ: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ﴾^(٢)
 وَقَالَ: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾^(٣) وَكُلُّ مَا
 أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْخِطَابِ، فَهُوَ مَذْمُومٌ.

^١ يوسف . الآية ٥٣

^٢ المائدة . الآية ٣٠

^٣ يوسف . الآية ١٨

نَفْسُ الْمُؤْمِنِ:

وَأَمَّا نَفْسُ الْمُؤْمِنِ، فَإِنَّ لَهَا زَاجِرًا وَاعِظًا يَأْمُرُهَا وَيَنْهَاهَا، وَهُوَ
 الَّذِي يُعَارِضُ النَّفْسَ، وَيَكْشِفُ لَهَا قُبْحَ مَعَانِي الْأَشْيَاءِ الْقَبِيحَةِ
 وَحُسْنَ مَعَانِي الْأَشْيَاءِ الصَّادِقَةِ الصَّحِيحَةِ، وَيُبَيِّنُ لَهَا مَالَ الْعَاقِبَةِ فِي
 ذَلِكَ، فَيُعَارِضُهَا وَذَلِكَ الْمُعَارِضُ مِنْ جَوْهَرِ السَّبِيلِ، هُوَ حَالٌّ فِي
 النَّفْسِ مُسَاوٍ لَهَا، فَإِذَا اسْتَقَرَّتْ دَعْوَةُ الضَّدِّ فِي النَّفْسِ الْمُؤْمِنَةِ، زَجَرَهَا
 وَعَارَضَهَا ذَلِكَ الْجَوْهَرُ وَأَلْقَى إِلَيْهِ فَهْمَهُ، وَكَشَفَ لَهُ قُبْحَهُ فَإِنْ ارْتَدَعَتْ
 النَّفْسُ وَقَبِلَتْ، بَعُدَتْ عَنْهَا دَعْوَةُ الضَّدِّ، فَلَا يَجْعَلُ لَهَا فِي تِلْكَ النَّفْسِ
 مُسْتَقَرًّا، وَإِنْ خَالَفَتْ النَّفْسُ ذَلِكَ الْجَوْهَرَ وَعَاندَتْهُ، وَلَمْ تُصْغِ إِلَيْهِ فِيمَا
 أَوْضَحَهُ لَهَا وَغَلَبَتْ دَعْوَةُ الضَّدِّ، يَزُولُ ذَلِكَ الْجَوْهَرُ عَنِ الْمَعْدِنِ
 وَتَصِيرُ تِلْكَ النَّفْسُ مُسْتَقَرًّا لِدَعْوَةِ الضَّدِّيَّةِ، وَأَيُّ شَيْءٍ تُورِدُهُ الدَّعْوَةُ
 الضَّدِّيَّةُ لَهَا تَقْبَلُهُ، وَتُجِيبُ إِلَيْهِ مِنْ حَيْثُ سَائِرِ وُجُوهِ الْبَاطِلِ، خِلَافًا
 لِلْجَوْهَرِ، الَّذِي هُوَ السَّبِيلُ.

اللِّسَانُ الْمَعْبَرُ:

وَاعْلَمْ يَا مُفَضَّلُ، أَنَّ لِكُلِّ جَارِحَةٍ مُعَبَّرًا، وَأَنَّ لِلْجَوَارِحِ الْمُعَبَّرَاتِ
 مُعَبَّرًا وَاحِدًا، لَوْلَاهُ مَا عُرِفَ فِعْلُ تِلْكَ الْجَوَارِحِ وَلَا تَعْبِيرُهَا، فَأَمَّا
 تَعْبِيرُ مَعْرِفَةِ الْجَوَارِحِ الْمُعَبَّرَاتِ: فَأَوَّلُهَا الْعَيْنَانِ، وَهُمَا جَارِحَتَانِ
 تَعْبِيرُهُمَا النَّظْرُ، وَالْأُذُنَانِ، وَهُمَا جَارِحَتَانِ تَعْبِيرُهُمَا السَّمْعُ، وَالْأَنْفُ
 وَهُوَ جَارِحَةٌ وَاحِدَةٌ تَعْبِيرُهُ الشَّمُّ. وَالْفَمُ، وَهُوَ جَارِحَةٌ وَاحِدَةٌ تَعْبِيرُهُ
 الذَّوْقُ. وَالْيَدَانِ، هُمَا جَارِحَتَانِ تَعْبِيرُهُمَا الْبَطْشُ وَاللَّمْسُ. وَالرِّجْلَانِ
 وَهُمَا جَارِحَتَانِ تَعْبِيرُهُمَا السَّعْيُ "وَدَلِيلُ هَذِهِ الْجَوَارِحِ كُلُّهَا وَسَبِيلُهَا
 وَصِرَاطُهَا^(١) الْعَقْلُ"، وَهُوَ الْجَوْهَرُ الْمُدَبَّرُ لِجَمِيعِ الْجَوَارِحِ، وَبِهِ وَمِنْهُ
 تَقَعُ مَعْرِفَةُ هَذَا الصِّرَاطِ وَالصِّفَاتِ، وَلَهُ دَلِيلٌ وَوَاسِطَةٌ يُتَرَجَّمُ وَيُعَبَّرُ
 عَنِ الْجَمِيعِ، وَهُوَ اللَّسَانُ الَّذِي يَشْرَحُ وَيُبَيِّنُ، وَيَنْعَتُ وَيَصِفُ وَيُتَرَجَّمُ
 عَنِ الْعَقْلِ كُلِّ مَا يُلْقِيهِ إِلَيْهِ، فَإِذَا عَرَفَ الْخَلْقُ حَقِيقَةَ ذَلِكَ وَصِحَّتْهُ
 وَصِدْقُهُ، فَالْعَقْلُ هُوَ الَّذِي يُعَرِّفُهُمْ ذَلِكَ فَهُوَ بِمَعْنَى الْبَاطِنِ وَاللِّسَانُ
 بِمَعْنَى الظَّاهِرِ، الَّذِي يُبْدِي كُلَّ شَيْءٍ وَيُظْهِرُهُ عَنِ ذَلِكَ الْجَوْهَرِ وَيُعَرِّفُ

^(١) فِي نَسْخَةِ أُخْرَى: وَدَلِيلُ هَذَا كُلُّهُ مِنَ الْجَوَارِحِ وَسَبِيلُهُ وَصِرَاطُهُ.

مَعَانِيَهُ، فَإِذَا أَمَدَّ الْجَوْهَرَ اللَّسَانَ بِشَيْءٍ، وَأَلْقَاهُ إِلَيْهِ وَأَمَرَهُ بِإِظْهَارِهِ
 أَظْهَرَهُ وَبَيَّنَّهُ، "وَنَطَقَ اللَّسَانُ بِمَا وَعَاهُ عَنِ الْعَقْلِ، إِنْ كَانَ حَقًّا، وَإِنْ
 كَانَ بَاطِلًا"^(١) وَلَوْلَا مَادَّةُ الْعَقْلِ إِلَى اللَّسَانِ مَا عَرَفَ اللَّسَانُ أَنْ يَأْتِيَ
 بِشَيْءٍ فَعِنْدَ نُطْقِ اللَّسَانِ، يَتَبَيَّنُ تَصْرِيفُ الْأَشْيَاءِ، وَكَذَا إِنْ شَمَّ، أَوْ
 طَعِمَ، أَوْ سَمِعَ، أَوْ عَزَمَ، أَوْ أَرَادَ، فَذَلِكَ الْعَزْمُ وَالْإِرَادَةُ، وَالسَّمْعُ وَالشَّمُّ
 وَالتُّنُوقُ، هُوَ لِلْعَقْلِ وَاللَّسَانِ مُعَبَّرٌ مُتَرَجِّمٌ عَنْ ذَلِكَ الْجَوْهَرِ وَمَقَامُهُ
 وَمَثَلُهُ، مِثْلُ رَسُولٍ أَرْسَلَهُ مُرْسِلُهُ بِأَمْرٍ وَأَمَرَهُ بِتَبْلِيغِهِ، فَبَلَغَ مَا أَمَرَهُ بِهِ
 فَهُوَ يُؤَدِّي عَنْ حَقِيقَةِ الْعَقْلِ، فَاللَّسَانُ رَسُولٌ، وَالْعَقْلُ مُرْسِلٌ، يَأْمُرُ
 الْجَوَارِحَ وَيَنْهَاهَا، فَمَنْ خَالَفَهُ مِنَ الْجَوَارِحِ، فَهُوَ كِمِثَالِ مَنْ خَالَفَ
 دَعْوَةَ الْحَقِّ، وَمَنْ أَطَاعَهُ مِنَ الْجَوَارِحِ، فَهُوَ كِمِثَالِ مَنْ أَجَابَ دَعْوَةَ
 الْحَقِّ فَاللَّسَانُ بِمَعْنَى الشَّخْصِ الظَّاهِرِ، وَالْعَقْلُ بِمَعْنَى الشَّخْصِ
 الْبَاطِنِ، وَإِنَّ أَهْلَ التَّوْحِيدِ وَالْإِقْرَارِ أَجَابُوا دَعْوَةَ الْحَقِّ، وَأَهْلَ الْجُحُودِ

^(١) في نسخة أخرى: ونطق اللسان بما وعاه عن العقل، قال إن كان حقاً، وإن كان باطلاً جميع ما عرفه عن العقل وامره ان يبديه.

وَالْإِنْكَارِ جَحَدُوا ذَلِكَ، لِمُخَالَفَتِهِمْ^(١) وَكُفْرِهِمْ، وَلَمْ يَعْقِلُوا أَنَّ مَوْلَاهُمْ
 جَعَلَ ذَلِكَ فِيهِمْ دَلِيلًا، وَحُجَّةً، وَسَبِيلًا، وَصِرَاطًا مُسْتَقِيمًا.

وَأَمَّا الْعَالَمُ الْمُنْكَوسُ أَهْلُ الْإِنْكَارِ، فَإِنَّهُمْ إِذَا حَلُّوا فِي
 الْمُسُوخِيَّةِ^(٢) مُنِعُوا النُّطْقَ، وَبَقِيَتْ فِيهِمْ جَمِيعُ آلَاتِ الْجَوَارِحِ بِحَالِهَا
 مِنَ الشَّمِّ، وَالطَّعْمِ، وَالسَّمْعِ، وَالْبَصَرِ، وَالسَّعْيِ، وَالْبَطْشِ وَذَلِكَ لِأَنَّهَا
 تَفْهَمُ مَا تَأْتِيهِ، وَتَقْصِدُ مَا تَطْعَمُهُ، وَتَعِي مَا تَسْمَعُهُ، وَتُحَقِّقُ مَا تُعَايِنُهُ
 وَتَفْعَلُ مَا تَهْمُ بِهِ وَتَعَزِّمُ عَلَيْهِ وَكُلُّ ذَلِكَ بِالْبَاطِنِ الْقَائِمِ فِيهَا^(٣)
 الْمَكُونِ لِحُوْهَرِهَا، أَغْنَى قُلُوبَهَا، لِأَنَّهَا غَيْرُ مَعْدُومَةٍ مِنْهُ، وَإِنَّمَا يَقَعُ
 بِهَا الْعَدَمُ عِنْدَمَا تَعْدُمُ نُطْقُهَا فِي الْبَشَرِيَّةِ، وَتَقَعُ بِهِمُ الثَّقَلَةُ
 بِالْأَمْرَاضِ، وَالْعِلَلِ وَالْقَتْلِ، وَغَيْرِهِ مِمَّا يَجْرِي عَلَيْهِمْ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِقَدَرِ
 مَقْدُورٍ، وَأَجَلٍ مَعْلُومٍ وَهُوَ جَارٍ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ وَالنُّعُوتِ، عَلَى الْبَشَرِيَّةِ
 وَالْمُسُوخِيَّةِ، مِنَ الْمَوْتِ وَالْقَتْلِ، وَالْغَرَقِ، وَالْحَرَقِ، وَأَكْلِ السَّبْعِ وَالْهَوَامِّ،
 وَمِنَ الْمَوْتِ فَجَاءَةً بِشَرْقَةٍ، وَغَصَّةٍ، وَوَكْزَةٍ، وَلَطْمَةٍ، وَرَفْسَةٍ، وَدَفْعَةٍ،

^(١) في نسخة أخرى: بمخالفتهم.
^(٢) في نسخة أخرى: وأمّا أهل الإنكار، فإنهم إذا حلوا في العالم المنكوس بالمُسُوخِيَّةِ.
^(٣) في النسخ: لها.

وَضَرْبَةٍ وَصِيحَةٍ وَرُبَّمَا مَاتَ بِعِلَّتِهِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، أَوْ اثْنَيْنِ، أَوْ ثَلَاثَةٍ،
 أَوْ أَرْبَعَةٍ حَتَّى إِلَى سَنَةٍ أَوْ سَنَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثٍ، أَوْ أَقَلٍّ أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ،
 وَرُبَّمَا دَامَتْ بِهِ الْعِلَّةُ مِنْ وَقْتِ ظُهُورِهِ إِلَى وَقْتِ نَقْلَتِهِ، عَلَى حَالٍ
 وَاحِدٍ، وَهَذَا جَارٍ عَلَى الْعَالَمِ فِي الْبَشَرِيَّةِ وَالْمُسُوخِيَّةِ أَيْضًا، إِذَا رَجَعَ
 إِلَيْهَا الْمُنْكَرُونَ الْجَا حِدُونَ، وَهَذَا أَوَّلُ دَلِيلٍ، وَأَبْهَرُ بُرْهَانٍ، عَلَى إِقَامَةِ
 عَدْلِ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ كَافَّةً.

عَدْلُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ:

قَالَ الْمُفَضَّلُ مِنْهُ السَّلَامُ: قُلْتُ: يَا مَوْلَايَ، تَمَنَّ عَلَى عَبْدِكَ
 بِمَعْرِفَةِ ذَلِكَ وَبَيَانِهِ؟ فَقَالَ: أَمَا تَرَى السَّرَاجَ كَيْفَ يُضِيءُ وَيُخْمَدُ
 وَبَيْنَمَا هُوَ عَلَى أَشَدِّ مَا يَكُونُ مِنَ الضِّيَاءِ يُخْمَدُ وَيَطْفَأُ لَوْقَتِهِ، حَتَّى
 كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِيهِ أَثَرٌ لِلنَّارِ؟ فَقُلْتُ: بَلَى يَا مَوْلَايَ. فَقَالَ: أَوَلَيْسَ
 مِنْهَا مَا يَكُونُ عَلَى مَا وَصَفْتُهُ لَكَ مِنَ الضِّيَاءِ، فَيُدَاخِلُهُ ضَعْفٌ، فَلَا
 يَزَالُ ذَلِكَ الضِّيَاءُ يَضْعُفُ وَيُخْمَدُ، وَيُضِيءُ ثُمَّ يُخْمَدُ، ثُمَّ يَزِيدُ ضَعْفُهُ
 وَخُمُودُهُ وَيَطُولُ ذَلِكَ، حَتَّى يَكُونَ فِي نِهَايَةِ الضَّعْفِ وَالْخُمُودِ، فَلَا تُمَيِّزُ

بِهِ عَيْنُكَ الشَّيْءَ الْأَسْوَدَ مِنَ الشَّيْءِ الْأَبْيَضِ، وَإِنَّهُ لَيُخْمَدُ بَعْدَ ذَلِكَ
 وَإِنَّهُ غَيْرُ مَعْدُومٍ، حَتَّى يَضْعَفَ نِهَآيَةَ الضَّعْفِ وَالْحُمُودِ، ثُمَّ يَكُونُ لَهُ ^{٦٠}
 بَعْدَ ذَلِكَ لَمَحَةٌ مِنْ ضِيَاءٍ؟ فَقُلْتُ: بَلَى يَا مَوْلَايَ. فَقَالَ: أَوْلَيْسَ مِنْهَا
 مَا تُشِيرُ إِلَيْهِ بِهَمِّكَ ^(١) عِنْدَ إِرَادَتِكَ لِإِطْفَائِهِ فَيُطْفَأُ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا
 مَوْلَايَ فَقَالَ: أَوْلَيْسَ مِنْهَا مَا تَهُمُّ بِإِطْفَائِهِ فَيَمْتَنِعُ عَنْ ذَلِكَ، وَتَلْجُ
 عَلَيْهِ فَلَا يَطْفَأُ وَتُشِيرُ إِلَيْهِ فَلَا يُخْمَدُ، حَتَّى يُدَاخِلَكَ مِنْهُ ضَجَرٌ
 وَتَعَبٌ؟ فَقُلْتُ: بَلَى يَا مَوْلَايَ. فَقَالَ: وَكَذَلِكَ يَا مُفَضَّلُ إِذَا اسْتَحَقَّ
 الْبَشَرُ الثُّقْلَةَ وَمِنْ ثَمَّ نَقَلْتَهُمْ وَمَوْتَهُمْ، تَجِدُ وَتَرَى مِنَ الْمَنْقُولِ مِثْلَمَا
 تَجِدُ وَتَرَى مِنَ النَّارِ الَّتِي وَصَفْتُهَا لَكَ فِي السَّرَاجِ فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ لَهُ
 عِنْدَ مَوْلَاكَ مَنَزِلَةٌ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَكُونُ لَهُ مَنَزِلَةٌ ^(٢) وَمِنْهُمْ مَنْ تَطُولُ
 بِهِ الثُّقْلَةُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَهْلِكُ لَوْقَتِهِ، أَمَّا رَأَيْتَ كَيْفَ يُغْشَى عَلَى بَعْضِ
 الْبَشَرِ، فَيَبْقَى يَوْمًا وَاثْنَيْنِ وَأَكْثَرَ وَأَقَلَّ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُخْمَدُ لَوْقَتِهِ
 فَمَنَازِلُهُمْ عَلَى قَدَرِ مَا وَصَفْتُهُ لَكَ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ عَلَى قَدَرِ اسْتِحْقَاقِهِمْ فِي
 الْمَنَازِلِ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ ذَلِكَ الْحَالُ بِقَدَرٍ مَقْدُورٍ عَدَلًا مِنَ الْبَارِي

^(١) فِي نَسْخَةٍ أُخْرَى: بِخَمْسِكَ. وَفِي نَسْخَةٍ أُخْرَى: بِحَمْلِكَ. وَالْأَصَحُّ بِهِمَكَ وَالْهَمَّةُ مَا هُمْ بِهِ مِنْ أَمْرِ لِيَفْعَلَهُ.
^(٢) فِي نَسْخَةٍ أُخْرَى: وَكَذَلِكَ يَا مُفَضَّلُ إِذَا اسْتَحَقَّ الْبَشَرُ الثُّقْلَةَ فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ لَهُ عِنْدَ مَوْلَاكَ مَنَزِلَةٌ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَكُونُ لَهُ مَنَزِلَةٌ، وَمِنْ ثَمَّ نَقَلْتَهُمْ
 وَمَوْتَهُمْ تَجِدُ وَتَرَى مِنَ الْمَنْقُولِ مِثْلَمَا تَجِدُ وَتَرَى مِنَ النَّارِ الَّتِي وَصَفْتُهَا لَكَ فِي السَّرَاجِ.

وَإِنْصَافًا، وَصِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَاعْلَمْ يَا مُفَضَّلُ، أَنَّهُ لَمْ يُجُودْ فِي سَائِرِ
 ٦١ الْمَكُونَاتِ، وَلَوْلَا ذَلِكَ، مَا كَانَ كَوْنٌ وَلَا مَكَانٌ، وَإِنَّ مَوْلَاكَ لَا يَعْدُمُ
 شَيْئًا مِنْ إِرَادَتِهِ مِمَّنْ خَلَقَهُ مِنَ الطَّائِعِ وَالْمُخَالِفِ، وَإِنَّهُ لَيَعْقُبُهُ فِيهِمْ
 وَلَهُمْ بِكَوْنٍ وَاحِدٍ، وَإِنَّمَا يَزِيدُ فِي أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ بِالْإِقْرَارِ وَالْقَبُولِ
 وَيَنْقُصُ فِي أَهْلِ الْجُحُودِ وَالْإِنْكَارِ وَالْجَهْلِ لِخِلَافِهِمْ وَكُفْرِهِمْ، فَكُلُّ مَنْ
 قَبَلَ وَأَقَرَّ، صَفَا وَارْتَقَى، وَارْتَفَعَ وَزَادَ فِي وُجُودِهِ بِمَعْرِفَتِهِ وَكُلُّ مَنْ
 أَنْكَرَ وَجَحَدَ، نَقَصَ فِي وُجُودِهِ بِجَهْلِهِ وَكُفْرِهِ فَمِنْ ثَمَّ وَجَبَ أَنْ يَحُلَّ
 كُلُّ شَخْصٍ فِي مَا اسْتَحَقَّهُ بِوَقْتِ الثُّقَلَةِ وَبَعْدَهَا عَلَى قَدْرِ النُّقْصَانِ
 وَالزِّيَادَةِ فِي الْحَالَةِ الَّتِي هُوَ فِيهَا، مِنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ.

بَابُ ذِكْرِ نُقْلَةِ الْمُوَافِقِ وَالْمُخَالَفِ

وَمَا يُعَايِنَانِ مِنْ أَشْخَاصِ الْحَقِيقَةِ

اِعْلَمْ يَا مُفَضَّلُ، أَنَّ كُلَّ مَنْقُولٍ يُنْقَلُ مِنَ الْفِئَتَيْنِ، يُعَايِنُ أَشْخَاصَ
 الْحَقِيقَةِ عِنْدَ نُقْلَتِهِ، فَمَنْ كَانَ مَقْبُولَ الْحَالِ زَائِدًا فِي مَعْرِفَتِهِ، تَجِدُهُ
 ضَاحِكًا مُسْتَبْشِرًا مَسْرُورًا، وَإِنْ كَانَ مِنَ الْمُنْكَرِينَ وَرَتَّبِ الشَّيَاطِينَ
 تَجِدُهُ مُتَغَيِّرَ اللَّوْنِ غَضُوبًا حَزِينًا بَاكِيًا، يَكْثُرُ تَنَفُّسُهُ وَشَهيقُهُ
 وَيَأْسُفُ عَلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهُ، وَإِنْ كَانَ مِمَّنْ يُنْقَلُ إِلَى الْمَكْرُوهَاتِ فِي
 الْمُسُوخِيَّةِ فَإِنَّهُ يَحْذَرُ وَرُودَ ذَلِكَ، فَتَرَاهُ يَجْذِبُ نَفْسَهُ وَيَبْسُطُ كَفَّهُ
 وَيَهْمُ أَنْ يَقُومَ عَلَى قَدَمَيْهِ، وَيَهِيمُ بِعَيْنَيْهِ وَنَظَرِهِ، كَذَلِكَ تَجِدُهُ فِي
 الْمُسُوخِيَّةِ عَلَى مَا وَصَفْتُهُ لَكَ، فَتَرَاهُ فِيهِمَا بِحَالٍ سَوَاءٍ.

فَقُلْتُ: يَا مَوْلَايَ، عَظُمَتْ مِنتُكَ عَلَى عَبْدِكَ، فَإِنِّي لَأَرَى مِمَّا
 وَصَفْتَ لِي، الشَّيْخَ الْكَبِيرَ يُعَايِنُ عِنْدَ الثُّقْلَةِ عَظِيمًا، فَأَقُولُ: إِنَّ ذَلِكَ
 مِمَّا ذَكَرْتَهُ لِي مِنْ مُخَالَفَتِهِ، وَإِنْكَارِهِ، وَجُحُودِهِ، وَإِنِّي لَأَرَى الطِّفْلَ
 الصَّغِيرَ يُعَايِنُ مِثْلَ مَا يُعَايِنُ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَأَعْظَمُ، فَقَالَ مَوْلَايَ **عَزَّ**

عِزُّهُ: يَا مُفَضَّلُ كَأَنَّكَ تَقُولُ بِأَنَّهُ لَا يُنْقَلُ إِلَى الْمُسُوخِيَّةِ إِلَّا رَجُلٌ كَهْلٌ
 أَوْ شَيْخٌ؛ لِأَنَّهُ مُعْتَرِفٌ بِذَنْبِهِ، وَأَنَّهُ يَسْتَوْجِبُ ذَلِكَ لِجُحُودِهِ، وَكُفْرِهِ
 وَإِنْكَارِهِ، وَعِنَادِهِ وَأَنَّهُ دُعِيَ، وَذُكِّرَ، وَأُلْقِيَ إِلَيْهِ، فَأَبَى وَعَانَدَ، وَلَمْ يُصْغِ
 إِلَى التَّوْحِيدِ، وَلَمْ يَزِدْ جُرْ عَنِ الْجُحُودِ وَالْإِنْكَارِ وَالْكَفْرِ الَّذِي هُوَ
 عَلَيْهِ، فَاسْتَحَقَّ بِذَلِكَ الْخِزْيَ وَالْعُقُوبَةَ، وَإِنَّ الطِّفْلَ لَمْ يَفْعَلْ شَيْئًا
 مِنْ ذَلِكَ، وَلَمْ يُوعَظْ، وَلَمْ يَأْتِهِ زَاجِرٌ، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ جُحُودٌ
 وَإِنْكَارٌ، وَحَقٌّ وَبَاطِلٌ وَمَعْرِفَةٌ تُوجِبُ عَلَيْهِ مَا أُوجِبَتْ عَلَى الْمُنْكَرِ
 الْجَاهِدِ لِإِنْكَارِهِ وَجَحْدِهِ أَفَيَكُونَانِ فِي حَالٍ سَوَاءٍ؟ فَقُلْتُ: يَا مَوْلَايَ
 أَنْتَ أَعْلَمُ بِمَا فِي نَفْسِي مِنْ إِسْرَارِي وَإِعْلَانِي. فَقَالَ: يَا مُفَضَّلُ، إِنَّ
 ذَلِكَ الْجَنِينَ، وَالطِّفْلَ النَّاشِئَ، وَالرَّجُلَ، وَالْكَهْلَ وَالشَّيْخَ، لَمْ يُنْقَلْ
 أَحَدُهُمْ إِلَى مَا نُقِلَ إِلَيْهِ مِمَّا وَصَفْتُهُ لَكَ، إِلَّا عِنْدَ تَكَامُلِ الْبَلَغِ إِلَيْهِمْ
 وَالْإِنْذَارِ لَهُمْ، وَإِنَّمَا الدَّعْوَةُ وَاحِدَةٌ، مَا زَادَ أَحَدُهُمْ عَلَى الْآخِرِ وَزَنَ
 ذَرَّةً، وَلَا تَقَدَّمَ طَرْفَةُ عَيْنٍ وَكَذَلِكَ يَا مُفَضَّلُ، يَسْتَحِقُّ مَنْ يُنْقَلُ وَهُوَ
 شَيْخٌ فِي كَرَّةٍ أُخْرَى، أَنْ يُنْقَلَ وَهُوَ جَنِينٌ، وَيَسْتَحِقُّ الْجَنِينُ أَنْ يُنْقَلَ
 وَهُوَ شَيْخٌ، ثُمَّ غُلَامٌ، ثُمَّ نَاشِئٌ ثُمَّ كَهْلٌ، ثُمَّ فِي ذَكَرٍ، ثُمَّ فِي أُنْثَى، ثُمَّ فِي

أَسْوَدَ، ثُمَّ فِي أَبْيَضٍ وَكَذَلِكَ يَجْرِي عَلَيْهِمْ فِي الْمُسُوخِيَّةِ سَوَاءً بِسَوَاءٍ،
 وَحَالًا بِحَالٍ، لَا زِيَادَةَ فِيهِ وَلَا نُقْصَانَ مِنْهُ، حَتَّى يُوفَّى فِي الْمُسُوخِيَّةِ
 جَمِيعَ مَا اسْتَوْفَاهُ فِي الْبَشَرِيَّةِ شَخْصًا بِشَخْصٍ، وَحَالًا بِحَالٍ، وَأَجَلًا
 بِأَجَلٍ، وَمُدَّةً بِمُدَّةٍ ثُمَّ إِنِّي أَزِيدُكَ عَلَى ذَلِكَ يَا مُفَضَّلُ، عِلْمًا بَاطِنًا،
 وَشَرْحًا غَامِضًا، عَدَلًا مِنْ مَوْلَاكَ وَإِنْصَافًا لِلْعَالَمِينَ، فَأَعْلِمُ بِهِ الْعَالَمَ
 وَعَرَّفَهُمْ إِيَّاهُ.

الْبَشَرِيَّةُ وَالْمُسُوخِيَّةُ:

اِعْلَمُ يَا مُفَضَّلُ، أَنَّهُ مَا مِنْ بَشَرٍ يُنْقَلُ إِلَى الْمُسُوخِيَّةِ، وَيَمُوتُ
 مَوْتَةً وَهُوَ بَشَرِيٌّ، إِلَّا وَيَمُوتُ فِي الْمُسُوخِيَّةِ مِثْلَهَا، وَلَا يَمْرُضُ فِي
 الْبَشَرِيَّةِ مَرَضَةً إِلَّا وَيَمْرُضُ فِي الْمُسُوخِيَّةِ مِثْلَهَا وَلَا يَعْرِضُ لَهُ عَارِضٌ
 إِلَّا وَيَعْرِضُ لَهُ فِي الْمُسُوخِيَّةِ مِثْلُهُ وَلَا يَمُرُّ عَلَيْهِ حَالٌ إِلَّا وَيَمُرُّ عَلَيْهِ
 فِي الْمُسُوخِيَّةِ مِثْلُهُ، وَلَا يَكُونُ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ إِلَّا وَيَكُونُ بِهِ مِنَ
 الْعِزِّ وَالرَّفْعَةِ وَالْكَرَامَةِ، وَمِنَ الشَّدَّةِ وَالرَّخَاءِ وَالرَّفَاهِيَةِ وَالتَّعَبِ
 وَالنَّصَبِ، حَتَّى يُوفَّى فِي الْمُسُوخِيَّةِ جَمِيعَ مَا جَرَى لَهُ فِي الْبَشَرِيَّةِ



فَيَكُونُ لَهُ بِتِلْكَ الطَّبَقَاتِ فِي الْحَالَيْنِ مُعْتَبَرٌ، وَذَلِكَ أَنَّهُ يُعَادُ عَلَيْهِمْ
 فِي الْمُسُوخِيَّةِ جَمِيعُ ذَلِكَ، فَيَعُوهُ وَيَعْرِفُوهُ كَمَا كَانُوا وَهُمْ فِي الْبَشَرِيَّةِ ^(١)
 وَهَذَا هُوَ الصَّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ الَّذِي مَا فِيهِ عَوَجٌ، وَلَا فِيهِ خَلْفٌ، وَلَا
 عَنْهُ عُدُولٌ.

أَنْوَاعُ الْمُسُوخِيَّاتِ:

قَالَ الْمُفَضَّلُ مِنْهُ السَّلَامُ: فَقُلْتُ: النِّعْمَةُ مِنْكَ يَا مَوْلَايَ جَلِيلَةً
 وَالْمِنَّةُ عَظِيمَةً، يَقْصُرُ عَنْهَا شُكْرُ الشَّاكِرِينَ، وَإِحْصَاءُ الْمُحْصِينَ
 فَقَالَ: يَا مُفَضَّلُ، إِنَّ الْمُسُوخِيَّاتِ أَجْنَاسٌ وَقَبَائِلُ وَشُعُوبٌ، وَلَهُمْ أَسْمَاءٌ
 وَصِفَاتٌ وَنُعُوتٌ يُنْعَتُونَ بِهَا وَيُدْعَوْنَ بِهَا، كَمَا كَانُوا فِي الْبَشَرِيَّةِ لَهُمْ
 أَجْنَاسٌ وَأَحْسَابٌ، وَأَنْسَابٌ وَأَسْمَاءٌ، وَصِفَاتٌ وَنُعُوتٌ مِثْلُ: عَقْلٍ وَحِسٍّ
 وَحَزْمٍ، وَشِدَّةٍ، وَفَهْمٍ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، وَمِثْلُ: أَسْوَدَ، وَأَبْيَضَ وَعَجَمِيٍّ
 وَعَرَبِيٍّ، وَرُومِيٍّ، وَنَبَطِيٍّ، وَجَمِيعِ الْأَجْنَاسِ، وَكَذَا فِي اللُّغَاتِ مِثْلُ: فَصِيحٍ
 وَمُطَرِبٍ، وَصَامِتٍ، وَأَخْرَسَ، وَذِي مَقْدِرَةٍ وَخَطَرٍ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ حَتَّى

^١ وقد ذكر سبحانه في كتابه المجيد: وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أُمَّتُكُمْ
 سورة الأنعام رقم الآية ٣٨

لَوْ أَشَاءَ يَا مُفَضَّلُ، لَقُلْتُ لَكَ: بِأَنَّهُ يَكُونُ فِي أَوْصَافِهِ وَشَعْرِهِ، وَلَوْنِهِ
 وَأَظْفَارِهِ، وَجَمِيعَ مَا احْتَوَى عَلَيْهِ هَيْكَلُهُ، مِنْ نَفْسٍ وَبَطْنٍ، وَفَرْجٍ
 وَجَارِحَةٍ، وَحُرِّيَّةٍ، وَعُبُودِيَّةٍ، تَجْرِي عَلَيْهِ مَثَلًا بِمِثْلِ.

فَقُلْتُ: يَا مَوْلَايَ هَلْ هَذَا يَجْرِي عَلَى الشَّخْصِ الْوَاحِدِ وَهُوَ فِي
 الْبَشَرِيَّةِ ثُمَّ يَجْرِي عَلَيْهِ وَهُوَ فِي الْمُسُوخِيَّةِ مِثْلَ تِلْكَ الصِّفَاتِ، وَكُلُّ
 شَخْصٍ مِنْهَا يَكُونُ مَمْلُوكًا وَمَالِكًا، وَحُرًّا وَعَبْدًا، وَعَزِيزًا وَذَلِيلًا؟
 قَالَ: نَعَمْ يَا مُفَضَّلُ، يَجْرِي عَلَيْهِ ذَلِكَ فِي الْمُسُوخِيَّةِ. فَقُلْتُ: يَا مَوْلَايَ
 تَمُنُّ عَلَى عَبْدِكَ بِمَعْرِفَةِ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: يَا مُفَضَّلُ، يَجْرِي عَلَيْهِ ذَلِكَ مِنْ
 الْفِيلِ إِلَى دُوْدَةِ الْخَلِّ، وَإِلَى مَا هُوَ أَدَقُّ مِنْهَا، وَذَلِكَ أَنَّهُ يَكُونُ فِي أَوَّلِ
 نُقْلَتِهِ فِيلًا فَيَكُونُ حُرًّا إِذَا كَانَ قَبْلَ نُقْلَتِهِ مِنَ الْبَشَرِيَّةِ حُرًّا، وَإِنْ
 كَانَ مَمْلُوكًا وَنُقِلَ إِلَى الْفِيلِ، صَارَ مَمْلُوكًا، وَهَكَذَا يَا مُفَضَّلُ، إِذَا مُسِخَ
 فِي جِنْسٍ غَيْرِهِ مِنَ الدَّوَابِّ، كَالْبِغَالِ، وَالْحَمِيرِ، وَالْبَقَرِ، وَالْغَنَمِ، وَالْوَحْشِ
 وَالْكِلَابِ وَالطُّيُورِ وَحَيَوَانَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، وَجَمِيعِ مَا دَبَّ وَدَرَجَ مِنْ
 الْأَفَاعِي وَالْحَيَّاتِ، مَا كَانَ فِي الْبَشَرِيَّةِ حُرًّا، فَهُوَ فِي الْمُسُوخِيَّةِ حُرًّا، فِي

الْبَرَّ وَالْبَحْرَ، تَسْرَحُ بِأَنْفُسِهَا أَمَنَةً فِي الْبَرَارِيِّ وَالْقِفَارِ، وَتَأْوِي إِلَى
 مَسَاكِينِهَا فِي الْغِيَاضِ وَالْأَكَامِ، وَالْمَحَاوِرِ وَالْمَغَائِرِ، وَمَا تَتَّخِذُهُ الضَّبَاعُ
 وَالتَّعَالِبُ وَالْأَرَانِبُ مِنَ الْحُفْرِ فِي الْبِقَاعِ الَّتِي كَانَتْ عَامِرَةً وَخَرِبَتْ،
 فَذَلِكَ لِإِلْفِهَا الْعِمَارَةَ، وَإِنَّكَ يَا مُفَضَّلُ، لَتَمُرُّ بِالْعِرَاصِ الْخَرِبَةِ
 الْقَدِيمَةِ، فَتَجِدُ مِمَّا ذَكَرْتُهُ لَكَ مِنْ هَذِهِ الْأَوْصَافِ، قَدْ آوَى إِلَيْهَا
 وَاتَّخَذَ لَهُ فِيهَا مَوْطِنًا وَرُبَّمَا كَانَ ذَلِكَ الْمَوْضِعُ الَّذِي آوَى إِلَيْهِ، وَأَنَسَ بِهِ،
 هُوَ مَوْضِعُهُ الَّذِي كَانَ لَهُ فِي الْبَشَرِيَّةِ وَإِنَّكَ تَجِدُ فِي جَمِيعِ هَذِهِ
 الْمَمْسُوحَاتِ الَّتِي بَيْنَكُمْ مَالِكًا وَمَمْلُوكًا، بِالْأَشْيَاءِ وَالْأَوْصَافِ وَالتَّعَوُّتِ
 فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَالسَّهْلِ وَالْجَبَلِ.

وَمِنْ ذَلِكَ، أَنَّكَ تَجِدُ فِي الْجِبَالِ بَقَرًا وَكِبَاشًا وَمَعَزًا مُحَرَّرَةً لَا
 يَمْلِكُهَا أَحَدٌ، تَعْقُبُ وَتَتَنَاسَلُ وَتُقْتَلُ وَهِيَ عَلَى حَالِهَا، كَمَا كَانَتْ فِي
 الْبَشَرِيَّةِ وَكَذَلِكَ تَجِدُهَا بَيْنَكُمْ مَمْلُوكَةً، تَعْقُبُ وَتَتَنَاسَلُ وَتَهْلِكُ
 كَمَا كَانَ يَجْرِي عَلَيْهَا وَهِيَ فِي الْبَشَرِيَّةِ، وَكَذَلِكَ الْحَمِيرُ، تَجِدُهَا فِي
 وَحْشِ الْبَرِّيَّةِ وَبَيْنَكُمْ أَيْضًا عَلَى حَالٍ وَاحِدٍ يَجْرِي عَلَيْهَا مَا ذَكَرْتُهُ

لَكَ، فَإِنْ كَانَتْ مُحَرَّرَةً كَانَتْ كَذَلِكَ فِي مَعَادِهَا^(١)، وَإِنْ كَانَتْ مُلَكَّتْ فِي
 الْبَشَرِيَّةِ مُلَكَّتْ كَذَلِكَ، وَإِنَّهَا تَقَعُ فِي أَحْوَالٍ شَتَّى فَالْحِيلَةُ عَلَيْهَا
 وَصَيْدُهَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، هُوَ بِإِزَاءِ أَسْرِهَا وَسَبْيِهَا وَهِيَ فِي الْبَشَرِيَّةِ
 وَكَذَلِكَ الطَّيْرُ يَجْرِي عَلَيْهَا مَجْرَى وَاحِدًا، فَمِنْهَا مَا يَكُونُ حُرًّا، ثُمَّ
 يُمْلِكُ وَيَقَعُ عَلَيْهِ اسْمُ الْعُبُودِيَّةِ، وَكَذَلِكَ الْجَوَارِحُ وَغَيْرُهَا مِنْ جَمِيعِ
 الْحَيَوَانِ كَالْحَيْتَانِ وَالْحَيَّاتِ وَالْأَفَاعِي وَغَيْرِهَا، صَيْدُهَا بِإِزَاءِ أَسْرِهَا فِي
 الْبَشَرِيَّةِ.

وَإِنْ مِنْهَا مَا يُذَلَّلُ وَيَأْنُسُ بِالْبَشَرِ وَيَكُونُ تَحْتَ طَاعَةِ مَالِكِهِ
 فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، حَسَبًا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ طَاعَةِ مَالِكِهِ وَهُوَ بَشَرِيٌّ، فِي رِقِّ
 الْعُبُودِيَّةِ، وَمِنْ ذَلِكَ، الْجَوَارِحُ الْمُضَرَّاءُ، الَّتِي تُضَرَى وَتُعَلَّمُ فَتَقْتُلُ
 جَمِيعَ مَا دُفِعَتْ إِلَيْهِ، بِحَسَبِ الطَّاعَةِ لِمَالِكِهَا، كَمَا كَانَتْ تُطِيعُهُ وَهِيَ
 مُسْتَعْبَدَةٌ لَهُ فِي الْبَشَرِيَّةِ، وَهَكَذَا جَمِيعُ أَجْنَاسِ الْوُحُوشِ، وَسَائِرُ
 أَجْنَاسِ الْمَمْسُوحَاتِ وَإِنْ مِنْهَا مَا يَكُونُ أَبَقًا غَيْرَ مُطِيعٍ لِمَالِكِهِ الَّذِي
 يَمْلِكُ رِقَّهُ، وَذَلِكَ حَسَبًا كَانَ مَعَ مَالِكِهِ وَهُوَ مُسْتَعْبَدٌ لَهُ فِي

^(١) في نسخة أخرى: معادنها.

الْبَشَرِيَّةَ، حَذَوْ النَّعْلَ بِالنَّعْلِ، وَالْقُدَّةَ بِالْقُدَّةِ، لِأَنَّ لَهُ مِنَ الْجَزَاءِ فِي
 الْمُسُوخِيَّةِ مِثْلَ مَا كَانَ لَهُ فِي الْبَشَرِيَّةِ عَلَى جُحُودِهِ وَإِنْكَارِهِ وَمُخَالَفَتِهِ
 بَلْ يَزْدَادُ عَلَيْهِ الْعَذَابُ، وَيُضَاعَفُ لَهُ الْعِقَابُ، لِأَنَّهُ فِي الْمُسُوخِيَّةِ أُعْتِيَ
 وَأَشَدُّ كُفْرًا وَجُحُودًا وَإِنْكَارًا، وَذَلِكَ أَنَّهُ كُلَّمَا أُذِيقَ عَذَابًا وَخَرَجَ مِنْهُ
 رَدًّا إِلَى مَا هُوَ أَشَدُّ مِنَ الْأَوَّلِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ
 جُلُودُهُمْ بِدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾^(١) فِي الْمُسُوخِيَّةِ
 وَفِي اخْتِلَافِ الْكَرَّاتِ، نَعَمْ يَا مُفَضَّلُ، وَإِنَّ لَهَا مِنْ غَامِضِ الْبَاطِنِ
 تَعَارُفًا، وَتَزَاوُجًا، وَتَأْلَفًا^(٢) حَتَّى أَنَّهُ لَا يَعْدِلُ أَحَدٌ مِنْهَا عَنْ زَوْجِهِ وَلَا
 يَأْنُسُ بِشَيْءٍ مِنْ غَيْرِ جِنْسِهِ^(٣) فَيَأْتِي الذَّكَرُ أَنْثَاهُ، وَالْأُنْثَى ذَكَرَهَا، وَلَوْ
 كَانَا بَيْنَ الْأُوفِ مِنْ أَجْنَاسِ الْوُحُوشِ وَالطَّيْرِ، وَالْهَوَامِّ مِنَ الْمُسُوخِيَّةِ^(٤)
 مِمَّا يَضِيقُ عَنْ إِحْصَائِهِ الْعَدُّ لَا يَأْوِي^(٥) مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا إِلَى وَكْرِهِ
 وَزَوْجِهِ، وَلَا يَعْدِلُ عَنْ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ، وَلَا يَشْتَبِهُ عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَذَلِكَ
 بِحَسَبِ كَوْنِهِمْ فِي الْبَشَرِيَّةِ وَتَرْتِيبِ أَحْوَالِهِمُ الَّتِي خَرَجُوا مِنْهَا، وَإِنَّ

^١ النساء . الآية ٥٦

^٢ في نسخة أخرى: وتألفاً.

^٣ في نسخة أخرى: أبناء جنسه.

^٤ في نسخة أخرى: الممسوخات.

^٥ في نسخة أخرى: يأتي.

مِنْهَا، مَا يَكُونُ بِمَنْزِلَةِ مَنْ سَعَى إِلَى طَلَبِ غَيْرِ زَوْجِهِ وَإِلَيْهِ ^(١) مِنْ
 الذُّكُورِ وَالْإِنَاثِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ بِحَسَبِ مَا كَانَ مِنْ أَفْعَالِهِمْ، وَهُمْ فِي
 الْبَشَرِيَّةِ، إِذَا كَانُوا يَمْدُونِ أَعْيُنَهُمْ وَهَمَّتَهُمْ إِلَيْهِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ مِنْهُمْ
 مَثَلًا بِمِثْلِ، لَا زِيَادَةَ وَلَا نُقْصَانًا، وَذَلِكَ كُلُّهُ مِنْ حِكْمَةِ الصَّانِعِ وَعَدْلِهِ
 فِيهِمْ خَيْرًا بِخَيْرٍ، وَشَرًّا بِشَرٍّ، يُقَلَّبُونَ وَيُغَيَّرُونَ بِإِرَادَتِهِ ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا
 يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ ^(٢) لَا يُعَارِضُ فِي أَمْرِهِ. كَمَا قَالَ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ:
 ﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ ^(٣)

^(١) في نسخة أخرى: وألفه، والأصح وإليه
^(٢) الأنبياء. الآية ٢٣
^(٣) الأنبياء. الآية ٤٧

أَحْوَالُهُمْ فِي الْمُسُوخِيَّةِ:

فَقُلْتُ: يَا مَوْلَايَ، إِنِّي لَأَرَى فِيهِمْ وَهُمْ فِي الْمُسُوخِيَّةِ أَحْوَالًا شَتَّى
 أَرَى فِيهِمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ، وَمِنْهُمْ
 مَنْ يَسْعَى عَلَى بَطْنِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَحْبُو عَلَى يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ، إِلَى كَثِيرٍ مِنْهَا
 مِمَّا أَعْجَزُ عَنْ وَصْفِ أَلْوَانِهَا وَنُعُوتِهَا.

فَقَالَ مَوْلَايَ **عَزَّ عِزُّهُ**: يَا مُفَضَّلُ، لَا يَغْرُبُ عَلَيْكَ عِلْمُ ذَلِكَ، لِأَنَّ
 لِمَوْلَاكَ فِي عَالَمِهِ حُكْمًا وَتَدْبِيرًا بِوُجُودِهِ لِلخَلْقِ مِنْ حَيْثُ يُنْكِرُونَهُ
 وَيَجْحَدُونَهُ، وَبِاخْتِجَابِهِمْ عَنْهُ مِنْ حَيْثُ يَعْرِفُونَهُ، فَيُضِلُّ الخَلْقَ
 الْمَنكُوسَ عَنْ مَعْرِفَتِهِ، وَيَهْدِي الْمُقِرَّ الطَّائِعَ إِلَيْهِ.

وَاعْلَمْ يَا مُفَضَّلُ، أَنَّ مِنَ الْبَشَرِ مَنْ يَسْعَى عَلَى أَرْبَعٍ، مَا دَامَ فِي
 الْبَشَرِيَّةِ، وَذَلِكَ أَنَّ الطِّفْلَ فِي أَوَّلِ دَبِّهِ فِي السَّعْيِ، يَحْبُو مُدَّةَ رِضَاعِهِ
 وَيَكُونُ مَشْيُهُ فِي الْمُسُوخِيَّةِ عَلَى أَرْبَعٍ بِمِقْدَارِ مَا حَبَا فِي طُولِ عُمرِهِ
 فِي الْبَشَرِيَّةِ، فِي كُلِّ هَيْكَلٍ يُنْقَلُ إِلَيْهِ، وَإِنَّ مِنَ الْبَشَرِ مَنْ يَسْتَحِقُّ أَنْ

يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ فِي الْبَشَرِيَّةِ وَالْمُسُوخِيَّةِ، أَمَا تَرَى مَنْ يَمْشِي فِي
 الْبَشَرِيَّةِ عَلَى يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ، وَيَسْعَى عَلَيْهَا سَعْيًا طَوِيلًا؟ اظْلُبْ ذَلِكَ
 فِي الْبَشَرِيَّةِ، تَجِدْهُ كَثِيرًا، وَكَذَلِكَ مَنْ تَجِدْهُ فِي الْبَشَرِيَّةِ يَسْعَى عَلَى
 بَطْنِهِ تَجِدْهُ فِي الْمُسُوخِيَّةِ، كَذَلِكَ اظْلُبْهُ، تَجِدْهُ فِي الْمُسُوخِيَّةِ كَثِيرًا فَهَذَا
 فِي تَرَائِبِ الْحَيَاتِ، وَإِنَّ مِنْهُمْ، مَنْ يَزْحَفُ عَلَى عَجْزِهِ وَرِجْلَاهُ
 مَبْسُوطَتَانِ بَيْنَ يَدَيْهِ، لَا يُطِيقُ حِرَاكَهُمَا، وَلَا يَسْتَعِينُ بِهِمَا، بَلْ يَسْعَى
 حَيْثُ شَاءَ زَحْفًا عَلَى عَجْزِهِ، وَهَذَا فِي تَرَائِبِ الْعَقَارِبِ فِي الْمُسُوخِيَّاتِ
 وَيُؤْوِلُ إِلَى الطَّيْرَانِ بَعْدَ ذَلِكَ، وَمَا تَرَاهُ مِنْ صُنُوفِ التَّرَاكِيبِ فِي
 الْمُسُوخِيَّةِ، فَهُوَ مَوْجُودٌ فِي الْبَشَرِيَّةِ مِنْ صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا.

وَاعْلَمْ يَا مُفَضَّلُ، أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ كَوْنِ الْمَمْسُوحَاتِ، هُوَ بِحَسَبِ
 مَا كَانَ عَلَيْهِ فِي كَوْنِ الْبَشَرِيَّةِ، مِنَ الشَّدَّةِ، وَالْبَطْشِ، وَالصَّوْلَةِ وَالظُّلْمِ
 وَالْبَأْسِ، وَالْقَتْلِ فَكُلُّ مَا حُرِّمَتْ، أَوْ أُكِلَتْ، أَوْ قُتِلَتْ هُنَالِكَ يَنَالُهَا
 هَاهُنَا كَذَلِكَ وَكُلُّ مَقْتُولٍ قَتَلَهُ الْوَحْشُ وَهُوَ بَشَرِيٌّ، أَوْ وَحْشٌ قَتَلَهُ
 بَشَرِيٌّ، يُسَلِّطُ الْمَقْتُولَ عَلَى قَاتِلِهِ، فَيَقْتُلُهُ بِمِثْلِ تِلْكَ الْحَالَةِ الَّتِي كَانَ

بِهَا، عَدْلًا مِنَ الْبَارِي وَإِنْصَافًا جَارِيًا، أَمَا تَرَى الْبَشَرَ فِي كُلِّ حِينٍ
 يَقْتُلُونَ السَّبَاعَ، وَالسَّبَاعَ تَقْتُلُ الْبَشَرَ؟ فَذَلِكَ الْقَتْلُ الَّذِي وَقَعَ
 بِالسَّبْعِ مِنَ الْبَشَرِ، هُوَ مِثْلُ الْقَتْلِ الَّذِي وَقَعَ مِنْ ذَلِكَ السَّبْعِ وَهُوَ فِي
 الْبَشَرِيَّةِ عَلَى قَاتِلِهِ وَهُوَ سَبْعٌ فِي الْمُسُوخِيَّةِ، وَكَذَلِكَ يَقُولُ الْعَالَمُ إِذَا
 جَرَى شَيْءٌ مِثْلُ ذَلِكَ: «لَا يَقْتُلُ السَّبْعُ إِلَّا سَبْعٌ مِثْلُهُ» وَذَلِكَ لِأَنَّهُ فِي
 كُلِّ كَوْرٍ وَدَوْرٍ وَحَقْبٍ^(١)، وَرَجَعَةٍ، يُنْقَلُ ذَلِكَ الْبَشَرِيُّ إِلَى سَبْعٍ وَيُنْقَلُ
 السَّبْعُ إِلَى بَشَرِيٍّ، فَيَسْتَوِي الْفَاعِلُ مِنَ الْمَفْعُولِ بِهِ، ثُمَّ يَعُودُ الْمَفْعُولُ
 بِهِ يَسْتَوِي مِنَ الْفَاعِلِ، عَدْلًا مِنَ الْبَارِي فِي الْخَلْقِ كَافَّةً.

وَكَذَلِكَ يَجْرِي حُكْمُهُ فِي جَمِيعِ أَصْنَافِ الْبَشَرِيَّةِ وَالْمُسُوخِيَّةِ،
 وَزَنَا بِوَزْنٍ، مِنْ عَضَّةٍ، وَلَطْمَةٍ، وَخَدَشَةٍ، وَرَفْسَةٍ، وَدَفْعَةٍ، وَقَتْلَةٍ وَإِنَّ
 مِنْهُمْ مَنْ تَعْتَرِيهِ الْعِلَّةُ وَالْعَاهَةُ فَإِنْ كَانَ قَدْ مَلَكَ شَيْئًا، مَلَكَهُ ذَلِكَ
 الشَّيْءُ مِثْلَ مَا مَلَكَهُ هُوَ، وَإِنْ أَعْتَقَهُ، أَعْتَقَهُ، وَإِنْ بَلَغَ بِهِ حَالٌ، بَلَغَ
 بِهِ حَالٌ مِثْلُهُ.

^(١) الحقبة ثمانون سنة، وقيل أكثر من ذلك.

أَجْنَاسُهَا وَنَعُوتُهَا:

٧٤

قَالَ الْمُفَضَّلُ مِنْهُ السَّلَامُ: فَقُلْتُ: يَا مَوْلَايَ، قَدْ أَوْضَحْتَنِي ^(١)
 بِشَرْحٍ وَاحِدٍ، أَغْنَانِي وَجَزَانِي عَنْ شُرُوحٍ كَثِيرَةٍ، لِأَنَّنِي قَدْ عَرَفْتُهُ
 وَفَهِمْتُهُ بِفَضْلِكَ عَلَى عَبْدِكَ، فَأَسْأَلُكَ أَنْ تُعَرِّفَنِي جَمِيعَ أَجْنَاسِهَا
 وَنَعُوتِهَا، فِي كُلِّ مَحَلٍّ تَحُلُّهُ، فِي الْبَشَرِيَّةِ وَالْمُسُوخِيَّةِ. فَقَالَ مَوْلَايَ عَزَّ
 عِزُّهُ: اإَعْلَمْ يَا مُفَضَّلُ، أَنَّهُ مَا مِنْ جِنْسٍ مِنْهَا يَكُونُ ذَا صِفَةٍ وَنَعْتٍ
 فِي الْبَشَرِيَّةِ، إِلَّا وَيَكُونُ كَذَلِكَ فِي الْمُسُوخِيَّةِ فَإِنْ كَانَ أَسْوَدَ، كَانَ
 كَذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ أَبْيَضَ، كَانَ كَذَلِكَ فِي الْمُسُوخِيَّةِ، وَإِنْ كَانَ أَصْفَرَ كَانَ
 كَذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ أَبْرَشَ، كَانَ كَذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ أَبْلَقَ كَانَ كَذَلِكَ، حَتَّى
 فِي لَوْنِهِ، وَشَعْرِهِ، وَصِفَتِهِ، وَنَعْتِهِ، فِي جَمِيعِ مَا يُنْقَلُ إِلَيْهِ فِي الْحَالَيْنِ
 الْبَشَرِيَّةِ وَالْمُسُوخِيَّةِ، حَتَّى أَنَّهُ إِذَا كُفَّ فِي الْبَشَرِيَّةِ كُفَّ فِي
 الْمُسُوخِيَّةِ، وَكَذَلِكَ إِذَا حُجِبَ فِي الْبَشَرِيَّةِ، حُجِبَ فِي الْمُسُوخِيَّةِ وَإِذَا
 حَدَّثَ بِهِ شَيْءٌ مِنَ الْعِلَلِ وَالْعَاهَاتِ فِي الْبَشَرِيَّةِ حَدَّثَ بِهِ ذَلِكَ

^١ في نسخ أخرى: أَوْصَيْتَنِي. وفي نسخة أخرى: نَبَّأَتَنِي.

الشَّيْءُ بِعَيْنِهِ فِي الْمُسُوخِيَّةِ، لَا زِيَادَةَ وَلَا نُقْصَانَ حَتَّى إِذَا حَدَّثَ ^(١)
 بِهِ حَادِثَةً، فَإِنَّهَا تَحْدُثُ بِهِ بِمِثْلِ ذَلِكَ الْوَقْتِ وَالْيَوْمِ وَالسَّاعَةِ، وَإِنْ
 زَالَتْ عَنْهُ فِي الْبَشَرِيَّةِ، زَالَتْ عَنْهُ فِي الْمُسُوخِيَّةِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْوَقْتِ
 وَإِنْ طَالَتْ بِهِ فِي الْبَشَرِيَّةِ، طَالَتْ بِهِ فِي الْمُسُوخِيَّةِ وَإِنْ هَلَكَ بِهَا فِي
 الْبَشَرِيَّةِ، هَلَكَ بِهَا فِي الْمُسُوخِيَّةِ، فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْوَقْتِ وَالْيَوْمِ وَالسَّاعَةِ
 حَتَّى لَوْ شِئْتُ يَا مُفَضَّلُ، لَقُلْتُ لَكَ أَنَّ تَعَدُّدَهَا فِي الْحَالِ نَفْسِهِ ^(٢) فِي
 الْبَشَرِيَّةِ وَالْمُسُوخِيَّةِ سَوَاءٌ، حَذَوِ التَّعْلِ بِالتَّعْلِ وَالْقُدَّةِ بِالْقُدَّةِ فِي سَائِرِ
 أَحْوَالِهَا وَنُعُوتِهَا، حَتَّى فِي التَّعَبِ، وَالنَّصَبِ وَالشَّقَاءِ، وَالْكَدْرِ، وَالنَّعْمَةِ
 وَالرَّفَاهِيَّةِ، وَالرَّاحَةِ.

قَالَ الْمُفَضَّلُ مِنْهُ السَّلَامُ: فَقُلْتُ: يَا مَوْلَايَ، مَا أَجَلَ عَدْلِكَ
 وَأَمْضَى قَضَائِكَ! قَالَ: نَعَمْ يَا مُفَضَّلُ، وَإِنَّ ذَلِكَ جَارٍ مِنِّي فِي جَمِيعِ
 الْأَشْيَاءِ الْمَخْلُوقَةِ الْمَكُونَةِ، فِي ^(٣) السَّمَاوَاتِ، وَالْأَرْضِ، وَالْبَرِّ وَالْبَحْرِ
 وَالْجَبَلِ، وَالسَّهْلِ، وَالْأُجَااجِ، وَالْعَذْبِ، وَالْعَامِرِ، وَالْقَفْرِ، وَالْأَمْنِ وَالْخَوْفِ

^(١) فِي نَسْخٍ أُخْرَى: حَدَّثَ
^(٢) فِي نَسْخَةٍ أُخْرَى: فِي حَالِ نَفْسِهِ تَعَدُّدَهَا. وَفِي نَسْخَةٍ أُخْرَى: فِي حَالِ تَنْفُسِهِ وَتَعَدُّدَهَا.
^(٣) فِي نَسْخَةٍ أُخْرَى: مِنْ

وَيَكُونُ كُلُّ مِنْهَا بِكَوْنٍ، ثُمَّ يَصِيرُ مَا كَانَ عَالِيًا هَابِطًا، وَمَا كَانَ هَابِطًا
 عَالِيًا، وَمَا كَانَ مُحْبُوبًا مَهْجُورًا، وَمَا كَانَ مَهْجُورًا مُحْبُوبًا، وَمَا كَانَ
 خَائِفًا آمِنًا، وَمَا كَانَ آمِنًا خَائِفًا، وَمَا كَانَ مُجْدِبًا مُنْبِتًا، وَمَا كَانَ مُنْبِتًا
 مُجْدِبًا، وَمَا كَانَ مُقْفِرًا عَامِرًا، وَمَا كَانَ عَامِرًا مُقْفِرًا فَتَبَيَّنَ ذَلِكَ، تَجِدُهُ
 وَتُعَايِنُهُ يَا مُفَضَّلُ، وَإِنَّكَ لَتَأْتِي إِلَى أَرْضٍ وَاحِدَةٍ، وَقَدْ بُذِرَ فِيهَا بِذَارٌ
 وَاحِدٌ، وَغُذِّي غِذَاءً وَاحِدًا، فَنبَتَ مِنْهُ مَوْضِعٌ، وَعَدِمَ ذَلِكَ الْبِذَارُ
 مَكَانًا آخَرَ وَإِنَّكَ لَتَأْتِي إِلَى مَوْضِعٍ وَاحِدٍ مِنَ الْأَرْضِ، وَالْبِقَاعِ، وَالْجِبَالِ
 فَتَحْفِرُ فِيهِ فَيَخْرُجُ مَأْوُهُ مِلْحًا أَجَاجًا، يُمْتَنَعُ الْوُرُودُ مِنْهُ وَيَكْرَهُهُ
 النَّاسُ وَتَعْدِلُ عَنْهُ إِلَى مَوْضِعٍ آخَرَ، فَتَحْفِرُ، فَيَخْرُجُ مَأْوُهُ عَذْبًا سَائِغًا
 شَرَابُهُ وَإِنَّهُمَا فِي بُقْعَةٍ وَاحِدَةٍ، مُتَقَارِبَانِ لَا تَبَاعَدَ بَيْنَهُمَا، وَكَذَلِكَ فِي
 الْبَحَارِ الْمَالِحَةِ، يَخْرُجُ مِنْهَا مَعِينٌ عَذْبٌ سَائِغٌ فِي جَزَائِرِهَا وَسَوَاحِلِهَا
 مِمَّا قَرَبَ مِنْهَا أَوْ بَعُدَ، وَكَذَلِكَ فِي الْبَحَارِ الْعَذْبَةِ الْحَارِيَةِ، مِثْلُ
 الْفُرَاتِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَنْهَارِ وَالْأَوْدِيَةِ، يُحْفَرُ فِي سَوَاحِلِهَا فَيَخْرُجُ مِنْهَا
 مَعِينٌ مِلْحٌ أَجَاجٌ وَمِثْلُ ذَلِكَ فِي قُلَلِ الْجِبَالِ، وَبُطُونٍ عَلَى الْأَوْدِيَةِ وَإِنَّهُ
 لَيَنْبُعُ الْمَاءُ مِنْهَا فِيهِ عَذْبٌ وَمَالِحٌ، وَإِنَّهُمَا يَكُونَانِ مِنْ مَعْدِنٍ وَاحِدٍ

وَلِذَلِكَ دَلِيلٌ آخَرُ أَوْضَحُهُ لَكَ، أَنَّهُ رُبَّمَا كَانَ مُحْتَفَرُ الْمَاءِ الْمَعِينِ عَذْبًا
 شَرَابُهُ، فَلَا يَزَالُ عَلَى مَمَرِّ الدُّهُورِ وَالْأَيَّامِ، حَتَّى يَحُولَ ذَلِكَ الْعَذْبُ
 فَيَصِيرُ مَالِحًا يَمْنَعُ شَارِبَهُ الْوُرُودَ عَلَيْهِ، وَيَتَجَافَاهُ النَّاسُ، وَيَصِيرُ
 عَجِيبًا، وَيَكْثُرُ تَعَجُّبُ عَارِفِيهِ مِنْهُ، وَأَنَّهُ كَيْفَ كَانَ عَذْبًا فُرَاتًا،
 فَصَارَ مِلْحًا أَجَاجًا فَيَصِيرُ مَثَلًا بِتَغْيِيرِهِ عَلَى عَارِفِيهِ فِي الْحَالَيْنِ، وَإِنَّهُ
 لَيَكُونُ مَعِينًا جَارِيًا وَبَحْرًا مَعْرُوفًا بِجَرَيَانِ الْمَاءِ، يَمْتَنِعُ الْعُبُورُ فِيهِ
 إِلَّا فِي الْمَرَائِبِ لِعَظَمِهِ وَسِعَتِهِ وَبَعْدَ قَعْرِهِ وَكَثْرَةِ أُمُوجِهِ، حَتَّى لَا
 يَقْدِرَ أَحَدٌ عَلَى الْعُبُورِ فِيهِ إِلَّا عِنْدَ سُكُونِهِ مِنْ هَوْلِهِ فَإِذَا سَكَنَتِ
 الرِّيحُ عَنْهُ، جَرَتْ فِيهِ الْمَرَائِبُ فَيَعْبُرُ السَّالِكُ بِهِ، ثُمَّ يَصِيرُ بَعْدَ ذَلِكَ
 فِي وَقْتٍ آخَرَ وَعَصْرِ آخَرَ يَبْسًا وَيَزُولُ كُلُّ ذَلِكَ مِنْهُ، حَتَّى يَحُولَ إِلَى
 غِيَاضٍ، وَآجَامٍ^(١) وَآكَامٍ^(٢) ثُمَّ يَحُولُ إِلَى بَرٍّ، وَقَفَرٍ، وَفَلَوَاتٍ، وَمَغَائِرَ
 حَتَّى أَنَّهُ لَتَمُرُّ بِهِ الْمَارَّةُ، فَيَقُولُ قَائِلُهُمْ: إِنَّهُ قَدْ قِيلَ أَنَّ هَذَا الْمَوْضِعَ
 كَانَ يُعْهَدُ فِي بَعْضِ الْأَزْمِنَةِ بَحْرًا تَجْرِي فِيهِ الْمَرَائِبُ وَالسُّفُنُ لِعَظَمِهِ
 وَسِعَتِهِ، وَكَانَ مِنْ وَصْفِهِ كَذَا وَكَذَا وَالْآنَ قَدْ صَارَ إِلَى مَا تَرَوْنَ، وَرُبَّمَا

^(١) الأجمة: الشجر الكثير الملتف.

^(٢) الأكمة تل من القف وهو حجر واحد أو من حجارة واحدة، وقيل: هو دون الجبال، وقيل: هو الموضع الذي هو أشد ارتفاعاً مما حوله وهو غليظ لا يبلغ أن يكون حجراً.

قَالَ: لَقَدْ خَيْرْتُ أَنَّ هَذَا الْمَوْضِعَ كَانَ مِنْ حَالِهِ كَذَا وَكَذَا وَكَانَ مِنْ
 نَعْتِهِ كَذَا وَكَذَا، وَلَيْسَ هُوَ عَلَى مَا وَصَفُوهُ الْيَوْمَ، وَرُبَّمَا كَانَ قَفْرًا
 مُوحِشًا لَا يَأْنُسُ إِلَيْهِ أَحَدٌ، يَمْتَنِعُ مِنْ سُكْنَاهُ مَخَافَةَ الظَّمَا ثُمَّ يَصِيرُ
 بَعْدَ ذَلِكَ أَوْدِيَّةً وَأَنْهَارًا وَبِحَارًا، حَتَّى لَا يُسَلِّكَ فِيهِ إِلَّا بِالْمَرَائِبِ
 لِعِظَمِهِ، وَهَوْلِ مَائِهِ، فَيَقُولُ الْقَائِلُ الْعَارِفُ بِهِ وَهُوَ فِي الْحَالِ الْأَوَّلِ مِنَ
 الْبَرِّ وَالْقَفْرِ: عَهْدِي بِهَذَا الْمَوْضِعِ وَصْفُهُ كَذَا وَكَذَا، وَهُوَ الْيَوْمَ عَلَى
 خِلَافِ مَا قَالُوا وَمَا وَصَفُوا وَهَذَا شَيْءٌ يَتَحَدَّثُ بِهِ الْعَالَمُ دَائِمًا وَأَبَدًا
 وَيَتَنَاقَلُونَهُ وَيَعْرِفُونَهُ مِمَّا قَدْ اخْتَبَرُوهُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ وَنَسُوهُ، وَبَقِيَ مِنْهُمْ
 الْإِقْرَارُ بِهِ، لِأَنَّهُمْ دَائِمًا يَتَمَثَّلُونَ بِقَوْلِهِمْ: النَّهْرُ الَّذِي جَرَى فِيهِ الْمَاءُ
 لَا بُدَّ أَنْ يَعُودَ إِلَيْهِ، فَيَقُولُ الْقَائِلُ عَقِيبَ هَذَا الْكَلَامِ: إِنَّهُ لَا يَعُودُ
 حَتَّى تَهْلِكَ حَيَاتُهُ، وَجَمِيعُ مَا عَلَيْهِ مِنَ النَّبَاتِ، وَهُمْ صَادِقُونَ فِي ذَلِكَ
 الْكَلَامِ، لَكِنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ حَقِيقَةَ ذَلِكَ، إِلَّا أَنْ يَصِيرَ بَرًّا، وَقَوْلُهُمْ أَيْضًا:
 عُودُ جَرَى فِيهِ الْمَاءُ لَا بُدَّ أَنْ يَعُودَ فِيهِ وَهُمْ صَادِقُونَ فِي ذَلِكَ وَهَذَا
 أَكْبَرُ دَلِيلٍ أَنَّهُ إِذَا عَادَ ذَلِكَ الْمَاءُ إِلَى حَالِهِ، وَجَرَى عَلَى سُنَّتِهِ الْقَدِيمَةِ
 نَبَتَ جَمِيعُ مَا كَانَ عَلَى ذَلِكَ النَّهْرِ وَالْوَادِي وَالْبَحْرِ مِنَ الْأَشْجَارِ

الْخَضِرَاءِ وَالنَّبَاتِ، إِنَّ طَيِّبًا فَطَيِّبًا، وَإِنْ خَبِيثًا فَخَبِيثًا، حَتَّى أَنْ الشَّجَرَ
 لَتَنْبُتُ فِي مَوْضِعِهَا الَّتِي كَانَتْ فِيهِ بَعَيْنُهُ وَيَمْلِكُهَا الَّذِي كَانَتْ لَهُ وَهَلَكَ
 عَنْهَا، ثُمَّ يَمْلِكُهَا بَعْدَهُ غَيْرُهُ وَغَيْرُهُ قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ، وَجِيلًا بَعْدَ جِيلٍ
 وَلَا يَكُونُ شَيْءٌ نَبَتَ وَهَلَكَ عَلَى ذَلِكَ الْمَاءِ، إِلَّا وَيَعُودُ لِكَوْنِهِ الْأَوَّلِ
 حَتَّى لَا يَكُونَ شَيْءٌ سَكَنَ فِي ذَلِكَ الْمَاءِ مِنَ الْحَيَاتَانِ أَوْ فِي الْبَرِّ عَلَى
 الْمَاءِ مِنَ الْوَحْشِ وَالذَّبِيبِ إِلَّا يَعُودُ لِكَوْنِهِ الْأَوَّلِ الطَّيِّبِ طَيِّبًا
 وَالْخَبِيثِ خَبِيثًا، لَا زِيَادَةً وَلَا نُقْصَانًا^(١) بَلْ تَجِدُ الَّذِي عُهِدَ بِهِ فِي
 الْحَالِ الْأَوَّلِ مَوْجُودًا فِي الْحَالِ الثَّانِي عَدْلًا مِنَ الْبَارِي سُبْحَانَهُ
 وَصِرَاطًا مُسْتَقِيمًا دَائِمًا بِدَوَامِهِ، لَا يَفْنَى وَلَا يَزُولُ وَلَا يَحُولُ، بَلْ
 يَتَرَدَّدُ كَمَا قَدَرَهُ صَانِعُهُ الْحَكِيمُ.

ثُمَّ أَنَّهُ يَا مُفَضَّلُ، يَأْوِي كُلُّ جِنْسٍ مِنْ سَائِرِ أَصْنَافِ الْمُسُوخِيَّةِ
 إِلَى حَيْثُ كَانَ فَالطَّيْرُ تَعْرِفُ مَجَائِمَهَا^(٢) وَالْوَحْشُ تَعْرِفُ أَوْكَارَهَا حَتَّى

^(١) في نسخة أخرى: ولا نقصان.
^(٢) أي أماكن مبيتها فتنام على صدرها ويمكن أن نقول باختصار هي تعرف أماكن بيوتها كالأعشاش مثلا وهو واضح من السياق.

لَا يَذْهَبَ أَحَدٌ مِنَ الْحَالِ الَّذِي عَهْدُهُ فِي الْكَرَّةِ الْأُولَى، إِلَّا أَتَاهُ، وَذَكَرَهُ
وَعَرَفَهُ فَتَتَجَدَّدُ عَلَيْهِ بِذَلِكَ أَحْزَانُهُ.

فَهَذَا يَا مُفَضَّلُ، الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ
الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾^(١) وَهَذَا الْمُرَادُ بِتَبْدِيلِهَا فِي الظَّاهِرِ.

وَأَمَّا فِي الْبَاطِنِ، فَإِنَّهُ أَرَادَ بِتَبْدِيلِ الْأَرْضِ غَيْرَ الْأَرْضِ، عَالَمَ
الْمِزَاجِ الَّذِينَ هُمْ فِي الْأَرْضِ سَاكِنُونَ، فَإِذَا تَخَلَّصُوا مِنَ الْمِزَاجِ الَّذِي هُمْ
فِيهِ وَصَفَوْا، رُفِعُوا إِلَى الْعُلُوِّ، وَزَالَتْ عَنْهُمْ رُتْبَةُ الْمِزَاجِ، فَيَحُلُّونَ فِي
غَيْرِ الْمَحَلِّ السُّفْلِيِّ، فِي الْعَالَمِ الْعُلَوِيِّ الثُّورَانِيِّ، وَيَعُودُونَ إِلَى جَوْهَرِهِمْ
الَّذِي بَدَوْهُمْ مِنْهُ، لِأَنَّ جَوْهَرَ الشَّيْءِ، هُوَ أَصْلُ الشَّيْءِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا
نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾^(٢) فَهُوَ نَصٌّ عَلَى أَهْلِ الْجُحُودِ وَالْإِنْكَارِ، لِأَنَّهُمْ
مِنَ الْأَرْضِ خُلِقُوا، وَفِيهَا يُعَادُونَ بِالْمُسُوخِيَّةِ، وَمِنْهَا يُخْرَجُونَ إِلَى

الرُّسُوحِيَّةِ بِدَوَامِ الْحَالِ الْجَارِي الَّذِي لَزِمُوهُ بِجَحْدِهِمْ، وَإِنْكَارِهِمْ
 وَخِلَافِهِمْ، وَكُفْرِهِمْ، يَكْرُونُ فِي الْأَرْضِ بِالْبَشَرِيَّةِ، ثُمَّ يَصِيرُونَ إِلَى
 الْمُسُوحِيَّةِ، بِمَا اكْتَسَبُوهُ مِنْ أَعْمَالِهِمْ ثُمَّ يَصِيرُونَ إِلَى الرُّسُوحِيَّةِ بِسُوءِ
 أَعْمَالِهِمْ وَإِضْرَارِهِمْ عَلَى ذَلِكَ الْجُحُودِ، لِأَنَّهُمْ كُلَّمَا أُذِيقُوا عَذَابًا خَرَجُوا
 إِلَى مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ، وَعِنْدَ ذَلِكَ يَكُونُونَ^(١) أَشَدَّ كُفْرًا وَعِنَادًا وَإِنَّهُ لَوْ
 وَرَدَ^(٢) عَلَيْهِمْ مِثْلُ تِلْكَ الدَّعْوَةِ، مِائَةَ أَلْفٍ فِي مِثْلِهَا مُكَرَّرًا، لَمَا أَجَابُوا
 وَلَا صَدَّقُوا فَهُمْ فِي أَلِيمِ الْعَذَابِ لَا يُفْتَرِّ عَنْهُمْ، عَذْلًا مِنَ الْبَارِي جَارِيًا
 فِيهِمْ وَفِي غَيْرِهِمْ، يَنْتَقِمُ مِنْهُمْ فِي الْبَشَرِيَّةِ، وَالْفُسُوحِيَّةِ وَالْمُسُوحِيَّةِ
 وَالْوُسُوحِيَّةِ، وَالرُّسُوحِيَّةِ، فِي كَشْفٍ بَعْدَ كَشْفٍ، وَرَجْعَةٍ بَعْدَ رَجْعَةٍ
 وَهُمْ عَلَى سُنَنِ مَا جَرَى لَهُمْ مِنَ الْجُحُودِ، وَالْإِنْكَارِ وَالْكُفْرِ بِجَمِيعِ مَا
 يَظْهَرُ لَهُمْ مِنَ الْحَقَائِقِ.

^(١) في نسخة أخرى: يكون.
^(٢) في نسخة أخرى: رد.

حَدِيثُهُ عَنْ السَّمَوَاتِ:

٨٢

وَأَمَّا قَوْلُهُ يَا مُفَضَّلُ: ﴿وَالسَّمَوَاتِ﴾^(١) فَقَدْ عَلِمْتَ مَا نَعَتَهَا بِهَا
 السَّيِّدُ مُحَمَّدٌ عَزَّ عِزُّهُ، إِذْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ
 وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا
 طَائِعِينَ﴾^(٢) وَهَذَا نَصٌّ عَلَى اثْنَيْنِ سَمَاءٍ وَأَرْضٍ، وَإِجَابَتُهُمَا إِلَى ذَلِكَ
 فَأَعْرِفْ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِ مَوْلَاكَ، حَتَّى يَرِدَ عَلَيْكَ شَرْحُهُ عِنْدَمَا يُشَاكِلُهُ
 مِنَ الشَّرْحِ، وَقَدْ قَالَ السَّيِّدُ مُحَمَّدٌ عَزَّ عِزُّهُ فِي ظَاهِرِ الْأَمْرِ: إِنَّ لِلَّهِ
 سَمَاءً مِنْ دُخَانٍ، وَسَمَاءً مِنْ ضَبَابٍ، وَسَمَاءً مِنْ فِضَّةٍ، وَسَمَاءً مِنْ ذَهَبٍ
 وَسَمَاءً مِنْ يَاقُوتٍ، وَسَمَاءً مِنْ زُمْرُودٍ، وَسَمَاءً مِنْ نُورٍ.

كُلُّ سَمَاءٍ هِيَ سَلْمَانُ:

٨٣

وَكُلُّ سَمَاءٍ فِي الْبَاطِنِ سَلْسَلٌ، وَهُوَ الْبَابُ، وَحَدَانِيَّةٌ^(١) لَا تَتَغَيَّرُ
 إِلَّا بِالظُّهُورِ عِنْدَ الْعَالَمِ السُّفْلِيِّ، كَمَا نَظَرُوهُ بِأَسْمَاءٍ مُخْتَلِفَةٍ: جِبْرَائِيلَ
 وَيَأْئِيلَ، وَحَامٍ وَدَّانٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ، وَرُوزْبَةَ، وَسَلْمَانَ، وَهِيَ فِي الْحَقِيقَةِ
 رُوزْبَةُ^(٢)، وَهُوَ جِبْرَائِيلُ نُورَانِيًّا، فَتَبْدِيلُ السَّمَاوَاتِ، مَالَهَا إِلَى كَوْنٍ
 آخَرَ، وَتَبْدِيلُ كُلِّ عَالَمٍ فِيهَا، بِحَسَبِ مَا يَتَبَدَّلُ الْآخَرُ، فَإِنْ دَاخَلَ شَخْصًا
 مِنْ أَشْخَاصِ الْمَرَاتِبِ وَالدرَجِ، أَوْ مَنْ جَاوَزَهُمْ مِمَّنْ صَفَا وَرَقِيَ^(٣)
 حَالًا مِثْلَ قَوْلِهِ: كُنْتُ فِي مَنْزِلَةِ دَنِيَّةٍ، فَاجْتَهَدْتُ بِنَفْسِي حَتَّى
 تَخَلَّصْتُ مِنْهَا وَرَفَعْتُ إِلَى هَذِهِ الْمَنْزِلَةِ، وَقَدْ رُدِدْتُ إِلَيْهَا فَيُدَاخِلُهُ مِنْ
 ذَلِكَ شَكٌّ فَيَسْتَحِقُّ بِذَلِكَ الْعُقُوبَةَ لِاعْتِرَاضِهِ، وَإِنْ عَلِمَ أَنَّ الرِّفْعَةَ
 وَالْعُلُوَّ يَحْلَانِ بِحَيْثُ حَلَّ مَوْلَاهُ وَاسْمُهُ وَبَابُهُ، وَشَكَرَ مَوْلَاهُ عَلَى ذَلِكَ
 ازْدَادَ رِفْعَةً وَعُلُوًّا وَإِنْ دَاخَلَهُ اعْتِرَاضٌ، عِنْدَ تَغْيِيرِ الْبَابِ بِالْأَسْمَاءِ
 وَالصِّفَاتِ وَعِنْدَ امْتِحَانِ الْمَوْلَى لِلْعَالَمِ، بِالظُّهُورَاتِ وَظُهُورِ اسْمِهِ بَيْنَ

^١ في نسخة أخرى: وحدانيته.

^٢ في نسخة أخرى: سلمان. والاصح هو روزبة وهو اسم سلمان في الفرس.

^٣ في نسخة أخرى: ورقى

يَدِيهِ بِمِثْلِ ذَلِكَ وَدَاخَلَ الشَّخْصَ شَكٌّ فِي ظُهُورِهِ بِتِلْكَ السَّمَاءِ
 اسْتَوْجَبَ بِذَلِكَ الْعُقُوبَةَ فَمِنْ ذَلِكَ، كُسُوفُ الشَّمْسِ، وَخُسُوفُ الْقَمَرِ
 وَالتَّغْيِيرُ الَّذِي يَلْحَقُهُمَا وَكَذَلِكَ اخْتِرَاقُ النُّجُومِ وَهَبُوطُهَا وَرُبَّمَا يَلْحَقُهُ
 بِتَقْصِيرِهِ فِي ذَلِكَ، مَا يَهْبِطُ بِهِ إِلَى الْأَرْضِ، فَيُقِيمُ فِيهَا قَمِيصًا^(١)، أَوْ
 اثْنَيْنِ، أَوْ ثَلَاثَةً، أَوْ أَقَلَّ أَوْ أَكْثَرَ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ، يُخْفِي نَفْسَهُ عَنِ الْبَشَرِ
 فَإِنْ أَحَبَّ أَنْ يُظْهِرَ نَفْسَهُ لِأَحَدٍ مِمَّنْ كَانَ قَدْ عَرَفَهُ، أَظْهَرَ لَهُ نَفْسَهُ
 فَيَقِفُ إِلَى جَانِبِهِ^(٢) وَيُحَادِثُهُ فِي أَشْيَاءَ تَكُونُ تَأْدِيبًا لَهُ، وَيَكُونُ
 كَلَامُهُ مَعَهُ عَلَى سَبِيلِ النَّصِيحِ، وَالْأَمْرِ بِالْخَيْرِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ
 وَالْمَكْرُوهِ.

الْحَدِيثُ نَفْسَهُ:

وَمِنْ ذَلِكَ يَا مُفَضَّلُ، أَنَّكَ تَلْقَى الرَّجُلَ وَهُوَ يَمْشِي وَحْدَهُ
 وَيَتَحَدَّثُ، فَتَقُولُ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ لِيُحَدِّثُ نَفْسَهُ وَيَأْمُرُهَا وَيَنْهَاهَا، نَعَمْ
 يَا مُفَضَّلُ، وَأَنَّهُ لِيُعَلِّيَ كَلَامَهُ وَيَقُولُ: لَا أَفْعَلُ شَيْءَ الْمُجِيبِ مُخَاطِبًا لَهُ

^(١) في نسخة أخرى: في قميص واحد.
^(٢) في نسخة أخرى: جانب الرجل البشري.

يَقُولُ: أَلَا تَفْعَلُ؟ وَرُبَّمَا كَانَ الرَّجُلُ وَحْدَهُ، فِي بَلَدٍ قَفْرٍ، بِلَا أُنَيْسٍ، وَلَا
 تَابِعٍ، وَلَا رَفِيقٍ، وَإِنَّهُ لَيُحَدِّثُ مَعَ ذَلِكَ نَفْسَهُ وَيُخْفِي صَوْتَهُ، كَأَنَّ لَدَيْهِ
 مُسْتَمِعًا لَا يُحِبُّ إِسْمَاعَهُ، كَمَا يَفْعَلُ الرَّجُلُ بِمُخَاطَبِهِ إِذَا سَارَّهُ، وَأَخْفَى
 صَوْتَهُ عَمَّنْ يَخْشَى اسْتِمَاعَهُ وَمِثْلُ ذَلِكَ كَثِيرٌ، فَالْمُحَدِّثُ لِلرَّجُلِ
 الْمُؤْمِنِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ، هُوَ مَا يَظْهَرُ لَهُ فِيهَا مِنْ خِطَابِ الْعَالِمِ
 الَّذِي هُوَ مِنْ تِلْكَ الْأَشْخَاصِ الْمَوْصُوفِ لَكَ حَالُهَا بِأَنَّهَا هَابِطَةٌ مِنَ
 الْعُلُوِّ فَإِنْ أَحَبَّ ذَلِكَ الشَّخْصُ، أَنْ يُظْهَرَ نَفْسَهُ لِلشَّخْصِ الْبَشَرِيِّ
 ظَهَرَ لَهُ وَأَنَسَهُ، وَإِنْ لَمْ يُحِبَّ، أَخْفَى نَفْسَهُ، وَيَجْرِي لَهُ مَعَ الْبَشَرِيِّ كَمَا
 أَخْبَرْتُكَ عَنْهُ فِي هَذَا الشَّرْحِ، لِأَنَّهُ يُوجِدُهُ مَعَانِي الْأَشْيَاءِ، وَلَا يَقَعُ
 طَرْفُهُ عَلَى أَحَدٍ يَرَاهُ، وَمِنْ ذَلِكَ، أَنَّكَ تَكُونُ عَلَى حَالَةٍ مِنْ ^(١) الْوَحْدَةِ
 فَتُشْرِفُ عَلَى الْهَلَاكِ، وَلَا يَكُونُ قُرْبَكَ أَحَدٌ تَسْتَعِينُ بِهِ وَفِيمَا أَنْتَ
 عَلَى يَأْسٍ مِنْ أَمْرِكَ، إِذْ يُشْرِفُ عَلَيْكَ مَنْ يُخَلِّصُكَ وَيَكْشِفُ عَنْكَ
 مَخَافَتَكَ وَمَا أَنْتَ فِيهِ مِنَ الشَّدَّةِ، فَيَكُونُ عَوْنًا لَكَ عَلَيْهَا فَإِذَا تَخَلَّصْتَ
 قُلْتَ: بَعَثَ اللَّهُ لِي الرَّجُلَ رَحْمَةً مِنْهُ وَنِعْمَةً عَلَيَّ فَأَنْقَذَنِي مِمَّا كُنْتُ

^(١) في نسخة أخرى: في.

فِيهِ، فَمَا أَذْرِي مِنَ الْأَرْضِ صَعِدَ، أَمْ مِنَ السَّمَاءِ نَزَلَ وَرُبَّمَا تَتَّبَعُهُ
 وَتَطْلُبُهُ، فَتَعْدَمُهُ وَلَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ، وَيَكُونُ كَأَنَّهُ مَا كَانَ فَتَقُولُ:
 لَسْتُ أَذْرِي مِنَ السَّمَاءِ نَزَلَ، أَمْ مِنَ الْأَرْضِ صَعِدَ، وَذَلِكَ الْقَوْلُ مِنْكَ
 حَقِيقَةٌ، وَأَنْتَ لَا تَعْلَمُ إِنْ كَانَ مِنَ السَّمَاءِ نَزَلَ، أَمْ مِنَ الْأَرْضِ صَعِدَ
 وَلَا تَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ نَزَلَ، أَمْ إِلَى السَّمَاءِ صَعِدَ، فَتَبَيَّنَ هَذَا يَا مُفَضَّلُ
 تَعْرِفُهُ.

مُرَافَقَةُ الْمَوْلَى لَهُم:

وَاعْلَمْ يَا مُفَضَّلُ، أَنَّ الْمَوْلَى يَحُلُّ فِي السَّمَاوَاتِ ^(١) عِنْدَ حُلُولِهِمْ
 فِيهَا وَيَنْزِلُ مَعَهُمْ إِلَى الْأَرْضِ عِنْدَ نُزُولِهِمْ إِلَيْهَا فِي كُلِّ مَنْزِلٍ يَنْزِلُونَهُ
 مِنْهَا لِتَثَبَّتِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ وَلَهُمْ، مِنْ حَيْثُ وُجُودِهِمْ ذَاتِهِ فِي كُلِّ مَحَلٍّ
 يَحُلُّونَهُ فَإِذَا آثَرُوا وَفَضَّلُوا الْمَنْزِلَةَ الَّتِي كَانُوا فِيهَا فِي الْعُلُوِّ، عَلَى الْمَنْزِلَةِ
 الَّتِي هُمْ بِهَا حُلُولٌ، وَجَبَ بِذَلِكَ عَلَيْهِمُ الْجَزَاءُ الْجَارِي بِهِمْ، وَيَكُونُ
 لِإِيثَارِهِمُ الْمَكَانَ عَلَى الْمُكُونِ، وَمَنْ آثَرَ الْمُكُونَ عَلَى الْأُمْكِنَةِ كُلَّهَا

^١ الحلول هنا لا كما يفهمه السفهاء أن حل في السماء، وإنما الحل هنا كان في السماء عندما يكون المؤمنون فيها.

وَعَلِمَ أَنَّهُ حَيْثُمَا حَلَّ الْمُكُونُ، فَهُنَاكَ الْمَكَانُ الْعَالِي الرَّفِيعُ، فَهُوَ عَلَى
 مَنَزَلَةِ الثَّبَاتِ وَلَيْسَ يَجْرِي ذَلِكَ عَلَى أَهْلِ الْمَرَاتِبِ، إِلَّا بَعْدَ ظُهُورِهِمْ
 فِي هَذِهِ الْمَنْزِلَةِ الَّتِي هِيَ الْمَنْزِلَةُ الْأُولَى.

الاختبار:

ثُمَّ يَا مُفَضَّلُ، يَجْرِي عَلَى الْعَالَمِ الْعُلُويِّ الْإِخْتِبَارُ بَعْدَ الصَّفَا
 فَيَكُونُ ذَلِكَ عَلَى حَدِّ الْعَذَابِ لِذَلِكَ^(١) الشَّخْصِ عِنْدَ الْعَالَمِ وَهَذَا يَا
 مُفَضَّلُ، أَصْلُ الْحِكْمَةِ الْأَبَدِيَّةِ، وَدَوَامُ الْمُلْكِ السَّرْمَدِيِّ، وَإِنْفَادُ
 الْقُدْرَةِ وَهُوَ لَا يَبْطُلُ، لِأَنَّهُ قِيَامُ الْعَدْلِ وَدَعَائِمُهُ، وَأَنَّهُ مُخْتَبَرٌ خَيْرٌ.

وَأَعْلَمَ يَا مُفَضَّلُ، أَنَّ الْإِخْتِبَارَ وَقَعَ بِالْعَالَمِ جَمِيعًا، وَهُمْ فِي عَالَمٍ
 وَاحِدٍ لَمَّا ظَهَرَ لَهُمْ، وَأَوْجَدَهُمْ نَفْسُهُ، وَدَلَّاهُمْ عَلَى ذَاتِهِ، وَدَعَاهُمْ إِلَى
 تَوْحِيدِهِ وَأَظْهَرَ فِيهِمْ ظُهُورَاتٍ لَا يَفْضُلُ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَوْلَا ذَلِكَ
 لَقَالُوا: «لَوْ أَظْهَرَ لَنَا مَا أَظْهَرَ لِغَيْرِنَا، لَصَدَّقْنَا وَآمَنَّا، وَعَرَفْنَا الْحَقِيقَةَ»

^(١) في نسخة أخرى: كذلك.

فَكَانَ الْعَدْلُ مِنْهُ، أَنَّهُ أَبْدَاهُمْ ^(١) إِبْدَاءً وَاحِدًا، وَكَوْنَهُمْ كَوْنًا وَاحِدًا
 وَدَعَاهُمْ دَعْوَةً وَاحِدَةً، وَظَهَرَ لَهُمْ ظُهُورًا وَاحِدًا ^(٢)، وَاخْتَبَرَهُمْ اخْتِبَارًا
 وَاحِدًا، فَعَرَفَ مَنْ عَرَفَ، وَأَنْكَرَ مَنْ أَنْكَرَ، وَأَجَابَ مَنْ أَجَابَ وَجَحَدَ
 مَنْ جَحَدَ فَمَيَّزَهُمْ بِعِلْمِهِ بِهِمْ، وَإِنَّ لَهُمْ فِي كُلِّ مَنْزِلَةٍ مَا اسْتَحَقُّوهُ مِنْ
 ذَلِكَ فَالِاخْتِبَارُ مِنَ الْعُلُوِّ: أَصْلُهُ وَبَدْءُهُ، وَكَيْفَ يَهْمِلُهُ مَوْلَاكَ؟! وَإِنَّمَا
 الْفَرْعُ بِالْأَصْلِ.

^١ يَصِحُّ أَبْدَاهُمْ وَأَبْدَاهُمْ. (المحقق): بَدَأَ اللَّهُ الْخَلْقَ بَدْءًا وَأَبْدَاهُمْ بِمَعْنَى خَلَقَهُمْ، وَمِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الْمُبْدِئُ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَ الْأَشْيَاءَ وَاخْتَرَعَهَا
 ابْتِدَاءً مِنْ غَيْرِ سَابِقٍ مِثَالٍ.

عَنْ الْمُفَضَّلِ مِنْهُ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ سَمِعْتُ مَوْلَايَ الصَّادِقَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: إِنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ يَقُولُونَ إِنَّ إِلَهَنَا فِي الْأَرْضِ كَمَا يَقُولُ أَهْلُ الْأَرْضِ أَنَّ إِلَهَنَا
 فِي السَّمَاءِ فَظَهَرَ لِأَهْلِ السَّمَاءِ بِالنُّورَانِيَّةِ وَظَهَرَ لِأَهْلِ الْأَرْضِ بِالْبَشَرِيَّةِ، وَكَانَ ظُهُورُهُ فِي الْقُبَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ بَانَتْ بِطَيْنِ لِإثْبَاتِ الْحُجَّةِ عَلَى الْخَلْقِ لِكَيْ
 لَا يَقُولُوا دَعَانَا إِلَى مَا لَا نَرَاهُ، وَظَهَرَ لَنَا بِمَا لَا نَعْرِفُهُ، وَهَذَا نَفْسُ الْعَدْلِ. (الرسالة المرشدة)

الْقَوْلُ فِي الْإِخْتِبَارِ وَمَعْرِفَتِهِ

٨٩

وَذَلِكَ يَا مُفَضَّلُ، أَنَّ مَوْلَاكَ يَخْتَبِرُ الْعَالَمَ الْبَشَرِيَّ فِي الْمَنَازِلِ
 وَالرُّتَبِ وَالرَّفْعَةِ، وَالْإِنْحِطَاطِ فِي الْبَشَرِيَّةِ، لَا غَيْرَ فَإِنْ عَرَفُوا مَوْلَاكَ
 بِحَقِيقَةِ الْمَعْرِفَةِ، رَفَعُوا، وَسَهَّلَ عَلَيْهِمُ الصَّفَاءَ، وَإِنْ هُمْ أَهْمَلُوا الْمَعْرِفَةَ
 عِنْدَ تَكَامُلِ أَعْمَالِهِمْ، وَقَالُوا: «كُنَّا فِي حَالِ دِينٍ وَدُنْيَا، وَالْيَوْمَ لَا دِينَ
 وَلَا دُنْيَا» هَلَكُوا وَاسْتَحَقُّوا التَّرَدُّدَ فِي الْقُمْصَانِ الْبَشَرِيَّةِ الصَّعْبَةِ، حَتَّى
 يَخْرُجُوا مِنْ ذَلِكَ ثُمَّ يُرَدُّونَ عِنْدَ تَنَاهِي ذَلِكَ إِلَى الْحَالَةِ الْأُولَى الَّتِي
 كَانُوا عَلَيْهَا، مِنَ الرُّتَبَةِ وَالْعُلُوِّ فِي الدُّنْيَا وَالْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ، وَيُسَهَّلُ لَهُمْ
 الصَّفَاءُ فَمِنْهُمْ مَنْ يَرْقَى فِي الْغِنَى فِي حَالِ الدُّنْيَا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَرْقَى فِي
 الْفَقْرِ، فَهَذَا اخْتِبَارُ الْعَالَمِ السُّفْلِيِّ الْبَشَرِيِّ، وَذَلِكَ أَنَّ مَوْلَاكَ يَظْهَرُ
 فِيهِمْ وَيُقِيمُ مَقَامَاتِ حِكْمَتِهِ، وَأَسْبَابُ الْإِرْتِقَاءِ هُوَ الصِّرَاطُ
 الْمُسْتَقِيمُ السَّوِيُّ فِي الْعَالَمِينَ.

وَهَكَذَا يَجْرِي حُكْمُ رَبِّكَ، يَا مُفَضَّلُ، فِي عِبَادِهِ، وَهَكَذَا يَجْرِي
 أَمْرُهُ فِي الْعَالَمِ الْمَنْكُوسِ، أَهْلِ الْخِلَافِ وَالْجُحُودِ وَالْكَفْرِ، يَظْهَرُ لَهُمْ

فِي الْبَشَرِيَّةِ وَيُظْهِرُهُمْ بِهَا، وَيُظْهِرُ لَهُمُ الدَّعْوَةَ، وَيَنْقُلُهُمْ إِلَى التَّنَاهِي
 فِي أَعْلَى الْبَشَرِيَّةِ فِي حَالَتِي الدُّنْيَا وَالْدِّينِ الظَّاهِرِ، وَطَلَبِ الْعِلْمِ الظَّاهِرِ
 وَالْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ وَالْمَنْطِقِ وَالْجِدَالِ، وَالْقُرْآنِ، وَالْمَذَاهِبِ^(١) لِتَقَعَ
 أَفْهَامُهُمْ عَلَى جَمِيعِ عُلُومِ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ، وَيَعْرِفَهُمْ مَقَالَاتِ الْمَذَاهِبِ
 وَيُسَمِعُهُمْ مَعَانِيَهَا، حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهَا شَيْءٌ، إِلَّا وَعَوَهُ وَعَرَفُوهُ وَرَوَوْهُ
 وَتَكَلَّمُوا عَنْهُ ثُمَّ يَرُدُّهُمْ^(٢) إِلَى الْخُمُولِ فِي الدُّنْيَا، وَنُقْصَانِ الْفَهْمِ
 وَالْعَمَى عَمَّا كَانُوا يَعْرِفُونَهُ، وَعَنْ جَمِيعِ مَا كَانَ يَطْرُقُ أَسْمَاعَهُمْ، حَتَّى
 يَكُونُوا^(٣) لَا يَعْرِفُونَ شَيْئًا، وَلَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ حَقٍّ وَبَاطِلٍ، وَخَطِئٍ
 وَصَوَابٍ، وَيَسْمَعُونَ مَا كَانُوا هُمْ أَعْرَفَ بِهِ، فَيَجْهَلُونَهُ، وَيَبْلُوهُمْ ذَلِكَ
 مُدَّةَ اخْتِبَارِهِمْ، فَإِذَا تَنَاهَى بِهِمْ ذَلِكَ إِلَى آخِرِهِ، رَدَّهُمْ إِلَى الْكُفْرِ
 وَالْجُحُودِ، وَعَكَسَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الْمُسُوخِيَّةِ، ثُمَّ يُوجِدُهُمْ فِيهَا جَمِيعَ
 مَا كَانُوا وَجَدُوهُ وَعَرَفُوهُ فِي الْبَشَرِيَّةِ، وَيُبَيِّنُ لَهُمْ مَنْ أَضَلَّهُمْ^(٤)، وَمَنْ
 كَانَ سَبَبَ تِلْكَ الضَّلَالَةِ، فَيَوَدُّونَ أَنْ يُرَدُّوا إِلَى الْبَشَرِيَّةِ لِيُؤْمِنُوا

^(١) فِي نَسْخَةِ أُخْرَى: وَالْقِرَاءَاتِ وَالْمَذْهَبِ.

^(٢) فِي نَسْخَةِ أُخْرَى: رَدَّهُمْ

^(٣) فِي نَسْخَةِ أُخْرَى: يَكُونُونَ.

^(٤) فِي نَسْخَةِ أُخْرَى: أَطْغَاهُمْ.



وَالذَّلِيلُ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا
 نَعْمَلُ﴾^(١) وَقَوْلُهُ: ﴿يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ﴾^(٢)

٩١

وَقَوْلُهُ: ﴿نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾^(٣) وَتَثْبُتُ^(٤) عَلَيْهِمُ
 الْحُجَّةُ بِقَوْلِهِ: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ
 النَّذِيرُ﴾^(٥) وَهُوَ الَّذِي اخْتَبَرَهُمْ فِي الْبَشَرِيَّةِ، بِالرَّدِّ وَالْكَدِّ، وَاتَّخَذَ كُلَّ
 عِلْمٍ ظَاهِرٍ وَبَاطِنٍ، وَاخْتَبَرَهُمُ النَّذِيرُ^(٦) بِالْكَشْفِ وَاللَّعْنَةِ عِنْدَ
 ظُهُورِهِ^(٧)، ثُمَّ أَنَّهُ أَخْبَرَ عَنْهُمْ، أَنَّهُمْ غَيْرُ صَادِقِينَ فِي قَوْلِهِمْ بِقَوْلِهِ
 تَعَالَى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾^(٨) فَلَا يَزَالُونَ فِي الْمُسُوخِيَّةِ
 يُنْقَلُونَ فِي طَبَقَاتِهِمْ^(٩) عَلَى سُنَنِ مَا جَرَى لَهُمْ فِي الْبَشَرِيَّةِ مِنْ
 الْإِمْهَالِ^(١٠) فِي حَالٍ وَاحِدٍ، وَصِرَاطٍ وَاحِدٍ "يَسْلُكُونَهُ، وَتَجْرِي فِيهِمْ

^١ فاطر. الآية ٣٧

^٢ الانعام. الآية ٢٧

^٣ الأعراف. الآية ٥٣

^٤ في نسخة أخرى: وَثَبَّتْ.

^٥ فاطر. الآية ٣٧

^٦ لا توجد في بعض النسخ: وَاخْتَبَرَهُمُ النَّذِيرُ.

^٧ عن المفضل منه السلام واليه التسليم قال مولانا الصادق عز عزه: إذا كان يوم الكشف وحصل أهل النار في العذاب يطلع الأزل تعالى عليهم فإذا رأوه قالوا له (يا مَالِكُ ليقتض علينا رَبُّكَ) فيقول لهم (إنكم ما كنتم) ويقول لهم رسول الله عز عزه (لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون) ولو قالوا يا مولانا أخرجنا منها لأخرجهم، ولكن جعلوه مربوباً في الدنيا ومربوباً في الآخرة (الرد على المرتد)

^٨ الانعام. الآية ٢٨

^٩ في نسخة أخرى: طغيانهم.

^{١٠} في نسخة أخرى: من الذلة والانتقال والإهمال.

الْقُدْرَةُ بَلَا انْقِطَاعٍ لَا يُفْتَرُّ عَنْهُمْ الْعَذَابُ، وَلَا يَزَالُونَ فِيهِ إِلَى الرَّجْعَةِ
 الأُخْرَى" (١)

فَطُوبَى يَا مُفَضَّلُ، لِمَنْ عَرَفَ شَرَحَ هَذَا الْبَاطِنِ وَوَقَفَ عِنْدَهُ،
 وَعَمِلَ بِهِ، وَسَلَّمَ إِلَيْهِ، وَعَرَفَ مُرَادَ مَوْلَاهُ فِيهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ شَكَّ بِهِ
 وَجَحَدَهُ وَصَدَّ عَنْهُ، وَنَدَّ وَخَالَفَ عَلَيْهِ، وَعَانَدَ فِيهِ.

فَقُلْتُ: يَا مَوْلَايَ، لَا يَثْبُتُ عَلَى ذَلِكَ وَلَا يَهْتَدِي إِلَيْهِ، إِلَّا مَنْ
 هَدَيْتَهُ. فَقَالَ: يَا مُفَضَّلُ، أَكْثَرُهُمْ يَقْرُونَ أَنَّ مَوْلَاكَ خَاطَبَ السَّيِّدِ
 مُحَمَّدًا عَزَّ عِزُّهُ، فَقَالَ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ (٢)

وَقَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ (٣)

وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ (٤)

^١ في نسخة أخرى: يسلكه العالم المنكوس ويجري فيهم القدر ولا ينقطع في حال إلى بدء الإرادة الثانية بعد الأولى، يجري ذلك في جميع الملك على دلالة واحدة وصراط واحد يسلكه العالم السفلي، ولا يفترون عنه ولا يحولون ولا يزولون، ولا يفترون عنهم العذاب إلى الرجعة الأخرى.

^٢ الزمر. الآية ٣٠

^٣ المؤمنون. الآية ١٦

^٤ الانعام. الآية ١٢٢

وَقَالَ أَيُّضًا مُخْبِرًا عَنْهُمْ: ﴿رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأُحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾^(١) فَقَدْ أَوْجَدَ أَنَّهُ أَمَاتَهُمْ وَأُحْيَاهُمْ وَهُوَ يُمِيتُهُمْ وَيُحْيِيهِمْ، لِأَنَّهُ^(٢) بِدَوَامِ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، يَقُولُونَ: «فَهَلْ إِلَى الْخُرُوجِ مِنْ سَبِيلٍ، مِنْ دَوَامِ هَذَا الْمَوْتِ وَهَذِهِ الْحَيَاةِ». وَذَلِكَ أَنَّ قَوْلَهُمْ: ﴿أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأُحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ وَهُوَ مَثْنَى مَرَّتَيْنِ، وَكُلُّ مَا ثُنِيَ، كَانَ حَتْمًا جَازِمًا.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَّيِّتُونَ﴾ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ^(٣) فَإِنَّمَا أَرَادَ بِهِ اخْتِبَارَهُمْ.

وَإِذَا السَّيِّدُ الْأَكْبَرُ، وَالْإِسْمُ الْأَجَلُّ الْأَعْظَمُ، وَالنَّفْسُ الْمُحَذَّرَةُ قَدْ عُنِيَ بِهَذَا الْخِطَابِ، فَكَيْفَ حَالُ أَهْلِ الْمَرَاتِبِ وَالْدَّرَجِ وَجَمِيعِ الْعَالَمِ الَّذِينَ هُمْ بَعْضُ حَسَنَاتِ السَّيِّدِ الْأَجَلِّ الْأَعْظَمِ، السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ عَزَّ عِزُّهُ وَأَرَادَ بِالْقِيَامَةِ الْبَعْثَ وَالْكَشْفَ وَالظُّهُورَ، وَرُجُوعَ كُلِّ شَخْصٍ

^١ غافر. الآية ١١
^٢ في النسخ: لأن
^٣ الزمر. الآية ٣١

مِنْ بَشَرِيٍّ وَنُورَانِيٍّ وَظُلْمِيٍّ، إِلَى حَالِهِ الْأَوَّلِ وَالِدَّعْوَةِ الْأُولَى، بِالْحُجَّةِ
 الْقَائِمَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ، فَلَا يَهْلِكُ إِلَّا مَنْ اغْتَرَّ بِقَوْلِهِ: إِنِّي عَارِفٌ، وَمُصَنِّفٌ
 وَمُخَلِّصٌ وَنَاجٍ ^(١) فَلَا خِتَابَ بِهِ هُنَالِكَ أَشَدَّ وَقِيعَةً، وَأَعْظَمَ مُحَنَةً.

وَقَدْ قِيلَ: احْذَرُوا زَلَّةَ الْعَالِمِ، فَإِنَّهَا لَا تُقَالُ، وَيُقَالُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ
 مِنَ الذَّلِّ بَعْدَ الْعِزِّ.

وَيُقَالُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الْغَوِيِّ، وَالْهَوَى الْمُرْدِي
 وَيُقَالُ: زَلَّةُ الْعَالِمِ لَا تُقَالُ، وَزَلَّةُ الْجَاهِلِ تُقَالُ.

كَمَا أَنَّكَ إِذَا عَتَبْتَ عَلَى شَخْصَيْنِ، أَحَدُهُمَا عَالِمٌ وَالْآخَرُ جَاهِلٌ
 فَتَقُولُ: إِنِّي لَا أَخْذُ عَلَى هَذَا الْجَاهِلِ بِجَهْلِهِ، وَإِنَّمَا أَخْذُ عَلَى هَذَا الْعَالِمِ
 بِعِلْمِهِ.

فَإِذَا كَانَ يَا مُفَضَّلُ أَهْلُ الْمَرَاتِبِ وَالدرَج عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الْحَالَةِ مِنَ
 الْإِخْتِبَارِ، فَكَيْفَ يَكُونُ مَنْ هُوَ دُونَهُمْ؟ مِمَّنْ أُلْقِيَتْ إِلَيْهِ الْمَعْرِفَةُ

^(١) في نسخة أخرى: ناجي

وَأَمَرَ بِعَمَلٍ، وَكُشِفَ لَهُ عَنْ شَيْءٍ مِنَ الْبَاطِنِ الْعَظِيمِ، فَلَمْ يَحْمِلْهُ وَقَعَدَ
 عَنْهُ وَقَنَطَ فِيهِ، وَرُبَّمَا دَاخِلَهُ فَرْعٌ فَيَرْجِعُ وَيَشْكُ، وَإِنَّمَا هَذَا مِنَ
 الرُّتَبِ الْبَشَرِيَّةِ، وَمَقَامَاتِ الْإِمْتِحَانِ، وَالتَّرَدُّدِ فِي الْقُمْصَانِ الْبَشَرِيَّةِ
 فَإِنْ تَبَصَّرَ فِيمَا أُلْقِيَ إِلَيْهِ، وَقَبِلَهُ، وَحَافِظَ عَلَيْهِ، عَدَلَ عَنِ التَّرَدُّدِ
 وَالنُّزُولِ فِي الْهَيَاكِلِ الصَّعْبَةِ.

وَأَمَّا أَهْلُ الْخِلَافِ وَالْجُحُودِ وَالْإِنْكَارِ وَالْكُفْرِ، فَهُمْ كَلَّمَا
 جَحَدُوا وَأَنْكَرُوا رُدُّوا مِنَ الْبَشَرِيَّةِ إِلَى الْهَيَاكِلِ الرَّجَسَةِ فِي
 الْمُسُوخِيَّةِ، عَلَى قَدَرِ جُرْمِهِمْ.

وَأَمَّا أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ وَالْإِقْرَارِ، فَإِنَّ مِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ فِي مَنْزِلَةِ عَالِيَةِ
 سَنِيَّةٍ رَفِيعَةٍ، فَيَنْحَطُّ عَنْهَا بِشُبْهَةٍ تَعْرِضُ لَهُ، أَوْ بِشَكٍّ يَدَاخِلُهُ أَوْ
 بِمُمَارَاةٍ يُمَارِي بِهَا، أَوْ بِكَلِمَةٍ تَكُونُ مِنْهُ، أَوْ بِظَنٍّ يَظُنُّ بِأَخِيهِ، أَوْ
 بِوَقِيعَةٍ يُوقِعُهَا فِيهِ، أَوْ بِسُمُوءٍ يَسْمُو بِهِ عَلَيْهِ، أَوْ يَتَصَوَّرُهُ دُونَهُ إِذَا كَانَ
 ذَا دُنْيَا، أَوْ يَسْتَأْثِرُ عَلَيْهِ بِشَيْءٍ مِنْ حُطَامِهَا، أَوْ بِشَيْءٍ مِنَ الدِّينِ
 يَسْأَلُهُ عَنْهُ فَيَبْخُلُ بِهِ عَلَيْهِ، فَالْشَكُّ فِي الْمَعْرِفَةِ، يُؤَدِّي إِلَى الْإِنْحِطَاطِ

وَمُعَانَاةَ الْبَشَرِيَّةِ، وَدُخُولِ الْعَوَارِضِ وَالْعِلَلِ، وَكَذَلِكَ التَّقْصِيرُ فِي
 ٩٦ حُقُوقِ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْقِيَامُ ضِدَّ أَوَامِرِهِمْ، وَعَدَمُ اجْتِنَابِ مُحَارِمِهِمْ
 وَمَسَاوِيهِمْ وَالْوَقِيعَةُ بِهِمْ، وَالِاسْتِثْنَاءُ دُونَهُمْ بَيْنَ أَوْ دُنْيَا، مِنْ فَرَجٍ أَوْ
 سُرُورٍ يُؤَدِّي إِلَى الْإِنْحِطَاطِ وَمُعَانَاةِ الْبَشَرِيَّةِ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ أَعْظَمُ
 مُحْنَةٍ، وَأَشَدُّ مُطَالَبَةً، لِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ آلَى عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يَهَبَ مَا بَيْنَهُ
 وَبَيْنَ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ لَهُمْ، بِأَنْ يُمَحِّصَ عَنْهُمْ ذَلِكَ وَلَا يَعْبَأَ بِهِ، وَمَا
 كَانَ بَيْنَ عَبْدَيْنِ مُؤْمِنَيْنِ مُطَالَبَةً، فَقَدْ آلَى عَلَى نَفْسِهِ أَنْ لَا يَدَعَ
 مِنْهَا شَيْئًا ^(١) إِلَّا اسْتَوْفَاهُ، كَذَلِكَ الْمُعَانِدُ لَهُ عَلَيْهِ يُجَازِيهِ عَلَى قَدْرِ
 فِعْلِهِ بِهِ وَيَأْخُذُ لَهُ بِحَقِّهِ، فَبِهَذِهِ الْأَفْعَالِ، يَسْتَوْجِبُ الْجَزَاءَ، وَالْعَطَاءَ،
 وَالْمُكَافَأَةَ، فَإِذَا كَانَ مَوْلَاكَ يُوفِي الْحَقَّ مِنْ نَفْسِهِ، فَكَيْفَ لَا يَسْتَوْفِي
 لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ غَيْرِهِمْ ^(٢) وَقَدْ جَعَلَهُمْ سَوَاءً فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ، بِقَوْلِهِ
 لَهُمْ: "كُونُوا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ" ^(٣) وَكَمَا نَعَتَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ، فَقَالَ: ﴿مَا
 خَلَقَكُمْ وَلَا بَعْثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ ^(٤) وَأَوْجَدَهُمْ أَنَّهُ خَلَقَهُمْ فِي

^١ في نسخة أخرى: شيء

^٢ في نسخة أخرى: غيره

^٣ استشهاد بالمعنى للآيات في النساء / ١، الأعراف / ١٨٩.

^٤ لقمان . الآية ٢٨

كُونِ وَاحِدٍ، وَنَعْتَ وَاحِدٍ وَمَعْنَى وَاحِدٍ، وَأَنْتُمْ إِذَا صَارُوا كَذَلِكَ،
 صَارُوا مُؤْمِنِينَ حَقًّا خَالِصِينَ مُشَاهِدِينَ، وَنَعْتُهُمْ، وَعَيَانُهُمْ
 وَمُشَاهَدَتُهُمْ، وَإِقْبَالُهُمْ عَلَى الْإِخْلَاصِ وَالْإِيمَانِ وَالصَّفَاءِ، يَكُونُ
 بِالسَّوَاءِ، وَأَمَّا مَنْ فَضَّلَ أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ عَلَى نَفْسِهِ، وَتَعَبَّدَ لِلْمُؤْمِنِينَ،
 فَإِنَّمَا ذَلِكَ مِنْ تَعَبُّدِهِ لِلَّهِ وَطَاعَتِهِ، مِمَّا يَسْتَوْجِبُ بِهِ مِنَ اللَّهِ الزِّيَادَةَ
 وَالْفَوْزَ وَالرَّفْعَةَ مِنْ حِفْظِ الْإِيمَانِ وَالْمَعْرِفَةِ، فَيَكُونُ بِذَلِكَ دَلِيلًا
 وَسَبِيلًا وَسَبَبًا، يَسْتَوْجِبُ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَجْعَلَ لَهُ مَنْزِلَةً، وَيُخَلِّصَ بِهِ مِنْ
 عِبَادِهِ مَنْ أَحَبَّ، عَلَى قَدْرِ اجْتِهَادِهِ فِي تِلْكَ الطَّاعَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَطَلَبِ
 رِضَى اللَّهِ مَوْلَاهُ فِيهِمْ.

فَمِنْهُمْ، مَنْ يَجْعَلُ اللَّهُ بِفَضْلِهِ عَلَيْهِ، سَبَبًا لِحَلْقِ كَثِيرٍ، وَيَزِيدُهُ
 رِفْعَةً وَعُلُوًّا فِي الْإِيمَانِ وَالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ بِهِ، وَمِنْهُمْ، مَنْ يَزِيدُهُ اللَّهُ رُتْبَةً
 مِنَ الْعِلْمِ الْوَاضِحِ، وَيَجْعَلُهُ مَقْصَدًا لِلْمُؤْمِنِينَ، وَيَسْتَوْدِعُهُ غَوَامِضَ
 عُلُومِهِ وَبَوَاطِنَهَا، وَيَكُونُ بِذَلِكَ حَيَاتُهُ وَنَجَاتُهُ، وَحَيَاةَ مَنْ قَصَدَهُ
 وَقَبِلَ مِنْهُ وَمِنْهُمْ، مَنْ يَكُونُ سَبَبًا لِهِدَايَةِ مَائَةٍ مِمَّنْ أَحَبَّ اللَّهُ

خَلَّصَهُمْ وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ سَبَبًا لِهَدَايَةِ عَشْرَةِ أَوْ أَقَلٍّ أَوْ أَكْثَرٍ إِلَى
 وَاحِدٍ مِنَ الْعَالَمِ يَهْدِيهِ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ، وَيَجْعَلُهُ سَبَبًا لِحَلَاصِهِ وَنَجَاتِهِ،
 وَكُلُّ ذَلِكَ يَجْرِي مِنْهُمْ وَفِيهِمْ، عَلَى قَدْرِ امْتِثَالِهِمْ لِبَطَاعَةِ اللَّهِ مَوْلَاهُمْ فِي
 حُقُوقِ إِخْوَانِهِمْ فَهَذَا لَهُمْ مِنْ عَطَاءِ مَوْلَاهُمْ.

وَقَدْ أَشْرَكَ اللَّهُ صَاحِبَ الْمِائَةِ بِصَاحِبِ الْوَاحِدِ، وَجَعَلَهُمَا فِي
 الْمَنْزِلَةِ وَالْفَضْلِ سَوَاءً إِذْ جَعَلَهُمَا ^(١) وَاحِدًا بِقَوْلِهِ: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ
 وَاحِدَةٍ﴾ ^(٢)

وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ ^(٣) وَصَاحِبُ
 النَّفْسِ الْوَاحِدَةِ، كَالَّذِي أَحْيَا أَنْفُسًا كَثِيرَةً، وَأَوْجَبَ عَلَى الْمُحْيِي الشُّكْرَ
 وَالْإِجْلَالَ وَالْإِكْرَامَ.

^١ في نسخة أخرى: وجعلهم في هذا الموضع وفي شبه الجملة السابقة.

^٢ النساء. الآية ١

^٣ المائدة. الآية ٣٢

قَالَ الْعَالِمُ عَزَّ عِزُّهُ: إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: مَا شَكَرَنِي حَقَّ شُكْرِي، مَنْ لَمْ
 يَشْكُرِ السَّبَبَ الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنِي. ثُمَّ نَطَقَ الْكِتَابُ بِذَلِكَ، فَقَالَ: ﴿اشْكُرْ
 لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾^(١)

وَقَالَ: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾^(٢)

وَقَالَ: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا
 كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾^(٣).

التَّمَسُّكُ بِالْإِقْرَارِ وَتَرْكُهُ:

وَاعْلَمْ يَا مُفَضَّلُ، أَنَّ التَّرْبِيَةَ بِالْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ الْعَذْبَةِ، ثُمَّ بِالْأُخْرَى
 الَّتِي هِيَ أَقْوَى مِنْهَا طَيِّبًا وَأَحْسَنُ رَوْنَقًا، حَتَّى يَقْوَى عَلَى حَمْلِهَا، ثُمَّ
 بِمُدَارَاتِهِ عَلَى قَبُولِهَا^(٤)، وَالْإِجَابَةِ إِلَيْهَا ثُمَّ مَا بَعْدَهَا، حَتَّى يُعْطِيَهُ
 الْمَعْرِفَةَ بِذَاتِهَا، فَذَلِكَ هُوَ الَّذِي كَانَ صَغِيرًا، فَلَمْ يَزَلْ يُرَبِّيهِ بِالْمَعْرِفَةِ

^١ لقمان. الآية ١٤
^٢ البقرة. الآية ٢٠٠
^٣ الاسراء. الآية ٢٤
^٤ في نسخة أخرى: قبوله.

وَالْعِلْمُ قَلِيلًا قَلِيلًا، وَيَرْفَعُهُ مِنْ رُتْبَةٍ إِلَى أُخْرَى حَتَّى رَبَّاهُ "مِنَ الصَّغَرِ
 إِلَى الْكِبَرِ" بِمَا أَلْقَاهُ إِلَيْهِ مِنْ مَعْرِفَتِهِ، فَارْتَفَعَ بِهِ مِنَ الضَّعْفِ إِلَى الْقُوَّةِ
 بِمَا رَضِيَهُ مَوْلَاكَ لِأَهْلِ الْإِقْرَارِ سَبَبًا، فَهَلْ هُمْ مُتَمَسِّكُونَ بِهَذَا أَمْ
 تَارِكُونَ لَهُ؟ قَالَ الْمُفَضَّلُ مِنْهُ السَّلَامُ: فَقُلْتُ: يَا مَوْلَايَ، أَنْتَ أَعْلَمُ
 بِهِمْ. فَقَالَ مَوْلَانَا عَزَّ عِزُّهُ: يَا مُفَضَّلُ، لِعِلْمِي بِهِمْ، وَبِتَقْصِيرِهِمْ
 وَعُدُولِهِمْ عَنْ أَمْرِي، تَطَاوَلَتْ بِهِمُ الْمُدَّةُ، وَتَضَاعَفَتْ عَلَيْهِمُ الْكِرَاتُ
 وَالرَّجَعَاتُ، وَتَنَاقَلَتْ بِهِمُ الْأَدْوَارُ وَالْأَكْوَارُ، وَالْأَحْقَابُ، وَالْأَعْصَارُ
 وَالْدُّهُورُ، وَالْأَزْمِنَةُ، ثُمَّ إِنَّهُ يَا مُفَضَّلُ قَدْ يُعَانِي الْمُؤْمِنُ بِشَخِصٍ وَاحِدٍ
 مِمَّنْ أَحَبَّ اللَّهُ خَلَاصَهُ أَعْظَمَ مِمَّا يُعَانِي الْمُؤْمِنُ الْآخَرُ، بِأَلْفٍ أَوْ مِائَةٍ
 أَوْ أَقَلٍّ أَوْ أَكْثَرٍ، "وَرُبَّمَا كَانُوا عَلَى دَرَجَةِ الْقُرْبِ مِنَ الْقَبُولِ وَالْإِجَابَةِ"^(١)
 فَإِذَا أَلْقَى الْمُؤْمِنُ الْبَالِغُ إِلَى الرَّجُلِ الْمُؤْمِنِ الطَّالِبِ الْكَلِمَةَ، وَوَافَقَتْ
 الْقَبُولَ فِيهِ، يَسْهُلُ^(٢) عَلَى الْآخِذِ وَالْمَأْخُودِ عَنْهُ وَيَصِيرُ يَبِي مَا يُقْصَدُ
 مِنْ مَعَانِي السُّؤَالِ، فَتَحْسُنُ بِذَلِكَ بَصِيرَتُهُ فِي الْعِلْمِ، وَيَكُونُ فَقْهُهُ
 بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، كَفَقْهِ غَيْرِهِ بِكَلِمَاتٍ كَثِيرَةٍ، سَمَاعًا وَبَحْثًا وَطَلَبًا

^(١) في نسخة أخرى: وَرُبَّمَا كَانُوا مِنَ الْقَبُولِ عَلَى دَرَجَةِ الْقُرْبِ بِالْإِجَابَةِ.
^(٢) في نسخة أخرى: لَيْسَهُل. وفي نسخة أخرى: فَيْسَهُل.

لِلْعِلْمِ، وَمُواظَبَةً عَلَيْهِ، وَيَشْغُلُ سِرَّهُ وَفِكْرَهُ بِهِ، وَيَجْعَلُهُ مَعَوَّلًا يُعَوَّلُ
 عَلَيْهِ، وَيَقْصِدُهُ وَيَطْلُبُ الزِّيَادَةَ مِنْهُ، حَتَّى لَا يَكُونَ لَهُ سِوَاهُ، وَلَا مُرَادَ
 غَيْرِهِ، وَيَجْلُو^(١) ذَلِكَ بِقَلْبِهِ، وَيُجَانِسُ جَوْهَرَهُ، وَهُوَ بِذَلِكَ، يَقْرُبُ مِنَ
 الدَّرَجَةِ الْعَالِيَةِ، وَيَبْعُدُ عَنِ^(٢) الشَّكِّ وَالْجَحْدِ وَيَتَخَلَّصُ فَتَنْجَلِي عَنْهُ
 الظُّلْمَةُ "بِمَا وَجَدَهُ قَرِيبًا"^(٣) وَأَمَّا الَّذِي لَمْ يُوجَدْ قَرِيبًا، فَذَلِكَ لِبُعْدِ
 مَكَانِهِ، وَطُولِ مَا عَانَاهُ فِي الْبَشَرِيَّةِ وَارْتِقَائِهِ فِي الْعُلُومِ الطَّالِبِيَّةِ، وَفِي
 دَرَجِ الْمَنْطِقِ وَالِإِحْتِجَاجِ فِي الْمَذَاهِبِ وَإِقْرَارِهِ بِمَعَانِيهَا وَدُخُولِهَا فِي
 قَلْبِهِ، فَهُوَ شَدِيدُ الْجِدَالِ وَالتَّحَرِّيِ إِلَى قَبُولِ الْحَقِيقَةِ كُلَّمَا اتَّضَحَ لَهُ
 حَالٌ، لَاحَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ الْحَالِ شَيْءٌ كَالْعَارِضِ لِتِلْكَ الْأَحْوَالِ الْمُتَقَدِّمَةِ
 فَلَا يَزَالُ يُوضِّحُ لَهُ الْحُجَّةَ، حَتَّى يَزُولَ عَنْهُ ذَلِكَ الْعَارِضُ وَيُشْرَحَ لَهُ مَا
 اشْتَكَلَ عَلَيْهِ، فَتَزُولُ عَنْهُ تِلْكَ الْآرَاءُ وَالظُّنُونُ مِمَّا سَمِعَهُ وَتَبَيَّنَ لَهُ
 وَيَتِمَكَّنُ عَقْدُهُ بِهِ، فَيَكُونُ فِيهِ بَارِعًا، مُقْتَبَسًا، سَائِلًا عَمَّا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ
 وَيَكُونُ جِهَادُهُ لَهُ، خَوْفًا مِنَ الرَّجُوعِ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ أَوَّلًا مِنْ

^(١) فِي نَسْخَةِ أُخْرَى: وَيَجْلُو.

^(٢) فِي نَسْخَةِ أُخْرَى: مِنْ.

^(٣) لَا يَوْجَدُ فِي بَعْضِ النُّسخِ.

التَّعَبُ ^(١) وَالتَّرَدُّدُ، فَهُوَ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ مِنَ الثَّوَابِ وَالْعَطَاءِ، فَيَكُونُ
 حِينَئِذٍ مُجَاهِدٌ هَذِهِ النَّفْسِ الْوَاحِدَةِ، مِثْلَ الَّذِي أَلْقَى ذَلِكَ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ
 الْعَالَمِينَ الْمُسْتَحِقِّينَ لِلْمَعْرِفَةِ، وَيَكُونَانِ سَوَاءً فِي الْفَضْلِ وَالْمَنْزِلَةِ
 وَالْعَطَاءِ، عَلَى صِرَاطٍ وَاحِدٍ، فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ فِي الْبَشَرِيَّةِ وَالتَّوْرَانِيَّةِ
 وَإِنَّمَا أَلْزَمَهُمْ إِقَامَةُ الْحَقِّ فِي ذَلِكَ، لِيَدْفَعُوا إِلَى كُلِّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، وَلَا
 يَبْخَسَ أَحَدٌ أَحَدًا شَيْئًا، إِنْ آتَسَ مِنْهُ رُشْدًا، فَإِنْ مَنَعَهُ، فَإِنَّهُ يَجْعَلُهُ
 يَتِيمًا، وَقَدْ حَجَرَ مَالَهُ عَنْهُ، وَإِذَا أَلْقَى الْعَارِفُ إِلَى الطَّالِبِ، شَيْئًا مِنْ
 عُلُومِ اللَّهِ الْبَاطِنَةِ، فَقَدْ خَلَّصَهُ بِهَا، إِذَا أَقَرَّ الْمُلْقَى إِلَيْهِ الْخِطَابَ، وَسَلَّمَ
 وَصَبَرَ، وَحَمَلَ، فَإِنْ مَنَعَهُ الْمُلْقَى مَا اسْتَحَقَّ إِعْطَاءَهُ إِيَّاهُ، وَأَنْظَرَهُ إِلَى
 حِينٍ آخَرَ، بِلَا سَبَبٍ وَعِلَّةٍ، وَخَلَّفَ تِلْكَ النَّسَمَةَ، الَّتِي قَدْ أَلْقَى إِلَيْهَا
 بَعْضَ التَّوْحِيدِ عَلَى بَصِيرَةٍ، دُونَ أَنْ يُغَذِّيَهُ وَيُفَقِّهَهُ وَيُرَبِّيَهُ وَيُعَلِّمَهُ
 وَتَرْكُهُ حَائِرًا فِي رُشْدِهِ، تَائِهًا فِي أَمْرِهِ، مُتَحَيِّرًا فِي خَلَاصِهِ، لَا يَدْرِي إِلَى
 أَيْنَ يَلْجَأُ كُلَّمَا آتَسَ مِنْ أَحَدٍ رُشْدًا، يَمِيلُ إِلَيْهِ وَيَقْصِدُهُ، وَيَطْلُبُ مِنْهُ
 فَيَمْنَعُهُ وَيُبْعِدُهُ، وَلَا يَثِقُ بِهِ، وَيَقُولُ لَهُ: اطْلُبْ مِنْ حَيْثُ وَجَدْتَ

فَيَصِيرُ بِذَلِكَ يَتِيمًا، لَهُ مَالٌ وَقَدْ حُجِرَ عَلَيْهِ، وَمُنِعَ ^(١) مِنْهُ فَلَا يَزَالُ فِي
 تَعَبٍ وَنَصَبٍ، حَتَّى يَجِدَ مَنْ يَأْنُسُ إِلَيْهِ، فَيُعْطِيهِ طَلِبَتَهُ وَيُبَلِّغُهُ إِرَادَتَهُ
 وَيَكْشِفُ لَهُ عَنِ الْحَقِّ بِمَا يُلْقِي إِلَيْهِ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ مَنْ يُخَلِّصُهُ مِمَّا هُوَ
 فِيهِ، وَنُقِلَ إِلَى تِلْكَ الْحَالَةِ الَّتِي خَلَفَهُ بِهَا، هَلَكَ ذَلِكَ السَّبَبُ، لِأَنَّهُ
 يُطَالَبُ بِفِعْلِهِ بِهِ فَلَا يَزَالُ يُنْقَلُ فِي الْهَيَاكِلِ الْبَشَرِيَّةِ الصَّعْبَةِ، حَتَّى
 يُخْرَجَ مِنْ جَنَائِتِهِ وَلَا يَكُونُ لَهُ عِنْدَ مَوْلَاهُ حُجَّةٌ، بَلْ تَكُونُ الْحُجَّةُ
 لِتِلْكَ النَّسَمَةِ عَلَى وَالِدِهِ وَإِذَا أَخَذَ فِي ذَلِكَ بِأَمْرِ مَوْلَاهُ، وَطَلَبَ نَجَاةَ ذَلِكَ
 الشَّخْصِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ مَوْلَاهُ، وَأَعْطَاهُ الْكَلِمَةَ لِيُخَلِّصَهُ بِهَا، وَنَصَحَهُ
 وَعَرَفَهُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِمَّا يُخْرَجُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ، وَوَضَحَ ^(٢) لَهُ مِنْهَا جَ
 رُشْدِهِ وَقَصْدِهِ، وَفَقَّهَهُ فِي دِينِهِ، وَأَوْدَعَهُ عُلُومَ اللَّهِ، حَتَّى لَا يَدَعَ لِلَّهِ
 عَلَيْهِ حُجَّةً، بَلْ تَكُونُ الْحُجَّةُ لَهُ عَلَى ذَلِكَ الْمُتَنَاسِي، رَجَعَ أَوْ قَصَرَ أَوْ
 زَاغَ أَوْ مَالَ، فَيَقُولُ الشَّيْخُ: يَا رَبِّ، أَنْتَ أَمَرْتَنِي، بِأَنْ أَدْفَعَ لَهُ مَالَهُ الَّذِي
 جَعَلْتَهُ لَهُ عِنْدِي، وَقَدْ دَفَعْتُهُ إِلَيْهِ كَمَا أَمَرْتَ، وَمَا تَرَكْتُ لَهُ عَلَى حُجَّةٍ
 وَقَدْ نَصَحْتُهُ كَمَا أَمَرْتَنِي، وَلَمْ أَعْدِلْ بِهِ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ، وَكَشَفْتُ لَهُ

^١ في نسخة أخرى: ومنعه

^٢ في نسخة أخرى: ويوضح. كما تمت إضافة كلمة "له" إلى النص لإتمام المعنى

عَنْ جَمِيعِ مَا قَدَرْتُ عَلَيْهِ، وَكُنْتُ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، فَيَكُونُ شَيْخُهُ حِينَئِذٍ
 ١٠٤ مُقَالَ الْعَثْرَةِ، مَقْبُولَ الْعُذْرِ، وَيَكُونُ لِمُخَالِفِ الْأَمْرِ، مَا يَسْتَوْجِبُ
 وَيَسْتَحِقُّ مِنَ الْجَزَاءِ وَالْعُقُوبَةِ، لِأَنَّ الْحُجَّةَ لَا تَثْبُتُ، إِلَّا بَعْدَ وَقُوعِ
 الدَّعْوَةِ، وَالْإِعْذَارِ، وَالْإِنْذَارِ، وَإِيجَادِ الْحَقَائِقِ، وَإِزَالَةِ الْعِلَلِ بِالْبُرْهَانِ
 وَالدَّلِيلِ، وَذَلِكَ، أَنَّهُ رُبَّمَا ثَبَتَ الشَّخْصُ عَلَى التَّوْحِيدِ لِلَّهِ، وَلَمْ يُدَاخِلْهُ
 ارْتِيَابٌ بِمَعْرِفَتِهِ، وَرُبَّمَا رَجَعَ عَنْهُ، بِالشَّكِّ وَالْارْتِيَابِ^(١)

^(١) في نسخة أخرى: رجع عن الشك والارتياب.

بَابُ فِي مَعْرِفَةِ قَوْلِهِ:

يَدْخُلُ فِي هَذَا الْأَمْرِ ابْنُ ثَمَانِينَ وَيَخْرُجُ مِنْهُ ابْنُ ثَمَانِينَ

وَاعْلَمْ يَا مُفَضَّلُ، أَنَّهُ يَدْخُلُ فِي الْمَعْرِفَةِ ابْنُ ثَلَاثِينَ وَيَخْرُجُ ابْنُ
 ثَلَاثِينَ، وَيَدْخُلُ ابْنُ ثَمَانِينَ وَيَخْرُجُ ابْنُ ثَمَانِينَ، وَلِهَذَا بَاطِنُ أَظْهَرُهُ
 عَلَيْكَ لِتَعْرِفَهُ، فَأَمَّا الدَّاخِلُ، وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثِينَ أَوْ ثَمَانِينَ، فَهِيَ قُمْصَانُ
 مِنْ قُمْصَانِ الْبَشَرِيَّةِ شَكَّ فِيهَا جَمِيعًا، وَلَمْ يَخْرُجْ فِي وَاحِدٍ مِنْهَا إِلَى
 الْمَعْرِفَةِ وَالْإِقْرَارِ، بَلْ لَبَسَهَا وَشَكَّ فِيهَا، فَإِذَا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ، دَخَلَ إِلَى
 الْمَعْرِفَةِ بِغَيْرِ تَنْقُلٍ فِي رُتَبٍ أَوْ دَرَجٍ، فَيَكُونُ أَوْثَقَ بِمَعْرِفَتِهِ، وَأَثْبَتَ
 عَلَى تَوْحِيدِ مَوْلَاهُ، مِمَّنْ دَخَلَ بِرُتَبٍ وَدَرَجٍ وَمَنَازِلَ يَتَنَقَّلُ فِيهَا إِلَى
 الْمَعْرِفَةِ، وَيَكُونُ بِذَلِكَ ^(١) عَجِيبًا بَيْنَ هَذَا الْخَلْقِ، تُضْرَبُ بِهِ الْأَمْثَالُ
 فَيُقَالُ: إِنَّ فُلَانًا كَانَ مِنْ سَبِيلِهِ كَذَا وَكَذَا، لَمْ يَعْرِفْ شَيْئًا مِنْ هَذَا

^(١) في النسخ: لذلك.

الَّذِي هُوَ فِيهِ مُذْ دَخَلَ عَلَيْهِ، وَالْآنَ وَقَعَ ^(١) لَهُ أَدْنَى شَيْءٍ مِنْهُ فَخَرَجَ
 بَارِعًا وَحَظِيَّ بِشَيْءٍ عَظِيمٍ، وَاللَّهُ يُعْطِي فَضْلَهُ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ.

١٠٦

وَأَمَّا الْخَارِجُ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ، وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثِينَ أَوْ ثَمَانِينَ قَمِيصًا
 فَإِنَّهُ يَكُونُ شَخْصًا قَدْ أَقَرَّ فِي ثَلَاثِينَ أَوْ ثَمَانِينَ قَمِيصًا كَرَّرَ فِيهَا
 وَتَنَقَّلَ وَكَانَ فِي جَمِيعِهَا بِمَنْزِلَةِ الْإِقْرَارِ بِالْمَعْرِفَةِ، فَيُدَاخِلُهُ ^(٢) شَكُّ
 لِذَنْبٍ فَعَلَهُ وَجَنَائَةٍ جَنَاهَا عَلَى بَعْضِ الْمُؤْمِنِينَ، أَوْ خَطِيئَةٍ فَعَلَهَا مَعَ
 بَعْضِ إِخْوَانِهِ، أَوْ سَبَبٍ مِثْلِ ذَلِكَ، فَإِنَّهُ يَسْتَوْجِبُ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَنْقُلَهُ فِي
 ثَلَاثِينَ أَوْ ثَمَانِينَ قَمِيصًا لَا يَعْرِفُ فِيهِ رُشْدَهُ، بَلْ يَكُونُ فِي جَمِيعِهَا
 مُنْكَرًا، مُخَالِفًا، مُعَانِدًا، جَا حِدًا، وَيَخْشَاهُ مَنْ كَانَ وَاثِقًا بِهِ، وَيَسْتَوْحِشُ
 مِنْهُ مَنْ كَانَ يَأْنَسُ إِلَيْهِ، لِمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ التَّبْذِيرِ، وَالْخِلَافِ،
 وَالْمُعَانَدَةِ فَيُسَلَبُ تِلْكَ الْأَسْرَارَ الَّتِي كَانَ قَدْ عَرَفَهَا، وَيَصِيرُ بِذَلِكَ
 مَثَلًا عَجِيبًا فَيُقَالُ: إِنَّ فُلَانًا كَانَ مِنْ حَالِهِ كَذَا وَكَذَا عَلَى نِهَائَةِ
 الْبَلَغَةِ وَالرَّفْعَةِ فِي الْمَعْرِفَةِ، وَإِنَّهُ رَجَعَ عَنْ جَمِيعِ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ

^١ في نسخة أخرى: توقع. والأصح وقع له: بمعنى حصل
^٢ توجد زيادة في نسخة: فيداخله (في تناهي ذلك ضعف أو شك).

الْمَعْرِفَةِ، حَتَّى كَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْهُ، وَلَمْ يَعْرِفْهُ قَطُّ وَقَدْ كَانَ لَهُ سَابِقَةٌ فَعَلِمَ
 اللَّهُ مِنْهُ ذَلِكَ فَسَلَبَهُ مَعْرِفَتَهُ وَتَوَحَّيْدَهُ بِفَسَادِ نِيَّتِهِ، فَيَخْرُجُ عَنْ
 الْمَعْرِفَةِ، حَتَّى كَأَنَّهُ لَمْ يَحْمِلْهَا قَطُّ، فَهَذَا حَدِيثُ الدَّخِيلِ فِي الْمَعْرِفَةِ
 وَالْخَارِجِ مِنْهَا، ابْنُ ثَلَاثِينَ أَوْ ثَمَانِينَ قَمِيصًا وَيَقُولُونَ: إِنَّهُ يَدْخُلُ فِي
 الْمَعْرِفَةِ ابْنُ ثَلَاثِينَ أَوْ ثَمَانِينَ سَنَةً، وَيَسْتَعْظِمُونَ أَنَّ شَخْصًا أَقَامَ عَلَى
 مَعْرِفَتِهِ وَإِيمَانِهِ ثَلَاثِينَ أَوْ ثَمَانِينَ سَنَةً فَلَمَّا حَانَ أَوَانُ نُقْلَتِهِ، لَحِقَهُ
 الشَّقَاءُ، فَرَجَعَ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ وَإِنَّ شَخْصًا عَانَدَ اللَّهَ وَجَحَدَهُ وَكَفَرَ بِهِ
 ثَلَاثِينَ أَوْ ثَمَانِينَ سَنَةً، فَلَمَّا حَانَ أَوَانُ هَلَاقِهِ، صَدَّقَ بِالْحَقِّ، وَأَقْرَرَ
 بِالْمَعْرِفَةِ، وَسَارَعَ إِلَى تَوْحِيدِ مَوْلَاهُ، وَرَجَعَ عَنْ كُفْرِهِ وَجُحُودِهِ، وَعَرَفَهُ
 اللَّهُ رُشْدَهُ وَنَجَا^(١) وَخَلَصَ مِنْ حَيْرَتِهِ فَأَيُّهُمَا أَعْظَمُ يَا مُفَضَّلُ، أَمِنْ
 رَجَعَ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ بَعْدَ ثَلَاثِينَ أَوْ ثَمَانِينَ قَمِيصًا أَوْ سَنَةً أَقَامَ فِيهَا
 عَارِفًا، مُقَرَّرًا، مُسَلِّمًا مُتَّفَقًا، أَمْ مَنْ دَخَلَ فِي هَذَا الْأَمْرِ بَعْدَ ثَلَاثِينَ أَوْ
 ثَمَانِينَ قَمِيصًا أَوْ سَنَةً أَقَامَ فِيهَا شَاكًّا، مُعَانِدًا جَا حِدًا؟ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ
 تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾^(٢) فَالْحَسَنَاتُ، هِيَ الْمَعْرِفَةُ

وَالْإِقْرَارُ وَالْإِيمَانُ بِاللَّهِ مَوْلَاكَ الْحَقُّ، فَإِذَا عَرَفَ الشَّخْصُ ذَلِكَ وَأَقَرَّ
 وَسَلَّمَ إِلَيْهِ أَذْهَبَ عَنْهُ بِإِقْرَارِهِ السَّيِّئَاتِ وَالسَّيِّئَاتُ هِيَ الْمُسُوخِيَّةُ
 وَذَلِكَ، أَنَّ هَذَا الَّذِي دَخَلَ إِلَى هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ بَعْدَ الثَّلَاثِينَ أَوْ الثَّمَانِينَ
 قَمِيصًا، هِيَ قُمَصَانُ الْبَشَرِيَّةِ، يَتَنَقَّلُ^(١) فِيهَا حَتَّى يَصِلَ إِلَى الْمَعْرِفَةِ،
 وَيُبْتَلَى بِهَا بَغْنَى بَعْدَ فَقْرٍ، وَفَقْرٍ بَعْدَ غِنَى، وَعِزٍّ بَعْدَ ذُلٍّ، وَذُلٍّ بَعْدَ عِزٍّ
 وَيَكُونُ مَالِكًا وَمَمْلُوكًا، وَعَالِمًا وَجَاهِلًا، وَحُرًّا وَعَبْدًا، وَأَسْوَدَ وَأَبْيَضَ،
 يُبْتَلَى فِيهَا بِهَذَا كُلِّهِ، فَإِذَا تَنَاهَى بِهِ ذَلِكَ، وَصَلَ إِلَى الْمَعْرِفَةِ فَيَنَالُهُ فِيهَا
 مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ، مِثْلُ مَا نَالَهُ فِي الْقُمُصِ الْمُتَقَدِّمَةِ لَا يَخْرُجُ مِنَ
 الْبَشَرِيَّةِ إِلَى غَيْرِهَا وَذَلِكَ أَنَّ الْمَعْرِفَةَ ثَابِتَةٌ لَهُ^(٢)، وَإِنَّمَا يُجَازَى
 بِمِقْدَارِ جُرْمِهِ وَيَرْجِعُ إِلَى إِقْرَارِهِ وَمَعْرِفَتِهِ، وَالشَّاهِدُ بِذَلِكَ قَوْلُهُ
 سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾^(٣)
 مَعْنَاهُ: عَنِ الْمُسُوخِيَّةِ، لِأَنَّ الْمَعْرِفَةَ وَالْإِقْرَارَ سَبَقَتْ لَهُمْ فَأَزَالَتْ عَنْهُمْ
 الشَّرْكَ وَالْجُحُودَ وَالْكُفْرَ وَالْعَذَابَ.

^(١) في نسخة أخرى: ينتقل.

^(٢) أي كانت له سابق الإجابة. ومن أجاب في الذرو يبقى في صورة الإنسانية ولا يهبط إلى المسوخية أبدًا.

^(٣) الأنبياء. الآية ١٠١

وَكَذَلِكَ الْخَارِجُ عَنْهَا إِلَى الْبَشَرِيَّةِ يَصِيرُ، لَا يَحُلُّ فِي شَيْءٍ مِنْ
 الْمَسْخُوحَاتِ، لِأَنَّ الْمَعْرِفَةَ وَالْإِقْرَارَ ثَابِتَانِ لَهُ، وَإِنَّمَا عَلَيْهِ رَدٌّ وَكَرُّ
 وَكَدْرٌ وَتَصْفِيَّةٌ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ
 الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ
 الصَّابِرِينَ﴾^(١)

وَالنُّقْصَانُ مِنَ الْأَمْوَالِ: هُوَ الْعِلْمُ الْبَاطِنُ.

وَالْأَنْفُسُ: هِيَ الْمَنَازِلُ الَّتِي يَنْزِلُونَهَا فِي الْعُلُوِّ وَالرَّفْعَةِ وَالشَّرِيعَةِ.

وَالثَّمَرَاتُ: الزِّيَادَةُ مِنْهَا لِأَنَّهُ كَلَّمَا زَادَ عِلْمُهُ، عَلَتْ مَنَازِلُهُ.

وَقَوْلُهُ: وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ: عَنِ بِهِ أَهْلَ الثَّبَاتِ، الَّذِينَ لَمْ يَحُلُّوا
 بِحَيْثُ حَلَّ هَؤُلَاءِ.

التَزَايُدُ فِي الْمَعْرِفَةِ وَالنُّقْصَانِ فِيهَا:

١١٠

فَقُلْتُ: صَدَقْتَ يَا مَوْلَايَ. فَكَيْفَ يَكُونُ تَزَايُدُهُمْ فِي الْمَعْرِفَةِ
 وَنُقْصَانُهُمْ فِيهَا؟ فَقَالَ مَوْلَايَ **عَزَّ عِزُّهُ**: يَا مُفَضَّلُ، التَزَايُدُ فِي الْمَعْرِفَةِ
 أَنْ يَكُونَ أَهْلُ التَّوْحِيدِ مُسْلِمِينَ، مُقَرَّرِينَ بِكُلِّ مَا وَرَدَ إِلَيْهِمْ وَظَهَرَ
 لَهُمْ مِنَ الْمَعْنَى، الَّذِي قَدْ أَقَرُّوا بِأَحَدِيَّتِهِ، وَبِاسْمِهِ، وَبَابِهِ، وَأَجَابُوا
 دَعْوَتَهُ حَتَّى لَوْ ظَهَرَ لَهُمْ عَجَمِيًّا قَبْلُوهُ، أَوْ عَرَبِيًّا قَبْلُوهُ، أَوْ نَبَطِيًّا
 قَبْلُوهُ، وَمَعَ جَمِيعِ الْأَجْنَاسِ، حَتَّى فِي اللَّوْنِ الْأَبْيَضِ وَالْأَسْوَدِ، وَكُلَّمَا ظَهَرَ
 فِي مَقَامٍ مِثْلَ ذَلِكَ أَقَرُّوا بِهِ. نَعَمْ يَا مُفَضَّلُ، وَلَكِنْ فِي الْمَقَامِ الثَّامِنِ
 بَعْدَ هَذَا الْمَقَامِ يُظْهِرُ مَوْلَاكَ فِيهِمْ ذَلِكَ فَيَكْثُرُ الْإِرْتِيَابُ وَالْخِلَافُ^(١)
 مِنْ أَهْلِ الشَّكِّ وَالْجُحُودِ، وَأَهْلِ الْحَقِيقَةِ وَالْيَقِينِ، حَتَّى يُظْهِرَ نُطْقَهُ فِي
 الطُّفُولِيَّةِ، كَمَا أَظْهَرَ التُّطُقَ فِي الْقُبَّةِ الْمَسِيحِيَّةِ وَهُوَ طِفْلٌ صَغِيرٌ وَيُخْبِرُ
 عَنْ نَفْسِهِ وَيُوضِّحُ الْبَيَانَ فِي ذَلِكَ، وَيَكُونُ لَهُمْ بِذَلِكَ مُعْتَبَرٌ، يَرْجِعُ
 إِلَيْهِ الْمُخْتَبَرُ وَيَشِيعُ ذَلِكَ وَيَذِيعُ وَيَسِيرُ، حَتَّى يَكُونَ عَلَى أَفْوَاهِ الرِّجَالِ
 وَالنِّسَاءِ جَمِيعًا مِنَ الْمُؤَالِفِينَ وَالْمُخَالِفِينَ مَشْرُوحًا فَيَخْتَصِمُ عِنْدَهُ

^(١) في نسخة أخرى: والخلف.

أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ وَأَهْلُ الشُّبْهَةِ، فَيَزِدَادُ أَهْلُ الْإِقْرَارِ مَعْرِفَةً^(١) بِهِ وَيَقِينًا
 وَبَصِيرَةً، عِنْدَ تَسْلِيمِهِمْ لِذَلِكَ الْمَقَامِ الظَّاهِرِ بِالْقُدْرَةِ وَالْعَجْزِ وَفِي أَثَرِهِ
 يَعْلَمُونَ أَنَّ ذَلِكَ الْعَجْزَ بَعْدَ الْقُدْرَةِ، هُوَ قُدْرَةٌ وَأَنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَ
 الْفِعْلَيْنِ، وَأَنَّ الْإِرَادَتَيْنِ وَاحِدَةٌ وَهِيَ لِلْمَعْنَى الْأَحَدِ الْقَدِيمِ الْأَزَلِ
 فَيَكُونُ لَهُمْ بِذَلِكَ تَزَايُدٌ فِي الْمَعْرِفَةِ وَالرَّفْعَةِ فِي الْمَنْزِلَةِ، وَلَوْ أَتَاهُمْ
 ذَلِكَ الشَّخْصُ الَّذِي أَقْرَأُوا بِمَعْنَوِيَّتِهِ بِتَحْرِيمِ مَا حُلِّلَ لَهُمْ وَتَحْلِيلِ مَا
 حُرِّمَ عَلَيْهِمْ، وَدَعَاهُمْ إِلَى كُلِّ مِلَّةٍ وَشَرِيعَةٍ، وَأَظْهَرَ لَهُمْ شَدَّ الزُّنَارِ
 وَحَلَقَ وَسَطَ الرَّأْسِ، وَأَمْثَالَ ذَلِكَ لَقَبِلُوهُ وَآمَنُوا بِهِ، وَصَدَّقُوهُ وَسَلَّمُوا
 إِلَيْهِ وَوَحَّدُوهُ، وَعَلِمُوا أَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ مِنْهُ، وَلَهُ، وَفِيهِ، وَإِنَّمَا هِيَ قُدْرَةٌ
 نَافِذَةٌ وَاخْتِبَارٌ، وَكُلَّمَا سَلَّمُوا وَصَدَّقُوا بِشَيْءٍ مِمَّا يُورِدُهُ ذَلِكَ الْمَقَامُ
 ازْدَادُوا رِفْعَةً وَعُلُوًّا وَمَعْرِفَةً وَصَفَاءً وَهَذَا لَا زِمَ لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ وَالْإِقْرَارِ
 وَعَلَيْهِ جَرَتِ الْأَكْوَارُ، وَالْأَدْوَارُ، وَالْأَحْقَابُ وَالْأَعْصَارُ، وَالْدُّهُورُ
 وَالْأَزْمَانُ وَبِهَذَا اخْتَبَرَ الْعَالَمُ التُّورَانِيَّ، وَالْعَالَمُ السُّفْلِيَّ.

التَّنَاقُضُ:

وَأَمَّا التَّنَاقُضُ، فَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْعَارِفُ الْمُقَرَّرُ الْمُسَلَّمُ بِهَذَا الْأَمْرِ
 الْعَظِيمِ، إِذَا وَرَدَ عَلَيْهِ مَا يُبْهِرُهُ مِنَ الْقُدْرَةِ الْعَظِيمَةِ مِمَّا شَرَحْنَاهُ
 وَذَكَّرْنَاهُ، يَتَدَاخَلُهُ ارْتِيَابٌ وَشَكٌّ، وَيَقُولُ: إِنَّ هَذَا شَيْءٌ مَا ثَبَتَ فِي
 عَقْلِي، فَيَحْكُمُ بِالْجَهْلِ عَلَى الْمَعْرِفَةِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْجَهْلَ هُوَ الْمُعَارِضُ لَهُ
 فِي قَبُولِ الْوَحْدَانِيَّةِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالْإِقْرَارِ، وَهُوَ ثَابِتٌ عَلَى الْإِقْرَارِ، وَلَوْ أَنَّهُ
 إِذَا وَرَدَ عَلَيْهِ ذَلِكَ الْمُبْهِرُ الْعَظِيمُ فِي نَفْسِهِ، وَأَضَافَ إِلَيْهِ الْمَعْرِفَةَ
 وَالْإِقْرَارَ، لَزَالَ عَنْهُ شَكُّهُ فِيمَا وَجَدَهُ، بِشَكْلِهِ وَمُجَانَسَتِهِ مِثْلِهِ، وَمِنْهُ
 وَإِلَيْهِ، لِأَنَّهُ بِذَلِكَ الشَّكِّ، يَتَنَاقَضُ الْمُؤْمِنُونَ وَتَنْحَطُّ مَنَازِلُهُمْ وَتَنْقُصُ
 أَنْوَارُهُمْ، وَتَنْزِلُ دَرَجَاتُهُمْ عَنِ الرُّتَبَةِ الْعَالِيَةِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى اسْمُهُ:

﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١)

وَاعْلَمْ يَا مُفَضَّلُ، أَنَّ ظُهُورَ الْوُجُودِ وَمُشَاهَدَةَ الْعِيَانِ، بِمَعْنَى
 وَاحِدٍ، لِأَنَّهُ ظَهَرَ لِلْفِئَتَيْنِ، عَالِمِ الْإِقْرَارِ وَعَالِمِ الْإِنْكَارِ بِالسَّوِيَّةِ، لَا

شَيْءٌ دُونَ شَيْءٍ وَلَا مَعْنَى دُونَ مَعْنَى، بَلْ كَشَفًا وَاحِدًا، وَظُهُورُهُ
 بِالْقُدْرَةِ، ظُهُورٌ بِحَالٍ وَاحِدٍ، وَالتَّصْرِيحُ بِالْخِطَابِ وَالِدَّعْوَةِ بِمَعْنَى وَاحِدٍ
 فَكَانَ اخْتِلَافُ الْعَالَمِينَ ^(١) فِي ذَلِكَ بِأَرَائِهِمُ الْفَاسِدَةِ بِمَا اسْتَحَقُّوهُ
 فَأَجْرَى حِكْمَتُهُ فِيهِمْ بِالْعَدْلِ وَالسَّوِيَّةِ وَالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، فَقَبِلَهُ أَهْلُ
 الْإِجَابَةِ وَالسَّعَادَةِ، وَأَنْكَرَهُ وَخَالَفَهُ أَهْلُ الْكُفْرِ وَالشَّقَاوَةِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ
 قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمِ الْغَيْبِ
 وَالشَّهَادَةِ "الْعَالِمِ الْعُلُويِّ وَالْعَالِمِ السُّفْلِيِّ" أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ "أَيُّ
 أَنْتَ تَظْهَرُ بَيْنَ عِبَادِكَ" فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ "بِالْإِجَابَةِ
 وَالْإِنْكَارِ" ^(٢)

^(١) في نسخة أخرى: العوالم.
^(٢) الزمر. الآية ٤٦

بَابُ التَّجَلِّي

١١٤

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ذَلِكَ: ﴿سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَّنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ
 جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾^(١) أَرَادَ بِمَنْ أَسْرَ
 الإِقْرَارَ أَوْ الْجُحُودَ، وَعَنَى بِالسَّارِبِ بِالنَّهَارِ، الْمُقَرَّ بِالشَّخْصِ الظَّاهِرِ
 الْمُوجِدِ الْقُدْرَةَ الْبَيِّنَةَ الثَّابِتَةَ، وَعَنَى بِالْمُسْتَخْفِي بِاللَّيْلِ، الْمُصِرَّ
 الْمُنْكَرَ لِذَلِكَ الشَّخْصِ الظَّاهِرِ بِالْقُدْرَةِ الْبَاهِرَةِ^(٢) وَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ
 فِي مِثَالِ ذَلِكَ: ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾^(٣)

وَقَوْلُ أَهْلِ الْجُحُودِ وَالْإِنْكَارِ عَنْهُ فِي إِظْهَارِهِ الْغَيْبَةِ: إِنَّ ذَلِكَ
 الشَّخْصَ الْمَفْقُودَ، الَّذِي كَانَ الْمَعْنَى بِنَصِّكُمْ عَلَيْهِ أَنَّهُ بَارِئُكُمْ
 وَخَالِقُكُمْ وَإِلَهُكُمْ، قَدْ عَايَنَاهُ مَيِّتًا مَفْقُودًا بِالْحَوَادِثِ الَّتِي ظَهَرَتْ
 فِيهِ فَقَالَ تَعَالَى فِي شَكِّهِمْ وَارْتِيَابِهِمْ وَكُفْرِهِمْ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى *
 وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾^(٤) عَنَى بِالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى، ظُهُورُهُ بِالذَّاتِ وَبِاللَّيْلِ إِذَا

^١ الرعد. الآية ١٠
^٢ في نسخة أخرى: بالقدرة الظاهرة.
^٣ الأسراء. الآية ١٢
^٤ الليل. الآية ١٢

يَغْشَى غَيْبَتَهُ وَاسْتِتَارَهُ لَوْقُوعِ الْمِحْنَةِ فَجَعَلَ النَّهَارَ دَلِيلًا عَلَى الظُّهُورِ
 بِالشَّخْصِ الْمَوْجُودِ، وَاللَّيْلَ دَلِيلًا عَلَى الْغَيْبَةِ ثُمَّ أَنَّهُ أَبَانَ ظُهُورَهُ لِأَهْلِ
 الْإِقْرَارِ بِهِ، وَهُمْ أَهْلُ النُّورِ.

وَقَدْ قَالَ فِي التَّجَلِّي: ﴿تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى
 صَعِقًا﴾^(١) فَقَدْ أُوْجِدَ وَأُوْرى^(٢) أَنَّهُ كَانَ الدَّلِيلَ عَلَيْهِ تِلْكَ النَّارُ، وَهِيَ
 النُّورُ الَّذِي ظَهَرَ وَلَا حَ لِمُخَاطِبِهِ فَلَمَّا طَلَبَهُ وَقَصَدَهُ، طَلَبَ مَعَ وُجُودِهِ^(٣)
 لَهُ وَكَلَامِهِ إِيَّاهُ، أَنْ يُوجِدَهُ نَفْسَهُ حَتَّى يَرَاهُ عِيَانًا فَقَالَ: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ
 إِلَيْكَ﴾^(٤) فَرَاَجَعَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾^(٥) أَيْ لَا
 تُدْرِكُنِي^(٦) وَأَنْتَ فِي الْبَشَرِيَّةِ، وَإِنْ كُنْتَ نُورَانِيًّا، وَذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ: أَنْظُرْ
 إِلَى الْجِسْمِ الَّذِي قَدْ أَظْهَرْتُكَ بِهِ فِي الْبَشَرِيَّةِ، هَلْ يَحْمِلُ شَيْئًا مِنْ
 اللَّاهُوتِيَّةِ وَالنُّورَانِيَّةِ؟ وَعَدَلَ عَنْ كَوْنِهِ الَّذِي هُوَ مِنْ جَوْهَرِيَّتِهِ

^١ الأعراف. الآية ١٤٣

^٢ في نسخة أخرى: وأرى.

^٣ الوجود هنا يقصد به الظهور بالبشرية.

^٤ الأعراف. الآية ١٤٣

^٥ الأعراف. الآية ١٤٣

^٦ فال تصريح جاء في الباطن والتلويح جاء في الظاهر كما روى علي بن أبراهيم صاحب تفسير القمي: فَلَمَّا أُنْزِلَ اللَّهُ عَلَيْهِ النُّورَاةُ وَكَلَّمَهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ فَأَوْحَى اللَّهُ لَنْ تَرَانِي أَيْ لَا تَقْدُرُ عَلَى ذَلِكَ. فكلمة لا تقدر على ذلك، أي بمعنى بما أنك قائم في هذه القمصان البشرية لن تقدر أن ترائي بخلاف جنسك فال يوم يا أيها القارئ لو خرجت للشارع ونظرت إلى الشمس البازغة في عينك لمدة ما لما استطعت لأنها بخلاف جنسك، لذلك سبحانه قال لن ترائي أي لا تقدر يا موسى.

التُّورَانِيَّةَ، لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ الْجَوْهَرَ التُّورَانِيَّ، إِذَا ظَهَرَ لَهُ مَا يُجَانِسُهُ ثَبَتَ لَهُ
 وَمَا دُونَ ذَلِكَ يَهْلِكُ وَقَدْ أَبَانَ عَنْ صِدْقِ الْخِطَابِ بِقَوْلِهِ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى
 رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾^(١) وَمُوسَى هُوَ الْإِسْمُ^(٢)
 الْوَاقِعُ عَلَى الْجِسْمِ الَّذِي هُوَ الْجَبَلُ لِأَنَّ الْإِسْمَ إِنَّمَا هُوَ اسْمُ الْجِسْمِ، وَهُوَ
 مُوسَى وَالصُّورَةُ لَهَا اسْمُ مُوسَى وَذَلِكَ أَنَّهُ عِنْدَ ظُهُورِ الْجِسْمِ، يَقَعُ عَلَيْهِ
 الْإِسْمُ فَيَسْمَى بِهِ، وَمَا كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَيْسَ يَقَعُ عَلَيْهِ اسْمُ الْجِسْمِ
 لِأَنَّ لِلْعَقْلِ اسْمًا غَيْرَ اسْمِ الْجِسْمِ وَكَذَا الْجَوَارِحُ وَالنَّفْسُ، لِكُلِّ وَاحِدٍ
 مِنْهَا اسْمٌ غَيْرُ اسْمِ الْجِسْمِ، فَإِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهَا مُنْفَرِدٌ بِاسْمِهِ، وَإِذَا
 هَلَكَ ذَلِكَ الْجِسْمُ، هَلَكَتْ تِلْكَ الْأَسْمَاءُ مَعَهُ بِهَلَاكِهِ وَمَا كَانَ مِنْ
 غَيْرِ الْجِسْمِ فَهُوَ رَاجِعٌ إِلَى حَالِهِ الَّتِي كَانَ بَدْوُهُ مِنْهَا، وَالْمُحْدِثُ لَهُ، هُوَ
 الَّذِي يُزِيلُهُ وَذَلِكَ أَنَّ الْجِسْمَ عِنْدَ هَلَاكِهِ مِثْلُهُ كَمِثْلِ الرَّاقِدِ الَّذِي هُوَ
 مَوْجُودُ الْجِسْمِ، يُخَاطَبُ فَلَا يَعْجِ، وَيُسْأَلُ فَلَا يُجِيبُ، وَيُشَارُ إِلَيْهِ فَلَا
 يَنْطِقُ وَيُطْعَمُ فَلَا يَأْكُلُ وَيُبَخَّرُ فَلَا يَشُمُّ، مَعَ أَنَّ جَمِيعَ آلَاتِ الْجِسْمِ

^(١) الأعراف . الآية ١٤٣

^(٢) في نسخة أخرى: وموسى هو الاسم الأعظم.

بَاقِيَةٌ بِحَالِهَا، مِنْ نَفْسٍ وَرُوحٍ، وَعَقْلٍ وَدَمٍ وَسَمْعٍ وَبَصَرٍ، لَمْ يَعْدَمْ^(١)
 فِيهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ وَكَذَلِكَ هُوَ عِنْدَ هَلَاكِهِ تُوْخَذُ مِنْهُ الرُّوحُ وَيَبْقَى
 الْجِسْمُ الَّذِي لَهُ الْإِسْمُ بِحَالِهِ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ
 حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ
 وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾^(٢) فَإِمْسَاكُهُ الشَّيْءِ، هُوَ تَوْقِيفُهُ
 بِحَالِهِ فِي مَعْدِنِهِ وَإِرْسَالُهُ، رُجُوعُ كُلِّ حَقٍّ إِلَىٰ حَقِّهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى:
 ﴿فَيُوفِّيهِمْ أَجُورَهُمْ﴾^(٣)

وَقَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ تُوفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾^(٤)

وَقَوْلِهِ: ﴿فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ﴾^(٥) وَمِثْلُ هَذِهِ الْآيَاتِ كَثِيرَةٌ.

وَاعْلَمْ يَا مُفَضَّلُ، أَنَّ الشَّخْصَ الَّذِي يُظْهِرُ الْقُدْرَةَ الْبَاهِرَةَ وَهُوَ
 بَشَرِيٌّ، هُوَ الْمَعْنَى الْقَدِيمُ الْأَزَلُ الْأَحَدُ وَإِنَّهُ يُظْهِرُ اسْمًا لِذَلِكَ

^١ في نسخة أخرى: لَمْ يَعْذُ.

^٢ الزمر. الآية ٤٢

^٣ آل عمران. الآية ٥٧

^٤ البقرة. الآية ٢٨١

^٥ النور. الآية ٣٩

الشَّخْصَ الَّذِي يَظْهَرُ بِهِ، مِثْلَ هَابِيلَ، فَهُوَ اسْمُ الشَّخْصِ الَّذِي ظَهَرَ بِهِ
 الْمَعْنَى رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي أَوَّلِ الْبَشَرِيَّةِ، فَإِذَا أَظْهَرَ الْغَيْبَةَ بِحَسَبِ ظُنُونِ
 الْعَالَمِ، بَقِيَ اسْمُهُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ يَذْكُرُونَهُ بِهِ، ثُمَّ يُظْهِرُ الظُّهُورَ بِشَخْصٍ
 آخَرَ، مِثْلَمَا قِيلَ: "شِيثُ، وَيُوسُفُ، وَيُوشَعُ، وَآصَفُ، وَشَمْعُونُ، وَعَلِيٌّ
 أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ" فَهَذِهِ أَسْمَاءُ الصُّورِ، الَّتِي ظَهَرَ بِهَا الْمَعْنَى فِي الْعَالَمِ
 الْبَشَرِيِّ، وَتُسَمَّى هَذِهِ الْأَشْخَاصُ بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ فِي كُلِّ مَقَامٍ.

وَاعْلَمْ يَا مُفَضَّلُ، أَنَّ التَّهَارَ هُوَ إِظْهَارُ الظُّهُورِ، وَفِيهِ انْتِبَاهُ النَّاسِ
 وَسَعْيُهُمْ وَارْتِزَاقُهُمْ، وَهَرَجُهُمْ وَمَرَجُهُمْ، وَأَخْذُهُمْ وَعَطَاؤُهُمْ، وَبَطْشُهُمْ
 وَسَفَرُهُمْ لِلتَّجَارَةِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَالسَّهْلِ وَالْجَبَلِ وَفِيهِ يَجِدُ النَّاسُ
 الْأُنْسَ وَلَوْ كَانَ أَحَدُهُمْ مَطْرُوحًا فِي الْقِفَارِ وَالْفَلَوَاتِ، فَهُوَ يَرْكُنُ إِلَى
 نَفْسِهِ وَيَأْمَنُ عَلَيْهَا، وَفِيهِ يَصْطَنِعُ النَّاسُ الْمَعْرُوفَ وَالْمُنْكَرَ، وَالْخَيْرَ
 وَالشَّرَّ، وَالطَّاعَةَ وَالْمَعْصِيَةَ، وَالصَّدْقَ وَالْكَذِبَ وَالصَّنَائِعَ وَالتَّجَارَاتِ

وَجَمِيعَ أَعْمَالِ الْبَشَرِيَّةِ، وَيَكُونُ الْعَالَمُ فِيهِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ
 اسْمُهُ: ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾^(١)

١١٩

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾^(٢)

وَقَالَ: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾^(٣) وَآيٍ^(٤) فِي الْكِتَابِ
 مِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ، تَدُلُّ عَلَى أَنَّ النَّهَارَ دَلِيلٌ عَلَى الظُّهُورِ وَالتَّجَلِّيِّ.

^١ الاسراء . الآية ١٢
^٢ النبأ . الآية ١١
^٣ المزمل . الآية ٧
^٤ أي الآية، والجمع آيات.

بَابُ مَعْرِفَةِ الْكَوْنِ وَالتَّكْوِينِ وَالتَّجَلِّي

وَأَعْلَمَ يَا مُفَضَّلُ، أَنَّ الْعَالَمَ عِنْدَ الْكَوْنِ الْكُلِّيِّ قَبْلَ التَّجَلِّيِّ، كَانَ
 بَدْءُ الْمُبْدِي لَهُمْ كَمَا أَرَادَ، وَكَانَتْ إِرَادَةُ الْبَارِي فِيهِمْ إِرَادَةً وَاحِدَةً، لِأَنَّهُ
 أَبْدَاهُمْ^(١) فِي الْبَدْءِ الْأَوَّلِ التُّورَانِيِّ، حِينَ ظَهَرَ لَهُمْ وَكَلَّمَهُمْ وَأَظْهَرَهُمْ
 بِنُفُوسِهِمْ، وَظَهَرَ لَهُمْ بِكَوْنِهِمْ، ثُمَّ دَعَاهُمْ عِنْدَ إِيجَادِهِمْ أَنْفُسَهُمْ
 وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّهُ الْمُكَوَّنُ لَهُمْ، وَالْخَالِقُ لَهُمْ، وَأَنَّهُمْ مِنْ كَوْنِهِ وَإِرَادَتِهِ كَانُوا
 ثُمَّ ظَهَرَ لَهُمْ ظُهُورَ الْمُعَايِنَةِ، فَلَمَّا عَايَنُوهُ، وَقَفُوا كُلُّهُمْ عَنِ الْإِجَابَةِ
 وَقَفَةً وَاحِدَةً، فَكَانَ أَوَّلَ خِطَابِهِ مَعَ ظُهُورِهِ لَهُمْ: «أَنَا رَبُّكُمْ وَرَبُّ
 آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ». أَيُّ: أَنَا رَبُّ كَوْنِكُمُ الَّذِي كُونْتُمْ مِنْهُ، وَهِيَ الْإِرَادَةُ
 مِنْهُ لِكَوْنِهِمْ^(٢) فَكَانَ وَقُوفُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ سُكُوتًا بَغَيْرِ إِضْمَارٍ إِجَابَةً أَوْ
 انْكَارًا، ثُمَّ أَعَادَ الْقَوْلَ الثَّانِي مِنْ خِطَابِهِ لَهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ

^(١) في نسخة أخرى: أبداهم.
^(٢) في نسخة أخرى: كونهم

مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ
 قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا ﴿١﴾

١٢١

وَمَعْنَى قَوْلِهِ «مِنْ ظُهُورِهِمْ»، أَيُّ: مِنْ وَقْتِ ظُهُورِهِمْ وَدَعْوَتِهِمْ
 فَلَمَّا ثَنَّى عَلَيْهِمُ الْقَوْلَ، أَجَابَ حِزْبٌ وَأَنْكَرَ حِزْبٌ فَكَانَ الْمُجِيبُونَ
 هُمُ الْمُخْبِرُونَ عَنْهُمْ حِينَ أَجَابُوا، فَقَالُوا: «بَلَى شَهِدْنَا» وَكَانُوا فِي ذَلِكَ
 أَطْوَارًا عَلَى رُتَبٍ شَتَّى وَمَنَازِلَ أُنْزِلُوهَا فِي الْعَالَمِينَ الثُّورَانِيَّ وَالْبَشَرِيَّ
 فَسَبَقَتِ الْإِجَابَةُ وَالْإِنْكَارُ، كَمَا قَالَ فِيهِمْ: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ ﴿٢﴾
 فَكَانَ أَهْلُ الشَّقَاوَةِ هُمُ الْمُنْكَرُونَ، وَأَهْلُ السَّعَادَةِ هُمُ الْمُجِيبُونَ.

ثُمَّ كَشَفَ مَنَازِلَ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، وَأَبَانَ مَنَازِلَ أَهْلِ السَّعَادَةِ، فَقَالَ
 تَبَارَكَ اسْمُهُ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾
 خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴿٣﴾ فَذَمَّ الْمَوْضِعَ وَأَتْبَاعَهُ.

^١ الأعراف. الآية ١٧٢

^٢ هود. الآية ١٠٥

^٣ هود. الآية ١٠٧

وَقَالَ: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ
 وَالْأَرْضُ﴾^(١) فَمَدَحَ الْمَوْضِعَ وَاتَّبَاعَهُ.

١٢٢

فَكَانَ أَهْلُ الشَّقَاوَةِ هُمْ أَهْلُ الْجُحُودِ وَالْإِنْكَارِ، وَهُمْ خَالِدُونَ فِي
 النَّارِ، وَالنَّارُ هِيَ الْمُسُوخِيَّةُ، لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا إِلَى الْمَعْرِفَةِ، وَكَانَ أَهْلُ
 السَّعَادَةِ هُمْ أَهْلُ الْقَبُولِ وَالْإِجَابَةِ، وَهُمْ عَلَى رُتَبٍ شَتَّى عَظِيمَةٍ مِنْ
 رُتَبِ الْإِجَابَةِ وَالْإِقْرَارِ^(٢)

^١ هود. الآية ١٠٨
^٢ في نسخة أخرى: والإنكار

بَابُ الظُّهُورَاتِ وَالِدَّعْوَةِ الْأُولَى فِي الْإِجَابَةِ وَالْإِنْكَارِ

وَاعْلَمْ يَا مُفَضَّلُ، أَنَّ مَوْلَاكَ أَكْثَرَ الظُّهُورِ عِنْدَ الْإِجَابَةِ،
 وَالْمُقَرَّرُونَ مُقَرَّرُونَ، وَالْمُنْكَرُونَ مُنْكَرُونَ، وَجَاحِدُونَ بِكُلِّ مَا ظَهَرَ
 لَهُمْ ثُمَّ أَنَّهُ جَعَلَ فِي النَّهَارِ الْإِضْطِرَابَ، وَالذَّهَابَ، وَالْمَجِيءَ، وَالضُّوْضَاءَ،
 وَالتَّخَاصُمَ وَالتَّشَاجُرَ^(١)، وَالْمُنَاكَرَةَ^(٢)، وَالتَّشَاهُدَ، وَالْبَيْعَ، وَالشِّرَاءَ
 وَالسَّغْيَ فِي التَّجَارَاتِ، وَالسَّفَرَ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَالسَّهْلِ وَالْجَبَلِ، فَكَانَ
 النَّهَارُ بِهَذَا الْكَوْنِ وَعَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ.

أَقْوَاهُمْ عِنْدَ غَيْبَةِ الْمَوْلَى:

وَاعْلَمْ يَا مُفَضَّلُ، أَنَّهُ لَمَّا أَثَبَّتَ مَوْلَاكَ لِأَهْلِ الْإِقْرَارِ إِقْرَارَهُمْ وَأَلْزَمَ
 أَهْلَ الْإِنْكَارِ وَالْجُحُودِ جَحْدَهُمْ وَإِنْكَارَهُمْ، اخْتَبَرَهُمْ بِأَنْ غَابَ عَنْهُمْ
 لَوْقَتِهِ، فَطَلَبَهُ الْحِزْبَانِ، وَجَعَلَ مَنْ أَنْكَرَ يَسْخَرُ مِمَّنْ أَجَابَ، فَيَقُولُ
 الْمُنْكَرُونَ لِأَهْلِ الْإِجَابَةِ: أَلَمْ نَقُلْ لَكُمْ إِنَّ هَذَا الْكَوْنَ الَّذِي ظَهَرَ لَنَا

^(١) في نسخة أخرى: التشاور. والشَّرْزُ: النظر عن اليمين والشمال وليس بمستقيم الطريقة.
^(٢) الْمُنَاكَرَةُ: المحاربة.

هُوَ مِنَّا، وَإِنَّهُ مِثْلُنَا وَبِحَالِنَا؟ وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ: لَا نَقُولُ ذَلِكَ وَلَا نَقْبَلُ
 مِنْكُمْ، بَلْ هُوَ رَبُّنَا وَخَالِقُنَا، فَأَيْنَ هُوَ السَّاعَةُ؟ هَا قَدْ هَلَكَ كَمَا
 نَهَلِكُ، وَزَالَ كَمَا نَزُولُ، فَأَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُمْ بِمَا جَرَى فِي بَدْءِ أَمْرِهِمْ
 بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾
 وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا
 فَكِهِينَ﴾^(١)

وَذَلِكَ يَا مُفَضَّلُ، أَنَّهُ لَمَّا أَوْقَعَ الْغَيْبَةَ، وَحَجَبَ الْعَالَمَ السُّفْلِيَّ عَنِ
 النَّظَرِ إِلَى حَقِيقَةِ ذَاتِهِ، ظَهَرَ لِلْعَالَمِ الْعُلُوِّيِّ النُّورَانِيِّ، وَكَانَ حَالًا فِيهِمْ
 يَرُونَهُ وَيُشَاهِدُونَهُ، وَالذَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ، قَوْلُ الْمُقْصِّرَةِ: إِنَّ الْإِمَامَ غَائِبٌ
 عَنْ قَوْمٍ، ظَاهِرٌ لِقَوْمٍ، مَوْجُودًا مُعَايِنًا، وَهُمْ فِي هَذَا الْقَوْلِ صَادِقُونَ
 لِأَنَّهُمْ فِي هَذَا عَلَى طَرِيقِ^(٢) الْبَصِيرَةِ، إِلَّا أَنَّهُمْ عَمُوا^(٣) عَنْ مَعْرِفَةِ ذَلِكَ
 فَالْتَّهَارُ هُوَ الشَّخْصُ الظَّاهِرُ بِالْقُدْرَةِ الْبَاهِرَةِ، وَالْخَلْقُ يَرُونَهُ أَنَّهُ
 بَشَرِيٌّ مِثْلَهُمْ فَإِذَا غَابَ الْمَعْنَى عَنْ أَهْلِ الْجُحُودِ، كَانَ ظَاهِرًا لِأَهْلِ

^(١) المطففين. الآية ٣١
^(٢) في نسخة أخرى توجد زيادة: المعرفة والبصيرة.
^(٣) في نسخة أخرى زيادة: عَمُوا وَصَمُّوا.

الْوُجُودِ وَالْحَقِيقَةِ، يَرُونَهُ وَيَأْتُونَهُ مِنْ بَابِهِ وَاسْمِهِ، ثُمَّ يَكُونُ مَعَهُمْ
 أَتْبَاعٌ، وَهُمْ الَّذِينَ رَقُّوا وَصَفَوْا، وَجَاوَرُوا أَصْحَابَ الْمَرَاتِبِ، وَيَكُونُ
 لِكُلِّ شَخْصٍ مِنْهُمْ حَظٌّ مِنَ النُّورِ يُعْرِفُ بِهِ، فَيُحْدِقُونَ بِالْقَافِ.

فَاَنْظُرْ يَا مُفَضَّلُ إِلَى اللَّيْلِ إِذَا جَنَّ، هَلْ تَسْمَعُ فِيهِ لِأَحَدٍ مِنَ
 الْعَالَمِ كَافَّةً نُطْقًا أَوْ حَرَكَةً أَوْ اعْتِرَاضًا؟ وَكَذَلِكَ جَمِيعُ الْبَهَائِمِ
 وَالْحَيَوَانَاتِ الْمُحَرَّرَةِ وَالْمَمْلُوكَةِ، يَأْتِي كُلُّ مِنْهَا وَيَأْوِي إِلَى رَسْمٍ رُسِمَ لَهُ
 وَبِهِ.

وَاعْلَمْ يَا مُفَضَّلُ، أَنَّ فِي اللَّيْلِ، تَكُونُ مَوَاقِعُ اللَّصُوصِ وَالسَّرِقَةِ
 وَالْإِحْتِيَالِ وَالْأَحْوَالِ الرَّدِيئَةِ الَّتِي أُنْزِلَتْ هَذَا الْكِتَابَ عَنْ شَرْحِهَا فِيهِ، إِلَّا
 عَرَضًا وَتَلْوِيحًا، وَذَلِكَ يَا مُفَضَّلُ، أَنَّ أَهْلَ الْجُحُودِ وَالْإِنْكَارِ فِي وَقْتِ
 الْغَيْبَةِ، وَهُوَ اللَّيْلُ، يَسْعَوْنَ فِي أَذْيَةٍ مَنْ يَعْرِفُونَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَيَقُولُونَ
 فِيهِمْ: إِنَّ هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ قَوْلًا مُنْكَرًا وَكُفْرًا، وَهُمْ فِي ذَلِكَ كَفَرُوا وَلَغَوْا
 لِأَنَّهُمْ يَكْذِبُونَ عَلَى أَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَعَبِيدِهِ الْمُقَرَّرِينَ بِتَوْحِيدِهِ، وَإِنَّ
 الْمُخَالِفِينَ يُشْنَعُونَ عَلَيْهِمْ، وَيَقُولُونَ لِأَهْلِ الْجَهْلِ وَالْجُحُودِ، فَتَمْتَدُّ

إِلَيْهِمُ الْأَيْدِي، وَذَلِكَ مِمَّا اكْتَسَبُوا مِنْ ذُنُوبِهِمْ، يُجَازُونَ بِذَلِكَ، حَتَّى يَخْلُصُوا مِمَّا عَلَيْهِمْ.

وَأَعْلَمَ يَا مُفَضَّلُ، أَنَّ التَّجُومَ بِاللَّيْلِ تَسِيرُ بِمَسِيرِ الْقَمَرِ، وَتُضِيءُ دُونَهُ إِذَا حَلَّ مَعَهَا، فَإِذَا غَابَ، أَضَاءَتْ ضَوْءًا يُبْهِرُ مَنْ يَرَاهُ، وَذَلِكَ ضَوْءُهَا بِذَاتِهَا، وَإِذَا ظَهَرَ مَعَهَا، كَانَتْ تُضِيءُ دُونَهُ، لِأَنَّ لَهُ مَنَزِلَةً فِي خِدْمَتِهِ لَا يَحُلُّهَا سِوَاهُ، فَظُهُورُهُ أَوَّلَ الشَّهْرِ هِلَالٌ، ثُمَّ يَزِيدُ إِلَى أَنْ يَتَكَمَّلَ فِي اللَّيْلَةِ الرَّابِعَةِ عَشْرَةَ، ثُمَّ يَنْقُصُ وَيَضْعُفُ، إِلَى أَنْ يَغِيبَ فِي آخِرِ الشَّهْرِ، إِنَّمَا هُوَ إِشَارَةٌ لِلْعَالَمِ، بِأَنَّ الْمَعْنَى **عَزَّ عِزُّهُ**، أَظْهَرَ بِالْبَشَرِيَّةِ الصَّغَرِ وَالزِّيَادَةَ فِي الطُّفُولِيَّةِ، وَالْكَمَالَ وَالْقُوَّةَ فِي الشَّبَابِ، وَالنُّقْصَانَ وَالضَّعْفَ فِي الْكِبَرِ، وَهَذَا كُلُّهُ امْتِحَانٌ لِلْعَالَمِ جَمِيعًا فِي سَائِرِ الْأَوْقَاتِ.

وَأَعْلَمَ يَا مُفَضَّلُ، أَنَّ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ هُمَا الْغَيْبَةُ وَالظُّهُورُ، قَدْ جَعَلَهُمَا اللَّهُ مُؤَبَّدَيْنِ، تُخْصَى بِهِمَا الدُّهُورُ وَالْأَزْمِنَةُ وَالسَّنُونَ وَالشُّهُورُ وَالْأَيَّامُ، وَهِيَ تَجْرِي بِهِمَا وَعَلَيْهِمَا، لَا يَحُولَانِ وَلَا يَزُولَانِ دَائِمَيْنِ بِدَوَامِ الْأَزْلِ، وَلِذَلِكَ دَلِيلٌ عَظِيمٌ وَبُرْهَانٌ مَوْجُودٌ عِنْدَ أَهْلِ



الْخَبْرَةُ وَالْيَقِينُ وَالتَّحْقِيقُ، وَذَلِكَ أَنَّ السَّنَةَ وَالشَّهْرَ وَالْأُسْبُوعَ وَالْيَوْمَ
 كُلُّهَا تُحْصَى بِالنَّهَارِ، فَيُقَالُ: يَوْمَ كَذَا وَكَذَا مِنْ شَهْرِ كَذَا وَكَذَا مِنْ سَنَةِ
 كَذَا وَكَذَا، وَيُقَالُ: أَوَّلُ يَوْمٍ مِنَ الْأُسْبُوعِ، وَأَوَّلُ يَوْمٍ مِنَ الشَّهْرِ، وَأَوَّلُ
 يَوْمٍ مِنَ السَّنَةِ، فَالْأَيَّامُ لَهَا أَسْمَاءٌ، وَاللَّيَالِي لَا أَسْمَاءَ لَهَا، فَإِذَا سُمِّيَتْ
 لَيْلَةً، فَإِنَّمَا يُقَالُ عَنْهَا: لَيْلَةُ كَذَا وَكَذَا، بِالنِّسْبَةِ لِلْيَوْمِ، وَهُوَ النَّهَارُ
 فَالْيَوْمُ يَنْصُ عَلَى اللَّيْلَةِ، وَهَذَا كُلُّهُ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ النَّهَارَ هُوَ الظُّهُورُ
 وَاللَّيْلَ هُوَ الْغَيْبَةُ، فَالنَّهَارُ اسْمُ الضَّوِّ، وَاللَّيْلُ غَيْبَةُ ذَلِكَ الضَّوِّ.

ثُمَّ إِذَا ظَهَرَ، فَإِنَّمَا يَظْهَرُ بِاسْمٍ غَيْرِ الْإِسْمِ الْأَوَّلِ، كَمَا يُقَالُ: يَوْمُ
 الْأَحَدِ، وَيَوْمُ الْاِثْنَيْنِ، وَيَوْمُ الثَّلَاثَاءِ، وَيَوْمُ الْأَرْبَعَاءِ، وَيَوْمُ الْخَمِيسِ وَيَوْمُ
 الْجُمُعَةِ، وَيَوْمُ السَّبْتِ.

فَالْأَيَّامُ كُلُّهَا أَسَامِي النَّهَارِ، الَّذِي هُوَ دَلِيلٌ عَلَى الظُّهُورِ، وَاللَّيَالِي لَا
 أَسْمَاءَ لَهَا، وَإِنَّمَا إِذَا نُصَّ عَلَيْهَا، يُقَالُ: لَيْلَةُ كَذَا وَكَذَا، بِالنِّسْبَةِ إِلَى
 الْيَوْمِ الَّذِي هُوَ اسْمُ النَّهَارِ، كَمَا أَنَّ الْمَعْنَى سُبْحَانَهُ، إِذَا ظَهَرَ بِشَخْصٍ
 تَسَمَّى بِاسْمِ ذَلِكَ الشَّخْصِ، وَإِذَا غَابَ الشَّخْصُ، بَقِيَ الْإِسْمُ لَهُ، وَكَذَلِكَ

اللَّيْلَةُ، إِنَّمَا تُسَمَّى بِاسْمِ ذَلِكَ النَّهَارِ الْمُقْبِلِ، ثُمَّ يَظْهَرُ بِاسْمِ ثَانٍ
 وَتُنَسَبُ اللَّيْلَةُ لِذَلِكَ الْإِسْمِ، الَّذِي هُوَ النَّهَارُ الدَّالُّ عَلَى الظُّهُورِ، وَهَذَا
 جَارٍ كَمَا أَجْرَاهُ الْمَعْنَى الْقَادِرُ عَلَى الْأَشْيَاءِ، بِقُدْرَتِهِ الَّتِي لَا انْقِضَاءَ لَهَا
 وَلَا انْقِطَاعَ فَإِنْ أَرَادَ الْمَعْنَى أَنْ يَظْهَرَ بِهَا، وَيُظْهَرَ غَيْبَتَهَا، فَالِإِرَادَةُ لَهُ
 فِي سَائِرِ أَفْعَالِهِ: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾^(١).

الإِدَالَةُ:

ثُمَّ قَالَ مَوْلَايَ: يَا مُفَضَّلُ، إِنِّي لَا زَيْدُكَ فِي إِدَالَةِ^(٢) اللَّيْلِ مِنَ
 النَّهَارِ وَإِدَالَةِ النَّهَارِ مِنَ اللَّيْلِ، بِنُقْصَانِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، وَأَخْذِهِ مِنْ
 صَاحِبِهِ وَذَلِكَ أَنَّ النَّهَارَ يَأْخُذُ مِنَ اللَّيْلِ فِي بَعْضِ السَّنَةِ، ثُمَّ يَعُودُ
 اللَّيْلُ يَأْخُذُ مِنَ النَّهَارِ مَا أَخَذَهُ مِنْهُ، وَذَلِكَ أَنَّ بَيْنَ الْغَيْبَةِ وَالظُّهُورِ
 رُتْبًا لَا بُدَّ مِنْ حُلُولِهَا، وَذَلِكَ أَنَّ الْغَيْبَةَ مِثْلُ الظُّهُورِ، وَإِنْ تَطَاوَلَتْ
 فِي الْعَالَمِ الْمُدَّةُ لِأَنَّهُ فِي الْغَيْبَةِ يَكُونُ ظُهُورُهُ فِي الْعَالَمِ الْعُلُويِّ
 الثُّورَانِيِّ، بِالسَّوِيَّةِ وَالْقِسْطِ، وَالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، كَمَا أَنَّ ظُهُورَهُ فِي

^(١) الأنبياء . الآية ٢٣
^(٢) في نسخة أخرى: إدلة.

الْعَالَمِ السُّفْلِيِّ سَوَاءٌ بِسَوَاءٍ، لَا زِيَادَةَ وَلَا نُقْصَانَ فِي مَقَامٍ مِنْهَا، عَدْلًا
 مِنْهُ وَإِنْصَافًا، وَذَلِكَ الْقِسْطُ بِالْحَقِّ، فَاعْرِفْهُ يَا مُفَضَّلُ، وَتَبَيَّنْهُ، وَاعْلَمْ
 أَنَّ صِرَاطَ رَبِّكَ عَظِيمٌ، لَا يُوصَلُ إِلَيْهِ بِالتَّوَهُُّمِ، وَإِنَّمَا يُوصَلُ إِلَيْهِ
 بِالتَّسْلِيمِ وَالْيَقِينِ، إِذَا صَحَّ لِلْعَبْدِ ذَلِكَ.

وُقُوفُ الْمُتَحَيِّرِينَ:

وَاعْلَمْ يَا مُفَضَّلُ، أَنَّ الشَّخْصَ الظَّاهِرَ بِالْمَعْنَوِيَّةِ، هُوَ رَبُّ
 كَوْنِكُمْ الَّذِي كَوَّنَكُمْ مِنْهُ، وَإِنَّ ذَلِكَ الْوُقُوفَ الَّذِي وَقَفَهُ الْعَالَمُ عِنْدَ
 دَعْوَةِ مَوْلَاهُمْ لَهُمْ، كَانَ سُكُوتًا بَغَيْرِ إِضْمَارٍ جُحُودٍ أَوْ إِقْرَارٍ، بَلْ وَُقُوفَ
 مُتَحَيِّرِينَ، لَا يَدْرُونَ مَا يَقُولُونَ، فَلَمَّا أَعَادَ الْقَوْلَ ثَانِيَةً، بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ
 أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ
 أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾^(١)

وَمَعْنَى قَوْلِهِ: مِنْ ظُهُورِهِمْ، أَيُّ: مِنْ وَقْتِ ظُهُورِهِمْ، أَيُّ: إِظْهَارِهِ لَهُمْ
 فَلَمَّا تَنَّى عَلَيْهِمُ الْقَوْلَ، أَجَابَ حِزْبٌ وَأَنْكَرَ حِزْبٌ، فَكَانُوا فِي ذَلِكَ
 أَطْوَارًا عَلَى رُتَبٍ شَتَّى، وَمَنَازِلَ أَنْزَلُوهَا فِي الْعَالَمِينَ: الثُّورَانِيَّ، وَالْبَشَرِيَّ
 وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ اسْمُهُ فِيهِمْ: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾^(١)

فَأَهْلُ السَّعَادَةِ، هُمْ أَهْلُ التَّوْفِيقِ وَالْقَبُولِ وَالْإِجَابَةِ، وَأَهْلُ الشَّقَاوَةِ
 هُمْ أَهْلُ الشَّكِّ وَالْجُحُودِ وَالْإِنْكَارِ، فَهُمْ فِي النَّارِ خَالِدُونَ، وَالنَّارُ هِيَ
 الْمُسُوخِيَّةُ، فَإِذَا خَرَجُوا مِنْهَا، رُدُّوا إِلَى الرُّسُوخِيَّةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:
 ﴿كَلَّمَا نَضَجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ
 كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾^(٢)

وَقَوْلُهُ: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ * أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي
 صُدُورِكُمْ^(٣) يُرِيدُ بِذَلِكَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَالْجَوَاهِرَ وَأَنْوَاعَ الرُّسُوخِ.

^١ هود. الآية ١٠٥
^٢ النساء. الآية ٥٦
^٣ الاسراء. الآية ٥١

فَلَمَّا أَعَادَ فِيهِمُ الظُّهُورَ وَالْكَشْفَ بِإِعْلَانِ الدَّعْوَةِ، وَإِشَارَتِهِ إِلَى ذَاتِهِ
 بِالْمَعْنَوِيَّةِ، وَاسْمِهِ وَبَابِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ يُشِيرَانِ إِلَيْهِ وَيَدُلَّانِ عَلَيْهِ ثَبَتَ
 لِأَهْلِ الْإِقْرَارِ إِقْرَارُهُمْ، فَأَجَابُوا كَمَا أَجَابُوا فِي سَائِرِ الدَّعَوَاتِ عِنْدَ
 الظُّهُورِ وَالْكَشْفِ، فَازْدَادُوا يَقِينًا وَإِيمَانًا، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِمْ:
 ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿١﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ
 ﴿٢﴾ هَلْ ثَوَّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾^(١)

ثُمَّ إِنَّهُ جَعَلَ الْغَيْبَةَ الَّتِي يُظْهِرُهَا وَهِيَ اللَّيْلُ لِبَاسًا، يَلْتَبِسُ حَالُهَا
 عَلَى أَهْلِ الْجُحُودِ وَالْإِنْكَارِ، فَلَا يَقُومُ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى الْحَقِّ بِوَجْهِهِ وَلَا
 سَبَبٍ، وَأَظْهَرَ ظُهُورَاتِهِ لِأَهْلِ الْقَبُولِ وَالْإِجَابَةِ، وَحَجَبَ مَعْنَاهَا^(٢) عَنْ
 أَهْلِ الْجُحُودِ وَالْإِنْكَارِ.

^١ المطففين . الآية ٣٦
^٢ في كل النسخ: معناه. والأصح معناها لأنها عائدة هنا إلى الظهورات.

ظُهُورُ الْمَقَامَاتِ:

وَاعْلَمْ يَا مُفَضَّلُ، أَنَّهُ إِذَا كَانَ الْمَقَامُ ظَاهِرًا نَاطِقًا، فَلَا يَجُوزُ لِمَقَامٍ
 ثَانٍ أَنْ يَظْهَرَ وَيَنْطِقَ، إِلَّا عِنْدَ إِرَادَةِ الْمَقَامِ الْأَوَّلِ إِظْهَارَ الْغَيْبَةِ
 فَيُظْهِرُ لِلْعَالَمِ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ بِشَخْصٍ غَيْرِ الْأَوَّلِ، مُحَنَّةً عَلَى الْخَلْقِ
 الْمَنكُوسِ بِمَا اسْتَحَقُّوا وَاکْتَسَبُوا وَهُوَ سُبْحَانَهُ، لَا يَحُولُ، وَلَا يَزُولُ وَلَا
 يَنْتَقِلُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، بَلْ هُوَ أَحَدٌ، أَبَدٌ، سَرْمَدٌ، لَا يَتَغَيَّرُ عَنْ
 كَيَانِهِ، وَإِنْ ظَهَرَ لِعَيَانِهِ، وَإِنَّمَا يُغَيِّرُ أَبْصَارَ النََّاظِرِينَ إِلَيْهِ، وَيُقَلِّبُ
 قُلُوبَهُمْ، لِمَا بِهِمْ وَعَلَيْهِمْ مِنَ الْعِلَّةِ الَّتِي تَضْطَرُّهُمْ إِلَى ذَلِكَ.

وَقَدْ حَبَسْتُ عَنْكَ مِنَ الشَّرْحِ خِطَابًا وَبَيَانًا أَكْشِفُهُ لَكَ
 وَأَسْأَلُكَ كِتْمَانَهُ إِلَّا عَنْ أَهْلِهِ وَمُسْتَحِقِّيهِ، وَهُوَ، أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَ
 ظُهُورِهِ بِالْبَشَرِيَّةِ، وَنُطْقِهِ بِلِسَانِ الْعَرَبِ، كَلَّمَهُمْ مِنْ حَيْثُ هُمْ^(١)، فَلَمَّا

^(١) عَنْ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ الْجَعْفِيِّ مِنْهُ السَّلَامُ وَالِيهِ التَّسْلِيمُ قَالَ: سَمِعْتُ الْعَالِمَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: أَنَّ اللَّهَ جَلَّ ذِكْرُهُ ظَهَرَ بِنُورِهِ الَّذِي لَمْ يَزَلْ ظَاهِرًا وَرَأَاهُ
 أَهْلُ الْكَدَرِ فَمَا قَبِلُوا وَلَاقَتْهُ، وَنُطِقَ فَسَمِعُوا النُّطْقَ مِنَ الَّذِي غَابُوا؛ وَذَلِكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَالَ: سُبْحَانَ مَنْ نَطَقَ مِنْ حَيْثُ هُوَ فَسَمِعَتْهُ الْخَلِيقَةُ
 مِنْ حَيْثُ هِيَ (مَجْمَعُ الْأَخْبَارِ)

وَجَلُّوا وَتَدَاخَلَتْهُمْ الْهَيْبَةُ، رَجَعُوا إِلَى ^(١) أَنْفُسِهِمْ فَقَالَ: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ^(٢)

١٣٣

الناطق الصامت:

وَاعْلَمْ يَا مُفَضَّلُ، أَنَّ الشَّخْصَ النَّاطِقَ فِي وَقْتِهِ، لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ بِإِرَائِهِ شَخْصَ صَامِتٍ، فَيُشِيرُ ذَلِكَ النَّاطِقُ إِلَى الصَّامِتِ ^(٣)، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ فَتَكُونُ إِشَارَتُهُ إِلَى ذَلِكَ الصَّامِتِ دَلِيلًا عَلَى ظُهُورِهِ بِهِ فَكُلُّ إِشَارَةٍ مِنْ ظُهُورٍ مِثْلِيٍّ لِلْمَعْنَى بِنُطْقٍ ^(٤) إِلَى الصَّامِتِ، هِيَ ^(٥) دَلِيلٌ عَلَى ظُهُورِهِ عِنْدَ إِظْهَارِهِ الْغَيْبَةَ بِذَلِكَ الصَّامِتِ، فَإِذَا أَتَى مِنَ الصَّامِتِ فِعْلٌ بَعْدَ إِشَارَةِ النَّاطِقِ إِلَيْهِ، فَإِنَّمَا هُوَ دَلِيلُ الْمَعْنَوِيَّةِ، لِأَنَّ الْعَالَمَ أَثْبَتُوا لِلْمَعْنَى الْبَشَرِيَّةِ عِنْدَ ظُهُورِهِ لَهُمْ بِهَا مِثْلَهُمْ، وَهُوَ بِذَاتِهِ لَا يَحُولُ، وَلَا يَزُولُ وَلَا يَتَغَيَّرُ فَإِذَا ظَهَرَتِ الْقُدْرَةُ مِنْ ذَلِكَ الْمَوْجُودِ عِنْدَهُمْ بِذَلِكَ

^١ في نسخة أخرى: رَجَعُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ.

^٢ النحل . الآية ١١٨

^٣ وفي حديث النورانية الذي يترنم به المقصرة، فهو ملئ بالإشارات والدلالات على ألوهية مولانا أمير النحل جل جلاله، وقد أشار إلى نفسه أنه الصامت فقال جل علاه: وصار محمد الناطق، وصرت أنا الصامت، وإنه لا بد في كل عصر من الاعصار أن يكون فيه ناطق وصامت (بحار الانوار)

^٤ في نسخة أخرى: ينطق.

^٥ في نسخة أخرى: فهي.

الشَّخْصُ، كَانَ الْعَالَمُ فِيهَا عَلَى مَنَازِلَ وَمَرَاتِبَ وَدَرَجٍ، لَا يَقْدِرُ أَحَدُهُمْ
 أَنْ يَتَجَاوَزَ مَا أُوقِفَ عِنْدَهُ، لِأَنَّ مِنَ الْعَالَمِ مَنْ يَرَاهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَمِنْهُمْ
 مَنْ يَرَاهُ بِالنُّورَانِيَّةِ الْحَقِيقِيَّةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَرَاهُ بِالْعُبُودِيَّةِ^(١)، وَمِنْهُمْ مَنْ
 يَرَاهُ مُسْتَضَاءً غَيْرَ مَنْصُورٍ، وَأَنَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَى أَعْوَانٍ وَأَنْصَارٍ، وَأَنَّهُ ذُو
 فَاقَةٍ وَفَقْرٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَرَاهُ أَنَّ لَهُ مَكَانًا مِنْ بَارِيهِ^(٢)، وَأَنَّهُ يَقْدِرُ عَلَى
 بَطْشٍ وَعِزٍّ وَمَنْعٍ.

هَذَا أَصْلُ الصِّرَاطِ:

وَهَذَا يَا مُفَضَّلُ، أَصْلُ صِرَاطِ رَبِّكَ، فَاعْرِفْهُ وَتَبَيَّنْهُ فَقَدْ كَشَفْتُهُ
 لَكَ وَشَرَحْتُهُ، وَأَنَا أُوصِيكَ أَنْ تَشْرَحَهُ لِجَمِيعِ أَتْبَاعِكَ الْمُقَرَّرِينَ
 بِالْمَعْرِفَةِ وَالتَّوْحِيدِ، فَبِمَعْرِفَةِ هَذَا الصِّرَاطِ، يَصِحُّ عَقْدُهُمْ وَيَتَّضِحُ لَهُمْ

^١ وهذا قوله سبحانه في خطبته الافتخارية: أنا العابد وأنا المعبود، فهو العابد عند أهل الإنكار والمعبود عند أهل الإقرار.
 وكذلك في خطبته التنجية بعد ما صرح بمعنويته أمامهم، فقال هذه المقولة تلبيساً على الجاحدين: الا إن علي نور مخلوق وعبد مرزوق. وقد
 قال في موضع آخر: أنا عبد مخلوق عند الجاهلين وعند من لا يعرفني. فتحققه أهل البصيرة والبصائر إنه هو لا غيره.
^٢ عن المفضل بن عمر منه السلام وإليه التسليم قال المولى الصادق عز عزه: وذلك يا مفضل أنهم يقرون بأنه إمام وأن علمه رباني، فإذا قيل
 لهم هو معنى المعاني ورب الصمداني تولوا وكفروا به وقوله (يؤمنون به وهم به كافرون) وذلك أنهم يؤمنون بغيب لا يرى، ومن عبد ما لا يرى
 يوشك أنه لا يكون على شيء، فلما دلهم على ذاته وصرح لهم بمعنويته كفروا به وجعلوه مربوباً (الرسالة المفضلية)

رُشْدُهُمْ وَيَصِلُونَ إِلَى هِدَايَتِهِمْ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الَّذِي لَا يَسْلُكُهُ إِلَّا أَهْلُ
 الْمَرَاتِبِ وَالدرَجِ وَالْمَنَازِلِ الْعَالِيَةِ.

وَأَمَّا أَهْلُ الْخِلَافِ وَالْعِنَادِ، فَإِنَّهُمْ جَاحِدُونَ مُنْكَرُونَ لِمَا رَأَوْهُ ظَاهِرًا
 بِمِثْلِ صُورِ الْعَالَمِ، وَإِنَّهُ يَجْرِي عَلَيْهِ مَا يَجْرِي عَلَيْهِمْ مِنَ الْأَمْرَاضِ
 وَالْعِلَلِ، وَالْمَوْتِ، وَالْقَتْلِ، وَالشَّدَّةِ، وَالرَّخَاءِ، وَقَامَ فِي نَفُوسِهِمْ أَنَّ ذَلِكَ
 ثَابِتٌ فِيهِمْ وَفِيهِ، وَهُوَ أَجَلٌ مِنْ أَنْ يَكُونَ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ هَذَا.

وَقَالُوا: إِنَّ هَذِهِ الْحَوَادِثَ وَالْعَوَارِضَ جَارِيَةٌ عَلَيْنَا وَعَلَيْهِ، فَكَيْفَ
 يَكُونُ مُكَوَّنًا؟ وَإِنَّهُ لَوْ يَكُونُ مُكَوَّنًا، فَمَا هَذِهِ الْعَوَارِضُ الَّتِي تَحُلُّ
 بِنَا وَبِهِ؟ وَلَمْ يَحْفَلُوا بِالْقُدْرَةِ الظَّاهِرَةِ مِنْهُ، الْمَوْجُودَةِ الْقَاهِرَةِ، وَإِنَّهُ
 لَيْسَ فِيهِمْ مِّنْهَا شَيْءٌ، بَلْ هِيَ لَهُ خَاصَّةٌ "وَلَوْ أَنَّهُمْ نَسَبُوا إِلَيْهِ تِلْكَ
 الْأَحْوَالَ لَعَلِمُوا أَنََّّهُمْ يَعْجِزُونَ"^(١) عَنْ أَنْ يَأْتُوا بِشَيْءٍ مِنْ تِلْكَ
 الْأَفْعَالِ، مِثْلَ خَلْقِهِ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ، وَنَفْخِهِ فِيهِ حَتَّى صَارَ

^(١) في نسخة أخرى: ولو أنهم كانوا إذا نسبوا إليه تلك الأحوال علموا أنهم يعجزون.

طَيْرًا بِإِذْنِهِ وَقَدْ قَالَ: ﴿وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ

اللَّهِ﴾^(١)

١٣٦

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾^(٢)

وَقَالَ: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(٣)

وَقَالَ: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾^(٤)

وَقَالَ: ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ﴾^(٥)

فَلَوْ عَقَلُوا يَا مُفَضَّلُ هَذَا الْخِطَابَ وَمَا شَاكَلَهُ، لَعَلِمُوا أَنَّ هَذِهِ
 الْأَفْعَالَ لَا تَكُونُ إِلَّا مِنْ قَدِ نَصَّ عَلَى نَفْسِهِ أَنَّهُ الْقَادِرُ عَلَيْهَا، وَأَنَّهُ
 يَظْهَرُ بِمَا يَشَاءُ كَمَا يَشَاءُ لِمَنْ يَشَاءُ، فِي شَخْصٍ كَبِيرٍ أَوْ صَغِيرٍ فَلَوْ
 سَلَّمُوا إِلَيْهِ وَعَلِمُوا أَنَّ إِظْهَارَهُ الْعَجْزَ هُوَ نَفْسُ الْمُعْجِزِ^(٦) وَالْقُدْرَةَ
 لَسَعِدُوا وَلَكِنَّهُمْ مُحْجُوبُونَ عَنْ فَهْمِ ذَلِكَ، قَالَ تَبَارَكَ اسْمُهُ: ﴿وَمَا

^١ آل عمران . الآية ٤٩

^٢ فاطر . الآية ٣

^٣ الزمر . الآية ٦٢

^٤ النمل . الآية ٦٢

^٥ الأنبياء . الآية ٨٤

^٦ ومن دعاء لمولانا جعفر الصادق عزه انه قال: أَمْنْتُ بِعَجْزِكَ وَمُعْجِزِكَ يَا أَمِيرَ التَّحْلِ (الرسالة المصرية)



قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ^(١) لِأَنَّ فِي ظُهُورِهِ لِلْعَالَمِ بِالْبَشَرِيَّةِ قُدْرَةً، وَقَدْ
 رَأَوْهَا مِنْهُ وَهُمْ يَرَوْنَهُ أَنَّهُ كَهُمْ، وَذَلِكَ أَنَّهُ بِهِرُهُم بِالْقُدْرَةِ وَإِظْهَارِهَا
 وَإِظْهَارِ الْعَجْزِ عَقِيبَ ذَلِكَ وَإِظْهَارِ الْغَايَةِ مِنَ الْفِعْلِ، وَأَوْجَدَهُمْ ذَلِكَ
 مِنْ أَشْخَاصٍ بَشَرِيَّةٍ نَاسُوتِيَّةِ الظُّهُورِ، فَمَا حَقَّقُوهُ، وَلَا سَلَّمُوا إِلَيْهِ
 وَلَا أَقَرُّوا بِمَعْنَوِيَّتِهِ وَهَكَذَا، لَمَّا ظَهَرَ لَهُمْ بِالنُّورَانِيَّةِ وَالذَّاتِيَّةِ الْكُلِّيَّةِ
 ذُهُلُوا عَنْ إِدْرَاكِهِ، وَلَمْ يُحِيطُوا بِهِ خُبْرًا، وَلَا صَحَّ لَهُمُ الْعِيَانُ، وَكَانُوا فِي
 الْحَالَيْنِ غَيْرَ مُدْرِكِينَ لَهُ وَلَا مُحِيطِينَ بِهِ، فَهَذَا وَصَفُ أَهْلِ الْجُحُودِ
 وَالْكُفْرِ.

١٣٧

بَابُ إِبْلِيسَ وَقَبِيلِهِ وَذُرِّيَّتِهِ^(١)

وَأَعْلَمَ يَا مُفَضَّلُ، أَنَّ إِبْلِيسَ وَقَبِيلَهُ وَذُرِّيَّتَهُ، يَعْرِفُونَ الْمُؤْمِنِينَ
 الْمُقَرَّرِينَ مِنْ يَوْمِ الْأُظْلَةِ وَالنَّدَاءِ فِي الذَّرْوِ وَالْكَشْفِ وَالتَّصْرِيحِ، لِأَنَّهُمْ
 عَرَفُوا مَنْ أَجَابَ فِي وَقْتِ الدَّعْوَةِ، وَالْمُؤْمِنُونَ عَالَمُ الْإِقْرَارِ وَالْإِجَابَةِ،
 لَا يَعْرِفُونَ إِبْلِيسَ وَقَبِيلَهُ لِمَوْضِعِ الْمِرَاجِ^(٢) الَّذِي هُوَ فِيهِمْ حَتَّى يُرَدُّوا^(٣)
 إِلَى الْمُسُوحِيَّةِ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا فِي وَقْتِ الدَّعْوَةِ، هُمْ وَعَالَمُ الْإِقْرَارِ بِكَوْنِ
 وَاحِدٍ، فَظَهَرَ الْمَعْنَى لِلْجَمِيعِ، فَأَخَذَ مَنْ أَخَذَ، وَأَعْرَضَ مَنْ أَعْرَضَ
 وَأَجَابَ مَنْ أَجَابَ، وَأَنْكَرَ مَنْ أَنْكَرَ، وَكَانَ إِبْلِيسُ وَقَبِيلُهُ الْمُنْكَرِينَ
 فَعَرَفُوا مِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ مَنْ نَدَّ^(٤) عَنْهُ وَمَنْ أَجَابَ، فَعَارَضَ إِبْلِيسُ
 بِقَوْلِهِ: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾^(٥) فَمَعْرِفَتُهُ
 بِهِمْ "مِنْ هُنَاكَ"^(٦)

^١ في نسخة أخرى: باب في معرفة إبليس وقبيله وذريته.

^٢ في نسخة أخرى: المجاز.

^٣ في نسخة أخرى: يردون. والمقصود ب (يردوا) هنا هم إبليس وقبيله وذريته.

^٤ أي نقر وذهب على وجهه شارداً.

^٥ الأعراف. الآية ١٢

^٦ في نسخة أخرى: من ثم.

وَكَذَلِكَ يَا مُفَضَّلُ، إِذَا حَلُّوا فِي الْمُسُوخِيَّةِ، يُكْشَفُ لَهُمْ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ
 حَتَّى يَجِدُوهُمْ كَوْجُودِهِمْ لَهُمْ فِي يَوْمِ الْأَظْلَةِ وَالِدَّعْوَةِ، فَلَوْ كَانُوا
 مُطْلَقِي^(١) النَّطْقِ، لَقَالُوا: هَذَا كَذَا وَكَذَا، وَيَعْرِفُ وَاحِدُهُمْ أَبَاهُ وَأُمَّهُ
 وَأَخَاهُ وَأُخْتَهُ وَابْنَهُ وَابْنَتَهُ، وَأَهْلَهُ وَقَوْمَهُ، حَتَّى لَا يَغْرُبَ عَلَيْهِ أَحَدٌ
 مِنْهُمْ، وَرُبَّمَا يَمُرُّونَ فِي الْمُسُوخِيَّةِ عَلَى الَّذِي يَعْرِفُونَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
 فَيُضْمِرُونَ لَهُ الْإِسَاءَةَ، وَالْهَلَكَ، وَالْبَطْشَ. فَإِذَا أَصْبَحُوا، ضَرَبَ اللَّهُ عَلَى
 قُلُوبِهِمْ، فَنَسُوا ذَلِكَ وَغَابَ، حَتَّى لَا يَذْكُرُوهُ وَلَا كَانَتْهُمْ أَضْمَرُوهُ، وَلَا
 يَزَالُ كَذَلِكَ مَنْسِيًّا، وَلَوْ بَقِيَ أَلْفَ عَامٍ، حَتَّى يَتَجَدَّدَ لَهُمْ نَظَرٌ ثَانٍ
 فَيَجِدُونَ مِثْلَ ذَلِكَ وَيُضْمِرُونَهُ لَهُمْ، وَيَعَزِّمُونَ عَلَيْهِ إِذَا بَاتُوا، وَإِذَا
 أَصْبَحُوا نَسُوهُ، وَلَوْ رَأَوْهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ أَلْفَ مَرَّةٍ، لَأَضْمَرُوا لَهُ ذَلِكَ، وَيَبِيتُونَ
 عَلَى مَا أَضْمَرُوهُ، فَإِذَا عَزَمُوا عَلَيْهِ وَهَمُّوا، ضَرَبَ عَلَى قُلُوبِهِمْ، فَلَا
 يَذْكُرُونَ شَيْئًا مِنْهُ، وَذَلِكَ مُقَابِلَ ظُهُورِهِمْ بِالْبَشَرِيَّةِ وَلَوْ نَظَرُوهُ فِي
 النَّهَارِ أَلْفَ مَرَّةٍ، لَوَجَدْتَهُمْ عَلَى مَا شَرَحْتُهُ لَكَ مِنْ إِضْمَارِهِمُ الْإِسَاءَةَ

^(١) في نسخة أخرى: مطلقين.

إِلَيْهِ، وَالتَّعَقُّبِ لَهُ، وَإِذَا لَقُوهُ، بَشُّوا لَهُ وَأَنَسُوا إِلَيْهِ، وَكَذَبُوا عَنْهُ، وَإِذَا غَابَ عَنْهُمْ نَسُوهُ.

فَهَذِهِ مَنَزَلَةُ الْوَلِيِّ مَعَ الْعَدُوِّ: الشَّيْطَانِ وَقَبِيلِهِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(١).

رُتَبُ أَهْلِ الْإِقْرَارِ وَالتَّوْحِيدِ:

وَأَعْلَمَ يَا مُفَضَّلُ، أَنَّ أَهْلَ الْإِقْرَارِ وَالتَّوْحِيدِ عَلَى رُتَبٍ فِي إِقْرَارِهِمْ وَتَوْحِيدِهِمْ، وَأَنَّهُ لَا يَتَسَاوَى اثْنَانِ فِي مَنَزَلَةٍ وَاحِدَةٍ، وَذَلِكَ جَارٍ مِنَ الْأَسْمِ الْأَزَلِيِّ الْقَدِيمِ، وَالْبَابِ الْمُقِيمِ، وَالْأَيْتَامِ، وَالنُّقَبَاءِ، وَالنُّجَبَاءِ وَالْمُخْتَصِّينَ وَالْمُخْلِصِينَ، وَالْمُمْتَحَنِينَ، وَسَائِرِ أَهْلِ الْمَرَاتِبِ السُّفْلِيَّةِ

أَيْضًا مَعَ عَالَمِ الْمَزَاجِ مِنْ أَهْلِ الْإِقْرَارِ^(١)، لِأَنَّهُ قَالَ فِي كِتَابِهِ الْحَكِيمِ:
 ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾^(٢).

١٤١

وَاعْلَمْ يَا مُفَضَّلُ، أَنَّ الدَّرَجَاتِ هِيَ صِرَاطُ مُسْتَقِيمٍ، وَمَسْلَكُ
 وَمَطْلَبُ الْعَارِفِينَ، فَإِذَا طَلَبَ الرَّائِبُ الْمُرِيدُ الزِّيَادَةَ مِنْ تِلْكَ
 الْمَعْرِفَةِ الْحَقِيقِيَّةِ، وَقَصَدَ إِلَى مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ فَوْقَهُ فِي الْعِلْمِ، وَأَرْفَعُ فِي
 الْمَنْزِلَةِ فَسَمِعَ مِنْهُ، وَأَخَذَ عَنْهُ، صَارَ فِي مَنْزِلَةِ الْمُتَلَقِّي إِلَيْهِ، وَفِي الدَّرَجَةِ
 مَعَهُ وَكَانَ لِذَلِكَ الْمُتَلَقِّي إِلَيْهِ الْعِلْمَ وَالْمُعْطَى لَهُ الْمَعْرِفَةَ، عِنْدَ مَوْلَاهُ
 جَزَاءً كَبِيرٌ، وَعَطَاءٌ عَظِيمٌ عَلَى فِعْلِهِ ذَلِكَ، وَنُصْحِهِ لِلطَّالِبِ، الَّذِي
 بَلَغَهُ^(٣) إِلَى مَحَلِّهِ، وَسَاوَاهُ فِي عِلْمِهِ، فَيَرْفَعُهُ مَوْلَاهُ بِذَلِكَ إِلَى الْمَنَازِلِ
 الْعَالِيَةِ الرَّفِيعَةِ السَّنِيَّةِ وَهَكَذَا، تَجْرِي النِّعْمَةُ مِنَ اللَّهِ عَلَى أَوْلِيَائِهِ، مَا
 دَامُوا كَذَلِكَ، لَا يَبْخُلُونَ بِمَا عِنْدَهُمْ مِنْ عُلُومِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، عَلَى
 إِخْوَانِهِمُ الطَّالِبِينَ الْمُقَرَّرِينَ بِالتَّوْحِيدِ.

^١ في نسخة أخرى: مع عالم المزاج والإقرار.

^٢ الزخرف. الآية ٣٢

^٣ في نسخة أخرى: بلغ.

وَكُلَّمَا كَشَفَ لِدَلِكِ الطَّالِبِ الرَّاعِبِ عِلْمًا، وَأَلْقَى إِلَيْهِ شَيْئًا مِنْ تَوْحِيدِ
 اللَّهِ، قَوِيَ بِهِ عَزْمُهُ، وَزَادَتْ رُتْبَةُ الْآخِذِ وَالْمَأْخُودِ عَنْهُ، فَإِنْ اقْتَنَعَ
 ذَلِكَ الطَّالِبُ بِمَا سَمِعَهُ أَوَّلًا، وَلَمْ يَطْلُبِ الزِّيَادَةَ مِنْهُ، وَلَمْ يَسْأَلْ عَنْ
 بَاطِنِهِ فَهُوَ مَوْقُوفٌ أَبَدًا عِنْدَ تِلْكَ الْمَنْزِلَةِ الْأُولَى، لَا يُزَالُ عَنْهَا وَلَا
 يَرْتَقِي إِلَى غَيْرِهَا، بَلْ هُوَ بِحَالِهِ، وَبِمَنْزِلَتِهِ فِي الْهَيَاكِلِ الْبَشَرِيَّةِ، الَّتِي
 يُعَانِي فِيهَا الشَّقَاءَ وَالتَّعَبَ، فَإِنْ وُقِّقَ إِلَى مَنْ يَبْدُوهُ، وَيُنْعِمُ عَلَيْهِ
 بِالزِّيَادَةِ مِنَ النِّعْمَةِ الَّتِي أَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ لَهُ حُظُّ الطَّالِبِ
 الْمُرِيدِ، عَلَتْ دَرَجَتُهُ وَكَانَ لِلْمُتَفَضِّلِ عَلَى ذَلِكَ الْمُتَشَاوِلِ عَنِ الطَّلَبِ
 فَضْلٌ لِسَعْيِهِ بِإِعْلَاءِ دَرَجَتِهِ وَطَلَبِهِ لَهُ التَّوْفِيقَ لِلِاجْتِهَادِ، وَإِنَّهُ فِي مِثْلِ
 ذَلِكَ يَكُونُ سَاعِيًا، وَقَدْ قِيلَ: السَّاعِي بِالْخَيْرِ كَفَاعِلِهِ، فَطُوبَى يَا
 مُفَضِّلُ، لِمَنْ أَنْزَلَهُ مَوْلَاهُ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ، وَأَهَّلَهُ لِهَذِهِ الْحَالَةِ.

بَابُ مَعْرِفَةِ الْقُمْصَانِ النَّيِّرَةِ وَالْمُظْلِمَةِ

وَاعْلَمْ يَا مُفَضَّلُ، أَنَّهُ إِذَا كَانَتْ مَنَازِلُهُمْ دَرَجًا، فَلَا تَسْتَوِي
 دَرَجَتَانِ اثْنَتَانِ فِي الْعِلْمِ، بَلْ إِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي دَرَجَةٍ، وَمَنْزِلَةٍ
 وَمَقَامٍ مِنَ الْعِلْمِ، وَكَذَلِكَ هَيَاكِلُهُمُ الَّتِي يُنْقَلُونَ إِلَيْهَا، وَالْقُمْصَانُ الَّتِي
 يَنْزِعُونَهَا، وَذَلِكَ يَا مُفَضَّلُ، أَنَّهُ لَا يَزَالُ ذَلِكَ الشَّخْصُ فِي تِلْكَ الدَّرَجَةِ
 وَهُوَ فِي قَمِيصِهِ وَهَيْكَلِهِ، فَإِذَا رَقِيَ إِلَى مَنْزِلَةٍ أَعْلَى مِنَ الَّتِي كَانَ فِيهَا
 لَبَسَ قَمِيصًا أَشْفَ، وَأَصْفَى، وَأَحْسَنَ مِنَ الْقَمِيصِ الَّذِي نَزَعَ عَنْهُ،
 وَيَكُونُ ذَلِكَ مِنْهُ، بِحَسَبِ الدَّرَجَةِ الَّتِي رَقِيَ إِلَيْهَا وَإِنْ كَانَ مِمَّنْ قَدْ
 جَنَى وَأَذْنَبَ وَشَكَّ، وَارْتَابَ، وَزَاغَ، وَالتَّبَسَّ عَلَيْهِ، اسْتَوْجَبَ بِذَلِكَ أَنْ
 يَنْحَطَّ عَنْهَا^(١)، وَيَنْزِعَ ذَلِكَ الْقَمِيصَ، وَيَلْبَسَ قَمِيصًا أَكْدَرَ، وَأَظْلَمَ،
 وَأَذْنَى مِنَ الْقَمِيصِ الَّذِي نَزَعَ عَنْهُ.

وَاعْلَمْ يَا مُفَضَّلُ، أَنَّ هَذِهِ الْقُمْصَانَ الَّتِي نَزَعَهَا^(٢) الْعَارِفُونَ
 وَالْجَاهِدُونَ، وَالْهَيَاكِلَ الَّتِي تُوجَدُ لَهُمْ فِي الْبَشَرِيَّةِ، هِيَ بِمَنْزِلَةِ سَوَاءٍ

^(١) في نسخة أخرى: ينحط عنه، والأصوب: ينحط عنها، أي عن الدرجة التي كان فيها.
^(٢) في نسخة أخرى: نزعوها.



١٤٤

مِنْ حَيْثُ أَنَّهَا تُعَانِي الشَّقَاءَ وَالتَّعَبَ، وَتُؤَارَى فِي الثَّرَى، وَتَأْتِي عَلَيْهَا
الدُّهُورُ وَالْأَزْمِنَةُ، وَيَكُونُ لَهَا هَوْلٌ، وَبَعْثٌ، وَنُشُورٌ، وَحِسَابٌ، وَجَزَاءٌ،
وَهُمْ بِذَلِكَ صَادِقُونَ فِي ظَنِّهِمْ وَدَعْوَاهُمْ، إِلَّا أَنَّهُمْ عَمُوا عَنْ مَعْرِفَتِهِ،
وَلَا يَعْرِفُهُ إِلَّا الْقَلِيلُ مِنْ أَهْلِ الصَّفَا، وَالْمَنَازِلِ، وَاللَّارِجِ.

بَابُ مَعْرِفَةِ الْهَيَاكِلِ

اَعْلَمْ يَا مُفَضَّلُ، أَنَّ هَيَاكِلَ الْعَارِفِينَ وَالْمُخَالِفِينَ، وَهَيَاكِلَ
 أَصْحَابِ الْمَرَاتِبِ وَالدرَجِ، إِذَا أُودِعَتِ الثَّرَى، يُرِيهِمُ الْمَوْلَى أَنَّ هَيَاكِلَ
 الْمَقَامَاتِ الَّتِي ظَهَرَ بِهَا الْمَعْنَى وَالِاسْمُ وَالْبَابُ، تُضَافُ إِلَيْهَا ^(١) وَيُرِيهِمُ
 أَنَّهَا تَحُلُّ مَحَلًّا وَاحِدًا مَعَ هَيَاكِلِ الشَّيَاطِينِ وَالْأَبَالِسَةِ، مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى
 وَحُرٍّ وَعَبْدٍ وَأَسْوَدَ وَأَبْيَضَ، وَعَرَبِيٍّ وَعَجَمِيٍّ، وَرُومِيٍّ وَنَبَطِيٍّ، وَهَاشِمِيٍّ
 النَّسَبِ وَطَالِبِيٍّ الْحَسَبِ ^(٢) تَحُلُّ هَذِهِ الْهَيَاكِلُ كُلُّهَا مَحَلًّا وَاحِدًا، وَيُصْنَعُ
 بِهَا صُنْعًا وَاحِدًا، وَيَجْرِي عَلَيْهَا جَمِيعُهَا مَا يَجْرِي عَلَى صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا
 عَدْلًا مِنْ مَوْلَاكَ، وَإِنْصَافًا، وَإِقَامَةً قِسْطٍ، وَصِرَاطًا مُسْتَقِيمًا.

وَاعْلَمْ يَا مُفَضَّلُ، أَنَّ هَذِهِ الْهَيَاكِلَ إِذَا أُودِعَتِ الثَّرَى، وَصُنِعَ بِهَا
 مَا صُنِعَ بِهَا، صَحَّ عِنْدَ هَذَا الْعَالَمِ أَنَّهَا قَدْ هَلَكَتْ؛ فَإِنَّهَا غَيْرُ هَالِكَةٍ
 وَإِنَّمَا مَثَلُهَا كَمَثَلِ بَذَارٍ يُزْرَعُ، فَيَزِيدُ وَيَنْقُصُ، وَإِنَّهُ إِذَا مَضَتْ عَلَيْهِ

^(١) في نسخة أخرى: أنه إذا أودعت الثرى هذه الهياكل، هياكل العارفين والمخالفين وهياكل أصحاب المراتب والدرج يريهم المولى أنها تضاف إليها هياكل المقامات". وفي نسخة أخرى: "أنه إذا أودعت هذه الهياكل هياكل العارفين والمخالفين أيضا نعم يا مفضل وهياكل أصحاب المراتب والدرج ويريههم المولى أنه يضاف إليها هياكل المقامات".
^(٢) في نسخة أخرى: النسب.

الْمُدَّةُ الَّتِي قَدْ أَلْزَمَهُ اللَّهُ إِيَّاهَا، يَسْتَوْجِبُ أَنْ يَطْلُعَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ
 وَتَكُونَ فِيهِ مَنَافِعُ لِلْبَشَرِ: مِنْ أَغْذِيَةٍ، وَأَدْوِيَةٍ، وَأَعْنَابٍ، وَغَيْرِهَا مِنْ
 الثَّمَرَاتِ فَيَكُونُ مِنْ أَهْلِ هَيَاكِلِ الْمَرَاتِبِ، مِمَّنْ قَارَبَ مِنْهُمْ الصِّفَا:
 الِيلَنْجُوجَاتُ^(١) وَالْعَنْبَرُ، وَالطَّيْبُ، وَالرِّيَّاحِينُ، وَالْعَبَاهِرُ^(٢) بِأَجْنَاسِ
 وَصُنُوفٍ شَتَّى، وَيَكُونُ مِنْ هَيَاكِلِ الْأَضْدَادِ الْمَلَاعِينِ الرَّجْسِينَ
 السُّمُومِ الْقَاتِلَةِ، وَالْأَنْوَاعِ الْمَكْرُوهَةِ، مِنَ الدَّفْلِ، وَالْعَلَقِمِ، وَالصَّبْرِ
 وَالْمَرِّ وَالْحَنْظَلِ، وَالسَّلْبِ^(٣)، وَالْحَسَكِ^(٤)، وَالْعَوْسَجِ^(٥) وَكُلُّ نَبَاتٍ يَكُونُ
 مَنَظَرُهُ حَسَنًا، وَمَذَاقُهُ مَكْرُوهًا، وَرَائِحَتُهُ خَبِيثَةً، فَذَلِكَ مِنْ جِنْسِ مَا
 تَعْقِبُهُ هَيَاكِلُ الْأَضْدَادِ فِي الْمَنْظَرِ، وَإِنْ كَانَ لَهُ رَوْعَةٌ وَجَمَالٌ فَهُوَ بِمَعْنَى
 مَا يُظْهِرُونَهُ ظَاهِرًا، مِنَ الْمَكْرِ وَالْخِدَاعِ، وَالرِّيَاءِ، وَالْعَفَافِ وَالشَّفَقَةِ
 وَلَيْنِ الْجَانِبِ، وَالتَّوَاضُّعِ، وَالسَّكِينَةِ، وَالشُّكْرِ، وَالتَّعَبُّدِ وَالزُّهْدِ، وَالْوَرَعِ
 وَالْقَنَاعَةِ^(٦) فَإِذَا اخْتَبَرَ ذَلِكَ مِنْهُمْ، وَكُشِفَ عَنْهُ وَجِدَ كُلُّهُ مَكْرًا، وَرِيَاءً
 وَاغْتِيَالًا، وَخِدَاعًا، وَحِيلَةً فَكَمَا تَعَاَفُ النَّفْسُ مَنْ يَكُونُ بِهِذِهِ

^(١) الِيلَنْجُوجُ وَالِيلَنْجُوجُ: عود جيد.

^(٢) والعبهر: النرجس.

^(٣) في نسخة أخرى: السبلى. وفي نسخة أخرى: السلبين. والأصح السَّلْبُ: الذي هو صَرْبٌ من الشجر ينبُثُ مُتَنَاسِقًا.

^(٤) نبات له ثمرة خشنة.

^(٥) شجر من شجر الشوك.

^(٦) في نسخة أخرى: والقنوع. وفي نسخة أخرى: القناعة وهو الألبق في السياق.

الْحَالَةَ كَذَلِكَ تَعَاْفُهُ إِذَا صَارَ بِمَعْنَى ذَلِكَ النَّبَاتِ الْمَكْرُوهِ وَذَلِكَ أَنَّ
 الْإِنْسَانَ يَرَى ثَمَرَةً، فَيَشْتَهِيهَا لِمَا يَرَاهُ مِنْ حُسْنِهَا وَبَهَائِهَا وَرُبَّمَا
 تَدْعُوهُ نَفْسُهُ إِلَى أَنْ يَقْطِفَهَا، فَإِذَا قَطَفَهَا وَاخْتَبَرَهَا بِالدُّوقِ ^(١) وَالرَّائِحَةِ
 وَجَدَهَا بِخِلَافِ ذَلِكَ، مِنَ الْكَرَاهَةِ وَالتَّنِي ^(٢)، فَيَرْمِي بِهَا مِنْ يَدِهِ
 وَيَبْصُقُ عَلَيْهَا وَيَلْعَنُهَا، وَيَلْعَنُ مَا أَشْبَهَهَا.

وَكَذَلِكَ يَا مُفَضَّلُ، يَجْرِي أَمْرُهُ وَهُوَ فِي الْبَشَرِيَّةِ بَيْنَ هَذَا الْعَالَمِ
 فَقَدْ تَرَى مِنْهُمْ تِلْكَ الظَّوَاهِرَ الْجَمِيلَةَ، فَإِذَا اخْتَبَرْتَهُمْ، وَجَدْتَهُمْ
 بِخِلَافِ ذَلِكَ مِنَ الْمَكْرِ، وَالْخِدَاعِ، وَالرِّيَاءِ، فَيَبْغِضُونَ، وَيَشْتُمُونَ،
 وَيَلْعَنُونَ فَهَذَا مَا يَعْقُبُ مِنْهُمْ مِنْ هَذِهِ الْمَكْرُوهَاتِ، وَهِيَ مَلْعُونَةٌ فِي
 الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ، لِأَنَّهَا السُّمُومُ الْقَاتِلَةُ ^(٣) الَّتِي يُتْلَفُ بِهَا الْوَلِيُّ وَالْعَدُوُّ
 وَهِيَ مَا تَعْقُبُهُ هَيَاكِلُ الْأَضْدَادِ الْجَبَابِرَةِ الَّذِينَ قَامُوا مَقَامَ مَوْلَاكَ أَمِيرِ
 الْمُؤْمِنِينَ وَتَسَمَّوْا بِاسْمِهِ، وَشَارَكُوهُ بِهِ، وَأَضَلُّوا عَنْهُ الْعَالَمَ، وَكَانُوا أَدْلَاءَ
 لَهُمْ إِلَى الْكُفْرِ وَالْجُحُودِ، فَأَجَابُوا دَعْوَتَهُمْ، وَكَانُوا هُمْ سَبَبًا لِإِتْلَافِهِمْ فِي

^١ في نسخة أخرى: بالتذوق.
^٢ في نسخة أخرى: المنتنة.
^٣ في نسخة توجد زيادة "وقد شرحت لك يا مفضل في خطاب سلف حال السموم القاتلة" التي.

الْبَشَرِيَّةَ، ثُمَّ صَارُوا إِلَى الْمُسُوخِيَّةِ الَّتِي تَأْتِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَإِنَّ مِنْ
 الْهَيَاكِلِ مَا يَفْضُلُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ، فِي الشَّدَّةِ، وَالْقُوَّةِ، وَالْعُتُوِّ، وَالْهَيْبَةِ
 وَلَهُمْ فِيهَا رُتَبٌ وَدَرَجَاتٌ فِي الْكُفْرِ وَالْإِقْرَارِ أَيْضًا.

وَاعْلَمْ يَا مُفَضَّلُ، أَنَّ كُلَّ هَيْكَلٍ تَرَاهُ فِي الْمُسُوخِيَّاتِ، فِي الْأَجْنَاسِ
 الَّتِي شَرَحْتُهَا لَكَ، مِنَ الْبَهَائِمِ، وَالْهَوَامِّ، وَالطَّيْرِ، وَالذَّبِيبِ، وَغَيْرِهَا مِنْ
 الْأَجْنَاسِ، تَحُلُّ مَحَلَّ الْهَيَاكِلِ الْبَشَرِيَّةِ، وَيَجْرِي عَلَيْهَا مَا يَجْرِي عَلَى
 الْبَشَرِ، مِنَ الْمَوْتِ، وَالْقَتْلِ، وَالْحَرْقِ، وَالْغَرَقِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَأَنَا أَفْسِّرُ وَأُشْرِحُ لَكَ ذَلِكَ عَمَّا يَسْكُنُ فِي الْمِيَاهِ، وَالْبَرَاري
 وَالْجِبَالِ، مِمَّا يَسْعَى عَلَى بَطْنِهِ، وَمِمَّا يَسْعَى عَلَى أَرْبَعٍ، وَعَنْ مَعَانِي
 صُورِهَا فَكُنْ لِدَلِيلِكَ سَامِعًا، وَاعِيًا، وَافْهَمُهُ، تَقَرُّ بِمَعْرِفَتِهِ عَيْنَاكَ
 وَعَلَيْكَ إِبْلَاغُ مَا أُلْقِيَهُ إِلَيْكَ إِلَى أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ وَالْإِقْرَارِ بِالتَّوْحِيدِ
 فَاحْمَدُ مَوْلَاكَ عَلَى مَعْرِفَتِهِ وَتَوْفِيقِهِ لَكَ، وَاسْأَلْهُ أَنْ يُوفِّقَ أَهْلَ الْقَبُولِ
 وَالْإِجَابَةِ إِلَى الثَّبَاتِ عَلَيْهِ وَالْإِقْرَارِ بِهِ.

وَاعْلَمْ يَا مُفَضَّلُ، أَنَّ مَوْلَاكَ أَكْمَلَ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقًا، وَاتَّقَنَهُ صُنْعًا
 وَحَكَمَ بِهِ عَدْلًا، وَوَسَّعَهُ وَأَحْصَاهُ عِلْمًا وَعَدَدًا، ثُمَّ أَجْرَاهُ فِي خَلْقِهِ
 بِالسَّوِيَّةِ وَحَكَمَ فِيهِمْ حُكْمًا وَاحِدًا، يَجْرِي فِي الْعَالَمِ التُّورَانِيِّ وَالْعَالَمِ
 الظُّلُمِيِّ لِتَكُونَ الْحُجَّةُ مُؤَكَّدَةً، وَالْقُدْرَةُ نَافِذَةً بِإِرَادَتِهِ، فَمِنْ ذَلِكَ مَا
 قَدَّمْتُ لَكَ شَرْحَهُ، وَسَأَلْتُكَ كِتْمَانَهُ إِلَّا عَنْ أَهْلِهِ.

البَشَرُ الْمَنْسُوبُونَ إِلَى الْمَعْنَى:

وَاعْلَمْ يَا مُفَضَّلُ، أَنَّ الْبَشَرَ الْمَنْسُوبِينَ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى، الَّذِينَ
 تَقَمَّصُوا هَذَا الْقَمِيصَ، وَرَضُوا بِأَنْ يُقَالَ فِيهِمْ أَنَّهُمْ مِنْ وَلَدِهِ وَيُدْعَوْنَ
 بِهِ، وَإِذَا نُسِبُوا بِهَذِهِ النَّسْبَةِ، افْتَخَرُوا، وَسَمَوْا بِهَا عَلَى الْعَالَمِ، وَذَلِكَ أَنَّ
 مَوْلَاهُمْ كَانَ قَدْ أَنْحَلَهُمْ ذَلِكَ نِحْلَةً لَمَّا ظَهَرَ فِيهِمْ، وَأَظْهَرَهُمْ مِنْهُ، وَكَانَ
 ذَلِكَ الْفِعْلُ سَابِقًا لَهُمْ لِعَمَلٍ اسْتَوْجَبُوا بِهِ ذَلِكَ، فَأَعْطَاهُمْ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ
 الرَّفِيعَةَ الْعَالِيَةَ فِي الْعَالَمِ، وَأَحَلَّهُمُ الْمَحَلَّ الْجَلِيلَ، إِلَّا عِنْدَ الْعَارِفِينَ
 الْمُوَحِّدِينَ، فَإِنَّهُمْ يَعْرِفُونَ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ عَلَى ضَلَالَةٍ فِي ادِّعَائِهِمْ
 بِتِلْكَ النَّسْبَةِ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ فِي ظَاهِرِ الْأَمْرِ إِذَا رَأَوْهُمْ، لَزِمَهُمْ إِجْلَالُهُمْ

وَتَعْظِيمُهُمْ، وَإِنْ كَانُوا عَارِفِينَ بِبَاطِلِهِمْ وَدَعَوَاهُمْ، لِأَنَّهُمْ إِذَا عَايَنُوهُمْ
 وَنَظَرُوا إِلَى مَوَاقِعِ الْإِسْمِ وَالنَّسَبَةِ، عَظَّمُوا الْمَعْنَى، وَنَزَّهُوا عَنْ ادِّعَائِهِمْ
 وَقَدْ قَالَ اللَّهُ مُخْبِرًا عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ
 اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ (١)

فَقَوْلُهُ: ﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾، أَوْ كَدُ دَلِيلٍ عَلَى أَنَّهُ يُلْزِمُهُمْ
 وَيُجْرِي عَلَيْهِمْ مَا يُجْرِي عَلَى الْبَشَرِيَّةِ فِي الثَّقَلَةِ وَالْكَرَّةِ، لِأَنَّهُ بَيَّنَّ لَهُمْ
 أَنَّهُمْ يَنْزِلُونَ الطَّبَقَاتِ بَعْدَ الطَّبَقَاتِ.

الَّذِينَ ادَّعَوْا نِسْبَةَ الْمِيمِ:

وَاعْلَمْ يَا مُفَضَّلُ، أَنَّ الَّذِينَ ادَّعَوْا نِسْبَةَ الْمِيمِ، يَحُلُّونَ غَيْرَ مَحَلِّ
 الَّذِينَ ادَّعَوْا نِسْبَةَ الْعَيْنِ، وَذَلِكَ أَنَّ نِسْبَةَ الْمِيمِ، تَرْجِعُ إِلَى نِسْبَةِ الْعَيْنِ
 إِذْ قِيلَ: ابْنُ عَمِّهِ، وَنِسْبَةُ الْعَيْنِ هِيَ حَقِيقَةُ بِدَايَتِهَا، وَإِنَّ مَنْ كَانَ
 يُنْسَبُ إِلَى الْمِيمِ، إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ مَحَلَّهُ، وَتَرَى مَنْزِلَتَهُ فِي نُقْلَتِهِ

الَّتِي خَصَّهُ الْمَوْلَى بِهَا، فَانْظُرْ إِلَى الشَّهَارِيِّ ^(١) وَالْخَيْلِ الْعِتَاقِ الَّتِي لَهَا
 الْفَخْرُ وَالْخَطَرُ، وَالذَّكْرُ الرَّفِيعُ عِنْدَ مَالِكِهَا، فَهُمْ الْهَاشِمِيُّونَ الَّذِينَ
 فَخَرُوا بِمُحَمَّدٍ عَزَّ عِزُّهُ.

وَهَذَا مَوْجُودٌ فِي الْعَالَمِ، مَعْرُوفٌ، مُعَايَنٌ عِنْدَ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ
 وَالتَّوْحِيدِ وَهُمْ فِي ذَلِكَ، عَلَى مَرَاتِبَ وَمَنَازِلَ، يَفْضُلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ
 فِي الْمَنْظَرِ وَالْمَخْبَرِ، وَالتَّنَافُسِ فِيهَا، وَهِيَ صُنُوفٌ، وَضُرُوبٌ، وَأَجْنَاسٌ
 كَمَا أَنَّ أَهْلَ النَّسَبَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ يَفْخَرُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَيَرْتَفِعُ
 بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ، كَذَلِكَ يَكُونُ فِي كُلِّ مَحَلٍّ يَحُلُّوهُ.

الْخَيْلُ:

وَاعْلَمْ يَا مُفَضَّلُ، أَنَّ طَائِفَةً مِنْهُمْ تَحُلُّ فِي مِيَاهِ الْبَحَارِ ^(٢) وَقَدْ
 ذَكَرُوا وَرَوَوْا عَنْ ثِقَاتِهِمْ، أَنَّ الْخَيْلَ بَدُوْهَا مِنَ الْبَحْرِ، وَمِنْهُ خَرَجَتْ
 إِلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، وَأَنَّ فِي الْبَحْرِ مِثْلَهَا مِمَّا يُعَايَنُ وَيُبْصَرُ، وَقَدْ رَوَتْ

^١ الأنثى من البراذين والقَرْسِ العتيق والجمعُ الشهاري. (تاج العروس).
^٢ في نسخة أخرى: البحر.

طَائِفَةٌ أَنَّهُمَا مَرْكُوبُ الشَّيَاطِينِ، وَفِي الْبَحَارِ مِنْ أَجْنَاسِهَا مِثْلُ الدَّلْفَيْنِ
 وَالسُّلْحَفَى ^(١)، وَالتَّمْسَاحِ، وَالْكُوسَجِ ^(٢)، وَالْقِرْشِ، وَالدَّلَقِ ^(٣)، وَمَا يُشَاكِلُ
 ذَلِكَ وَيُجَانِسُهُ، وَهِيَ أَصْنَافٌ كَثِيرَةٌ فَهَذِهِ كُلُّهَا رُتَبُ الْمُدَّعِينَ بِالنِّسْبَةِ
 الْهَاشِمِيَّةِ، الَّذِينَ فَخَرُوا فِيهَا بِمُحَمَّدٍ عَزَّ عِزُّهُ، وَصِفَاتُهُمْ فِيهَا شَتَّى
 يَنْزِلُونَهَا وَيَحُلُّونَهَا فِي دَقِيقٍ، وَجَلِيلٍ، وَقَوِيٍّ، وَضَعِيفٍ.

الْمُدَّعُونَ بِالنِّسْبَةِ الْعَلَوِيَّةِ، الْحَمَامُ الرَّاعِيُّ:

وَأَمَّا مَا كَانَ مِنْ أَجْنَاسٍ وَرُتَبٍ الْمُدَّعِينَ بِالنِّسْبَةِ الْعَلَوِيَّةِ، فَهُمْ
 الْحَمَامُ الرَّاعِيُّ ^(٤) الْمَحْبُوبُ، وَمَا كَانَ مِنَ الْحَمَامِ مِنْ صُنُوفِهِ، مِثْلُ
 الْوَرَشَانِ ^(٥)، وَالْفَصِيحِ مِنَ الطَّيْرِ الَّذِي يَتَحَدَّثُ وَيُجَاوِبُ، وَمَا كَانَ مِنْهَا
 مَحَلُّهُ فِي الْمِيَاهِ، فَهُوَ مَعْرُوفُ الشَّخْصِ، وَهُوَ يَقْرُبُ فِي الْفِعْلِ وَالْحَرَكَةِ
 إِلَى الطَّيْرِ، وَيَجْرِي عَلَيْهِ مَا يَجْرِي عَلَى الطَّيْرِ مِثْلًا بِمِثْلِ، وَأَنَّهَا فِي مِيَاهِ

^١ في نسخة أخرى: السلحفي. وفي نسخة: السلحفاة. وفي نسخة: السلحف. لذلك استخدمنا السلحف في النص لقربها من المعنى.
^٢ الذي لا شعر على عارضيه والناقص الأسنان والبطيء من البراذين، وسمكة بحرية كبيرة.
^٣ في نسخة أخرى: الدق. الدَلَقُ محرَّكةٌ: دَوْبِيَّةٌ كَالسَّمُورِ مُعَرَّجَةٌ ذَلَّةً بِالْفَارِسِيَّةِ. الدَّلَقُ: دَوْبِيَّةٌ نَحْوُ الْهَرَّةِ طَوِيلَةُ الظَّهْرِ يُعْمَلُ مِنْهَا الْفُرُ. معاجم
^٤ في نسخة أخرى: الراغي.
^٥ طَائِرٌ شَبَهُ الْحَمَامِ وَهُوَ سَاقٌ خَرٍ وَهُوَ مِنَ الْوَحْشِيَّاتِ.

الْبَحَارِ وَالْأَنْهَارِ: السَّمَكُ، وَالشَّبُوطُ، وَالزَّجَرُ^(١)، وَالْبَنِي^(٢)، وَكُلُّ جِنْسٍ
 حَسَنِ الْمَنْظَرِ، شَهِي الدَّوْقِ وَالطَّعْمِ، وَإِنَّهَا تَمْلِكُ نَفْسَهَا فِي الْمِيَاهِ
 فَتَسْرَحُ حَيْثُ تَشَاءُ، وَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى صَيْدِهَا إِلَّا بِالْحِيلَةِ عَلَيْهَا
 وَكَذَلِكَ الْحَمَامُ، وَغَيْرُهُ مِنْ أَصْنَافِ الطُّيُورِ، تَمْلِكُ نَفْسَهَا بِأَجْنِحَتِهَا
 فَتَسْلُكُ حَيْثُ تَشَاءُ، وَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى صَيْدِهَا إِلَّا بِالْحِيلَةِ عَلَيْهَا
 فَالْفِعْلُ جَارٍ عَلَيْهَا فِي الْحَالَيْنِ مَجْرَى وَاحِدًا وَمِنْهَا مَا لَهُ رُتَبٌ وَمَنَازِلُ
 وَصُنُوفٌ، وَضُرُوبٌ، وَنُصُوصٌ تَنْصُ عَلَيْهَا، وَيُخْتَارُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ
 وَيُفْضَلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، كَمَا يُفْضَلُ أَهْلُ الظَّاهِرِ وُلَدَ الْحُسَيْنِ عَلَى
 وُلَدِ الْحَسَنِ، وَوُلَدَ الْحَسَنِ عَلَى وُلَدِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ، وَوُلَدَ مُحَمَّدِ بْنِ
 الْحَنَفِيَّةِ عَلَى وُلَدِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَلِيٍّ، وَوُلَدَ الْعَبَّاسِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَى وُلَدِ عُمَرَ بْنِ
 عَلِيٍّ، وَوُلَدَ جَعْفَرٍ عَلَى وُلَدِ عَقِيلٍ، وَهَكَذَا أَنْظُرْ مَا شَرَحْتُهُ وَكَشَفْتُهُ لَكَ
 فَلَا تَبْحُ بِهِ إِلَى أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الظَّاهِرِ، فَإِنَّهُ إِذَا بَلَغَهُمْ ذَلِكَ عَنْكَ
 اسْتَحَلُّوا دَمَكَ، وَإِنْ كُنْتَ تُظْهِرُ لَهُمْ أَنَّكَ مَوْلَاهُمْ، لِأَنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ
 ذَلِكَ مَعَهُمْ، فَهِمُوا أَنَّكَ أَبْطَلْتَ نَسَبَهُمْ، وَأَدْحَضْتَ شَرَفَهُمْ، وَأَخْمَلْتَ

^١ جنس أسماك من فصيلة البهاريات.

^٢ نوع من السمك العظمي، ينتمي إلى فصيلة الشبوطية.



ذَكَرَهُمْ، وَنَزَعَتْ عَنْهُمْ تَاجَهُمْ، وَجَعَلَتْهُمْ أَدْعِيَاءَ، فَاحْفَظْ مَا أَوْصِيكَ
 بِهِ، وَأَمَّا مَا كَانَ فِي الْمِيَاهِ مِنْ نَوْعٍ آخَرَ، مِثْلُ: الْجَرِّيِّ، وَالزَّمِيرِ ^(١)
 وَالشَّلْبَةِ ^(٢) وَالسَّرَاطِينِ وَغَيْرَهَا مِمَّا يُجَانِسُ مَا ذَكَرْتُهُ، فَهِيَ مِنْ أَجْنَاسِ
 الْعَالَمِ الْمَنَكُوسِ، وَهِيَ مَذْمُومَةٌ فِي الْبَشَرِيَّةِ، وَالْمُسُوخِيَّةِ، وَالظَّاهِرِ
 وَالْبَاطِنِ وَمَكْرُوهَةٌ تَعَافُهَا الْأَنْفُسُ وَلَا يَأْنَسُ إِلَيْهَا أَحَدٌ، وَأَنَا أَنْهَاكَ
 عَنْهَا وَآتَقَدَّمُ إِلَيْكَ أَنْ تَتَقَدَّمَ إِلَى سَائِرِ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ وَالْإِقْرَارِ بِذَلِكَ
 وَتَنْهَاهُمْ عَنْهُ، وَتَشْرَحَ لَهُمْ مَا شَرَحْتُهُ لَكَ وَتُوصِيَهُمْ بِمَا أَوْصَيْتَكَ بِهِ
 وَعَرَّفَهُمْ اسْتِعْمَالَ التَّقِيَّةِ، وَالْكِتْمَانِ، وَالسِّرِّ فَهَذَا أَصْلُ الدِّينِ، وَقُطْبُهُ
 وَفَرْعُهُ.

الْعِبَادَةُ سِرًّا:

وَاعْلَمْ يَا مُفَضَّلُ، أَنَّ اللَّهَ سِرٌّ، وَأَحَبُّ أَنْ يُعْبَدَ سِرًّا، وَمَعْنَى ذَلِكَ
 أَنَّ السِّرَّ لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ أَحَدٌ، وَلَا يَعْرِفُهُ الْبَشَرُ، وَكَذَلِكَ نَفْسُ
 الْإِنْسَانِ سِرٌّ، لِأَنَّ الْمَعْنَى أَسَرَّ ذَاتَهُ عَنِ الْعَالَمِ الْمَنَكُوسِ، وَأَحَبُّ

^١ سمكة جسمها ممدود شديد الانضغاط من الجانبين.
^٢ سمك عاشب يتغذى على الأعشاب والطحالب البحرية.

وَأَوْجَبَ أَنْ يُعْبَدَ سِرًّا، وَيُعْرَفَ سِرًّا بِكَيْفِيَّتِهِ، فَظَهَرَ بِالْبَشَرِيَّةِ
 وَأَوْجَدَ الْقُدْرَةَ لِيُعْرَفَ بِهَا، فَكَانَ لَا يَعْرِفُهُ إِلَّا مَنْ اصْطَفَاهُ بِمَعْرِفَتِهِ
 فَكَانَ ذَلِكَ هُوَ الْعِبَادَةُ سِرًّا، إِذْ عَرَفَهُ قَوْمٌ بِالْبَشَرِيَّةِ، وَعَرَفَهُ قَوْمٌ
 بِالِاخْتِصَاصِ، وَعَرَفَهُ قَوْمٌ آخَرُونَ بِالرُّبُوبِيَّةِ الْحَقِيقِيَّةِ، وَالشَّخْصِ
 بَيْنَهُمْ وَلَدَيْهِمْ، وَاحِدٌ لَا يَتَغَيَّرُ، وَلَا يَزُولُ.

مَعْرِفَةُ الْقُدْرَةِ:

وَأَمَّا مَعْرِفَةُ أَفْعَالِ الْقُدْرَةِ الَّتِي حَدَّثَ بِأَهْلِ الْمَعْرِفَةِ وَالتَّوْحِيدِ إِلَى
 الْإِقْرَارِ بِهِ، وَإِثْبَاتِ الْوُجُودِ لَهُ، فَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ عَلِمُوا بِأَنَّ الْقُدْرَةَ لَا
 تَكُونُ إِلَّا مِنَ الْقَادِرِ، وَأَنَّهَا لَا تَكُونُ مُسْتَعَارَةً، وَلَا مَوْهُوبَةً.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ، يَا مُفَضَّلُ: إِنَّا وَجَدْنَا مِنْ أَشْخَاصِ الْأَضْدَادِ مَنْ
 أَتَى بِالْقُدْرَةِ، وَاحْتَجَّ عَلَيْكَ بِأَنَّ فِرْعَوْنَ سَارَ بِمَسِيرِهِ نِيلَ مِصْرَ وَوَقَفَ
 بِوُقُوفِهِ، وَكَانَتْ تِلْكَ قُدْرَةً^(١)، أَوْ احْتَجَّ عَلَيْكَ بِأَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ

^(١) والقدرة لا تأتي إلا من القادر، وقد روى البحراني في كتابه مدينة المعاجز حقيقة هذه الحادثة عن جابر الأنصاري بعد حديث طويل أنه قال: فرأينا أمير المؤمنين وقد مسح بيده على وجهه (عمر)، ورأينا عمر يرتعد ويقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم!، ثم صاح ملء صوته: يا سارية الجبل الجبل، ثم لم يلبث إلى أن قبل صدر أمير المؤمنين ونزلا وهو ضاحك.

كَتَبَ وَهُوَ فِي الْحِجَازِ إِلَى نَيْلِ مِصْرَ خِرْقَةً، أَمَرَهُ فِيهَا بِأَنْ يَجْرِيَ فَجَرَى
 وَأَنْ يَسْكُنَ، فَسَكَنَ، وَكَانَتْ تِلْكَ قُدْرَةً أَيْضًا، وَأَنَّهُ نَادَى بِسَارِيَّةٍ وَهُوَ
 فِي خُرَاسَانَ وَقَدْ دَهَمَتْهُ خُيُولُ خُرَاسَانَ: يَا سَارِيَّةُ الْجَبَلَ الْجَبَلَ! فَلَمَّا
 لَجَأَ سَارِيَّةٌ وَمَنْ مَعَهُ إِلَى جَبَلٍ نَهَاوْنَدَ، نَجَا هُوَ وَمَنْ مَعَهُ.

وَرُوي عَنْ سَارِيَّةٍ أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ قَدْ أَشْرَفْتُ أَنَا وَأَصْحَابِي عَلَى
 الْهَلَاكِ، فَنَادَانِي عُمَرُ وَهُوَ بِالْحِجَازِ، وَأَنَا بِنَهَاوْنَدَ: يَا سَارِيَّةُ، الْجَبَلَ
 الْجَبَلَ! فَوَقَعَ صَوْتُهُ فِي مَسْمَعِي، وَلَجَأْتُ أَنَا وَأَصْحَابِي إِلَى الْجَبَلِ، فَنَجَوْنَا
 وَكَانَتْ تِلْكَ قُدْرَةً.

هَذَا يَا مُفَضَّلُ، فِي الْقُبَّةِ الْهَاشِمِيَّةِ، وَفِي الظُّهُورَاتِ مِثْلُ ذَلِكَ
 كَثِيرٌ لَكِنَّ الْخَلْقَ الْمُنْكَوسَ عَمُوا عَنْ مَعْرِفَةِ ذَلِكَ وَحَقِيقَتِهِ، وَلَوْ
 تَيَقَّنُوا أَنَّ الْقُدْرَةَ لَا تَتَجَرَّأُ، وَلَا تَتَبَعَّضُ، وَلَا تَتَأَتَّى إِلَّا بِأَمْرِ مَنْ
 صَاحِبِ الْأَمْرِ يَأْمُرُ شَخْصًا مِنَ الْأَشْخَاصِ، وَلِيًّا أَوْ ضِدًّا، أَنْ يَفْعَلَ
 فِعْلًا، أَوْ يَأْتِيَ بِحَالٍ فَيُظْهِرَ ذَلِكَ الشَّخْصُ ذَلِكَ الْفِعْلَ بِأَمْرِ الْقَادِرِ
 فَيَقَعَ بِهِ الْعَيَانُ وَالْمُشَاهَدَةُ فَيُنْزِلُهُ أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ أَنَّهُ لِلْمَعْنَى الْقَادِرِ

وَيَرَاهُ أَهْلُ الْجُحُودِ بِجَهْلِهِمْ وَحَيْرَتِهِمْ، وَكُفْرِهِمْ، أَنَّهُ مِنْ فِعْلِ ذَلِكَ
 الشَّخْصِ وَإِرَادَتِهِ، لَا مِنْ أَمْرِ أَمْرٍ بِهِ وَبِفِعْلِهِ، وَهَكَذَا الْأَفْعَالُ الَّتِي
 جَرَتْ مِنَ الضَّدِّ، فَإِنَّ الْقَادِرَ يَأْمُرُ شَخْصًا، ضِدًّا كَانَ أَوْ وَلِيًّا، بِأَمْرِ
 فَيَقُولُهُ ذَلِكَ الشَّخْصُ، وَيُمْضِي الْقَادِرُ فِعْلَ الْقُدْرَةِ، فَلَا يُسْمَعُ مِنَ
 الضَّدِّ إِلَّا الْقَوْلُ: يَكُونُ كَذَا وَكَذَا وَيُمْضِي فِعْلَ الْقُدْرَةِ مِنَ الْقَادِرِ
 عَلَيْهَا، وَهُوَ الْمَعْنَى، وَلَا يَجْرِي هَذَا مِنْ ضِدِّ، إِلَّا عِنْدَ إِظْهَارِ الْقَادِرِ
 الْقُدْرَةَ، وَأَمْرِهِ لِلشَّخْصِ، وَلِيًّا كَانَ أَوْ ضِدًّا، بَأَنَّهُ يُظْهِرُ الْقَوْلَ فَقَطْ
 فَيَكُونُ الْقَوْلُ مِنْ ذَلِكَ الشَّخْصِ، بِأَمْرِ الْقَادِرِ، وَيُمْضِي الْقَادِرُ الْفِعْلَ
 بِقُدْرَتِهِ، فَبِهَذَا اخْتَجَّ عَلَى مَنْ يَدَّعِي أَنَّ لِلضَّدِّ قُدْرَةً، وَإِنَّهُ يَقْدِرُ أَنْ يَأْتِيَ
 بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِهِ بِغَيْرِ أَمْرِ الْقَادِرِ، وَكُلُّ مَا يَجْرِي
 مَجْرَى ذَلِكَ مِنَ الْأَفْعَالِ الْعَظِيمَةِ الْخَطِيرَةِ فِي كُلِّ عَصْرِ وَزَمَانٍ وَدَهْرٍ
 فَهِيَ بِأَمْرِ الْقَادِرِ.

وَمَنْ نَصَّ أَنَّ الْقُدْرَةَ الْجَارِيَةَ هِيَ لِلضَّدِّ، فَقَدْ عَبَدَهُ، وَجَعَلَهُ أَنَّهُ
 هُوَ الْقَادِرُ، فِي حِينٍ أَنَّ الْقَادِرَ هُوَ الَّذِي أَظْهَرَ عَلَى يَدِ الضَّدِّ هَذِهِ الْقُدْرَةَ

وَقَدْ بَيَّنَّ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا﴾^(١)

وَالْقَرْيَةُ، هِيَ الرِّجَالُ وَالْقَوْمُ الْمُجْتَمِعُونَ. كَمَا قَالَ: ﴿وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾^(٢) وَإِنَّمَا عَنَى بِذَلِكَ الرِّجَالَ وَالْجَمَاعَةَ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُمْ.

وَقَالَ: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرُ السَّوءِ﴾^(٣) وَالْقَرْيَةُ الْمَمْطُورَةُ، هِيَ الْقَوْمُ الَّذِينَ مُطِرُوا بِحِجَارَةٍ مِنْ سَجِيلٍ^(٤)، وَإِنَّ الْهَلَاكَ الَّذِي وَقَعَ بِتِلْكَ الْقَرْيَةِ، هُوَ بِالْأَمْرِ الَّذِي يَأْتِي بِهِ الْمُتْرَفُ، وَهُوَ الضَّدُّ وَذَلِكَ أَنَّ الْأَمْرَ الَّذِي يُظْهِرُهُ الشَّخْصُ، وَلِيًّا كَانَ أَمْ ضِدًّا، فَيَأْتِي بِقُدْرَةٍ هُوَ بِأَمْرِ مِنْ صَاحِبِ الْأَمْرِ وَالْقُدْرَةِ، لِأَنَّهُ لَا يَأْتِي بِالْقُدْرَةِ غَيْرُ الْقَادِرِ عَلَيْهَا، وَهُوَ الْمَعْنَى، وَأَنَّ جَمِيعَ مَا ظَهَرَ مِنَ الْأَفْعَالِ وَالْقُدَرِ، مِنْ مُحَمَّدٍ وَسَلْمَانَ، وَجَمِيعِ أَصْحَابِ الْمَرَاتِبِ وَالدرَجِ، إِذْ يُحْيُونَ، وَيُمِيتُونَ

^١ الاسراء. الآية ١٦
^٢ يوسف. الآية ٨٢
^٣ الفرقان. الآية ٤٠
^٤ الطين المتحجر أو المطبوخ.

وَيَخْلُقُونَ، وَيَرْزُقُونَ، وَيُنْشِئُونَ" فَالْفِعْلُ هُوَ لِلْمَعْنَى وَحْدَهُ^(١)، وَإِنَّمَا يَأْمُرُ الشَّخْصَ بِأَنْ يَفْعَلَ الْفِعْلَ، فَيَفْعَلُهُ عَنْ أَمْرِ الْمَعْنَى^(٢)، وَيُبَيِّنُ أَنَّ تِلْكَ الْأَشْخَاصَ مَأْمُورَةً بِذَلِكَ، قَوْلُهُ: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾^(٣)

وَقَوْلُهُ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾^(٤)

وَقَوْلُهُ: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٥)

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾^(٦)

وَقَوْلُهُ: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ﴾^(٧) وَذَكَرُ الْأَمْرِ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ، وَشَرَحُهُ وَاضِحٌ مُّوْجُودٌ، وَإِنَّمَا اسْتَحَقَّ الضَّدُّ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ، لِأَنَّهُ لَمَّا أُمِرَ بِالْقَوْلِ فَقَالَ، وَجَرَى الْفِعْلُ مِنَ الْقَادِرِ، لَمْ يُسَلِّمْ إِلَىٰ مَوْلَاهُ ذَلِكَ، بَلِ اتَّخَذَهُ لِنَفْسِهِ، وَلَبَسَ عَلَىٰ مَنْ سَمِعَهُ مِنْهُ، وَأَظْهَرَ أَنَّهُ لَهُ، لَيْسَ لِلْقَادِرِ الَّذِي أَمَرَهُ بِفِعْلِهِ، مَعَ أَنَّ الْقَادِرَ هُوَ الَّذِي أَمَضَاهُ، وَلِذَلِكَ، اسْتَوْجَبَ الْعَذَابَ

^١ وفي هذه شرحاً وافياً في كتاب الاسوس لمولانا الرضا جل جلاله: فإذا أراد الله أن يخسف بقرية أو يزلزلها أو يغرقها أو يدمرها يحل قدرته في ذلك الملك حتى يكون هو الذي يلي ذلك الفعل والجاهل يظن أن ذلك الفعل لذلك الملك ولا يدري أنه لربه جل وتقدس.

^٢ في نسخة أخرى: كالحياة والموت والخلق والرزق والنشأة فالفعل هو للمعنى وحده، وهو تعالى يأمر الشخص أن يفعل الفعل فيفعله بِأَمْرِ المعنى.

^٣ الكهف . الآية ٨٢

^٤ هود . الآية ٤٠

^٥ الزمر . الآية ١٢

^٦ النساء . الآية ٥٨

^٧ النحل . الآية ١

الْأَلِيمَ، وَالْخُلُودَ فِي دَارِ الْجَحِيمِ، وَإِنَّ أَهْلَ التَّوْحِيدِ الْمُحَقِّقِينَ، تَيَقَّنُوا
 وَعَلِمُوا أَنَّ الْفِعْلَ وَالْقُدْرَةَ لِلْقَادِرِ، وَأَنَّهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ذَلِكَ، وَلِذَلِكَ
 اسْتَحَقُّوا الْفَوْزَ وَالنَّعِيمَ.

ظُهُورُ الْمَوْلَى بِالْبَشَرِيَّةِ:

وَاعْلَمْ يَا مُفَضَّلُ، أَنَّ مَوْلَاكَ ظَهَرَ فِيمَا ظَهَرَ بِهِ، مِنْ التَّوَالِدِ
 وَالْمَصَاهِرَةِ، وَالْأَوْلَادِ، وَنَظَرُوهُ فِي حَالِ الطُّفُولِيَّةِ بِالْبَشَرِيَّةِ، كُلُّ ذَلِكَ
 إِيْنَسًا آنَسَ بِهِ الْخَلْقَ، وَإِنَّ كُلَّ مَا جَرَى عَلَيْهِ، مِنْ عَوَارِضِ الضَّرِّ
 وَالضَّيْمِ، وَالْمَرَضِ، وَالْقَتْلِ، وَالْمَوْتِ، وَغَيْرِهِ مِمَّا أَظْهَرَ أَنََّّهُ وَقَعَ بِهِ، هُوَ
 وَقَعَ بِالضَّدِّ، وَيُظَنُّهُ الْعَالَمُ الْمُنْكَوْسُ أَنََّّهُ وَقَعَ بِالْمَعْنَى، وَإِنَّمَا وَقَعَ
 بِالضَّدِّ مُجَازَاةً لَهُ عَلَى جُحُودِهِ، حِينَمَا أَوْلَاهُ مَوْلَاهُ تِلْكَ الْأَشْيَاءَ، فَلَمْ
 يُسَلِّمْ أَنَّهَا لَهُ، بَلِ اتَّخَذَهَا لِنَفْسِهِ، وَظَنَّ أَهْلُ الْجُحُودِ أَنَّهَا كَذَلِكَ، فَوَقَعَ
 بِهِ ^(١) مُجَازَاةً عَلَيْهَا ذَلِكَ الْعَذَابُ فِي التَّرْدِيدِ بِالْقَوَالِبِ الْخَبِيثَةِ الرَّجْسَةِ
 النَّجِسَةِ، الْمَلْعُونَةِ، الْكَرِيهَةِ، وَالتَّنْقِيلِ فِي الْأَجْنَاسِ، وَصُنُوفِ الصُّورِ

^(١) في نسخة أخرى: بهم.



المذمومة، والتراكيب الصعبة، فيبغضه العالم في سائرها وتقسو
 ١٦١ عليه القلوب، ويسأل الله الزيادة له مما هو فيه، ويلعنه سائر الخلق
 من مؤالف ومخالف، وإذا جرى لهم حال، يقولون^(١) لعن الله
 إبليس وذلك من زيادته في طغيانه، وكفره، وجحوده، وإنكاره
 وزيادة بلائه وشره إلى الداني إليه، والقاصي عنه.

حَالُ سَلَفٍ:

أَلَا تَرَى يَا مُفَضَّلُ، أَنَّكَ تَرَى شَخْصًا لَيْسَ بِذِي رَحِمٍ، وَلَا
 قَرِيبٍ، وَلَا نَسِيبٍ، حَتَّى وَلَا لَكَ بِهِ مَعْرِفَةٌ، وَلَا صَدَاقَةٌ، وَلَا مُوَانَسَةٌ
 وَلَا اجْتِمَاعٌ، وَأَنَّهُ نَزَلَ بِهِ شَيْءٌ مِنَ الْمَحَنِ وَالشَّدَائِدِ، فَتَرَقُّ لَهُ وَتَرْحَمُهُ
 وَتَعْطِفُ عَلَيْهِ، وَلَوْ قَدَرْتَ لَفَدَيْتَهُ مِمَّا هُوَ فِيهِ بِجَمِيعِ مَا يُمَكِّنُكَ
 عَلَيْهِ مِنْ مَالٍ، وَحَالٍ، وَأَهْلٍ، وَوَلَدٍ وَإِنَّكَ لَتَرَى ذَا رَحِمٍ، وَقَرَابَةٍ
 وَحُبٍّ وَصَدَاقَةٍ، وَوَلَدٍ، وَوَالِدٍ، فِي أَلِيمِ الْعَذَابِ، قَدْ نَزَلَتْ بِهِ مِحْنَةٌ
 عَظِيمَةٌ، فَلَا تَرَقُّ لَهُ، وَلَا تَعْطِفُ عَلَيْهِ، وَلَا تَأْسَى عَلَيْهِ وَتَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ

^(١) في نسخة أخرى: فيقول. في نسخة أخرى: فيقولون.

يُضَاعِفَ لَهُ ذَلِكَ، وَإِنَّهُ لَيَفْزَعُ إِلَيْكَ وَيَسْتَصْرِخُكَ وَتَعْلَمُ أَنَّهُ مَظْلُومٌ
 مُضْطَّهِدٌ فَإِنْ اسْتَصْرِخَكَ، وَدَعَاكَ إِلَى حَالَةٍ يَسْتَعِينُ بِكَ عَلَيْهَا كُنْتَ
 عَلَيْهِ لَا مَعَهُ، حَتَّى يَقُولَ: اسْتَعَنْتُ بِكَ لِتَنْصُرَنِي، فَإِذَا أَنْتَ عَلَيَّ!
 فَيَكُونُ مِنْكَ أَشَدَّ اسْتِغَاثَةً وَأَشَدَّ تَظَلُّمًا، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِحَالِ سَلَفٍ مِنْ
 بَعْضٍ إِلَى بَعْضٍ، وَيَكُونُ فِيهَا اسْتِيفَاءُ الْحُقُوقِ وَالْوَاجِبَاتِ، فَاسْتَوْفَاهُ
 مِنْهُ.

نَعَمْ، يَا مُفَضَّلُ، وَإِنَّكَ لَتَرَى ظَالِمَ الْقَوْمِ الْجَائِرِ عَلَيْهِمْ، وَإِنَّ الْقَوْمَ
 لَيَسْتَغِيثُونَ مِنْهُ بِالْعَالَمِ، وَلَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَعْرِفَةٌ، وَلَا تَقَدَّمَتْ
 مُشَاهَدَتُهُ، فَإِذَا رَأَيْتَهُ وَقَدْ اضْطَّهَدَهُ النَّاسُ وَالْمُؤَا بِهٍ، دَافَعْتَ عَنْهُ
 وَقُمْتَ بِنُصْرَتِهِ، وَبَذَلْتَ الْمُهْجَةَ دُونَهُ، وَكَذَّبْتَ مَنْ يَقُولُ إِنَّهُ ظَالِمٌ
 وَغَاشِمٌ، حَتَّى يُقَالَ لَكَ: مَا نَعْرِفُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ صَدَاقَةً مُتَقَدِّمَةً لِقُومِ
 بِنُصْرَتِهِ، وَإِنَّكَ لَأَعْرِفُ النَّاسَ بِمَا جَرَى مِنْ ظُلْمِهِ وَتَعَدِّيهِ فَلَيْسَ
 ذَلِكَ إِلَّا جَزَاءً وَمُكَافَأَةً عَلَى مَا سَلَفَ لَهُ مَعَكَ مِنْ فِعْلٍ فِي وَقْتٍ مَا
 وَعَهْدٍ مَا، وَإِنْ كَانَ عَلَى دَرَجَةِ الْمُخَالَفَةِ، فَإِنَّهُ يَسْتَوْفِي مَا لَهُ، وَيَفِي مَا

عَلَيْهِ فَتَبَيَّنَ هَذَا، تَجِدُهُ فِي الْعَالَمِ عَيَانًا مَوْجُودًا، لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ، قَدْ سَبَقَ مِنْهُ الْقَوْلُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِيُوفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾^(١)

وَقَوْلِهِ: ﴿تُوفَى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾^(٢)

وَقَوْلِهِ: ﴿فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ﴾^(٣)

وَقَوْلِهِ: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾^(٤)

وَقَوْلِهِ: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ﴾^(٥)

فَهَذَا الْخِطَابُ وَأَمْثَالُهُ، يَا مُفَضَّلُ، لَا يَعْقِلُهُ النَّاسُ، وَلَا يَعْرِفُونَ تَأْوِيلَهُ الَّذِي أُبَيِّنُهُ لَكَ مِنْ سَوَاءٍ صِرَاطِ رَبِّكَ فِي خَلْقِهِ وَإِقَامَةِ عَدْلِهِ فِيهِمْ، وَقَدْ بَيَّنَّ وَشَرَحَ، وَفَسَّرَ وَشَرَعَ، أَنَّهُ جَعَلَ مِلَلًا، وَكُتُبًا، وَشَرَائِعَ وَرُسُلًا، وَنَسَخَ بَعْضَهَا بَعْضًا، وَأَبَانَ الدَّاعِيَ الْقَوْلَ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾^(٦)

^١ فاطر. الآية ٣٠
^٢ البقرة. الآية ٢٨١
^٣ النور. الآية ٣٩
^٤ الاسراء. الآية ٧
^٥ الحج. الآية ١٠
^٦ المؤمنون. الآية ٥٢

مِنْ أَيْنَ تَفَرَّقَتِ الْأُمَّةُ:

١٦٤

فَإِذَا كَانَتْ أُمَّةٌ وَاحِدَةً فَمِنْ أَيْنَ تَفَرَّقَتْ عَلَى مَرِّ الْأَوْقَاتِ
 وَالْأَزْمِنَةِ حَتَّى قِيلَ: أُمَّةٌ مُوسَى، وَأُمَّةٌ عِيسَى، وَأُمَّةٌ مُحَمَّدٍ، وَمَا قَبْلَهُمْ
 مِنَ الْمَقَامَاتِ الْوَاضِحَةِ الدَّعْوَةِ؟ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا
 خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾^(١) وَالْخَالِي فِيهَا، هُوَ ظُهُورُ الشَّخْصِ الدَّاعِي بِغَيْرِ
 الصُّورَةِ وَالِدَّعْوَةِ وَالشَّرِيعَةِ، وَالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَالْمِلَّةِ، وَمِنْ ذَلِكَ يُحَلَّلُ
 مَرَّةً وَيُحَرَّمُ مَرَّةً أُخْرَى.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ﴾^(٢)

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ﴾^(٣)

أَنْظِرْ إِلَى غَامِضِ هَذَا الْخِطَابِ: ﴿قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ﴾ وَذَلِكَ أَنَّ
 أُخْرَاهُمْ مِنْ أُولَاهُمْ، وَأُولَاهُمْ مِنْ أُخْرَاهُمْ، وَلَا يَكُونُ أَوَّلٌ إِلَّا بِآخِرٍ
 وَلَا آخِرٌ إِلَّا بِأَوَّلٍ.

^١ فاطر. الآية ٢٤

^٢ الأعراف. الآية ٣٩

^٣ الأعراف. الآية ٣٨

وَكُلُّ ظُهُورٍ يَا مُفَضَّلُ، يَظْهَرُ الْقَادِرُ بِهِ، فَهُوَ تَجْدِيدٌ لِلْحَالِ ^(١)
 الْأَوَّلِ، وَإِنْ ظَهَرَ ^(٢) بِاسْمٍ مِنَ الْأَسْمَاءِ، وَنَعْتٍ مِنَ النُّعُوتِ، أَوْجَدَ مِنْ
 ذَلِكَ الْإِسْمِ وَالنَّعْتِ مَا كَانَ أَوْجَدَهُ فِي الْأَوَّلِ، لَكِنْ بِاسْمٍ غَيْرِ ذَلِكَ
 الْإِسْمِ وَنَعْتٍ غَيْرِ ذَلِكَ النَّعْتِ، لِأَنَّ الظُّهُورَ وَاحِدٌ عِنْدَ أَهْلِ الْإِقْرَارِ
 وَالْمَعْرِفَةِ، فَلَا يَجِدُونَ ثَانِيًا إِلَّا مَا أَوْجَدَهُمْ أَوَّلًا، وَالْعَالَمُ الْمُنْكَوَسُ، لَا
 يُثَبِّتُونَ لَهُ الْمَعْنَوِيَّةَ وَالرُّبُوبِيَّةَ، وَلَوْ أَظْهَرَ الدَّعْوَةَ وَأَوْضَحَهَا، إِلَّا أَنَّهُ
 يُظْهَرُ بَعْدَ ذَلِكَ الزَّمَانِ أَغْلَالًا، وَآصَارًا، وَتَكْلِيفًا، وَجِهَادًا
 وَتَشْدِيدًا، وَالظُّهُورَاتُ كُلُّهَا سَوَاءٌ، وَالْعَالَمُ مَعَ ذَلِكَ سَاهُونَ، وَعَنْهَا
 مُعْرِضُونَ، لَا مَعْرِفَةَ لَهُمْ بِالِاخْتِيَارِ، وَلَا يُوَافِقُهُمْ مِنَ الْقَوْلِ اعْتِبَارٌ ^(٣)

وَكَذَلِكَ يَا مُفَضَّلُ، تَجْرِي الْقُدْرَةُ فِي الْعَالَمَيْنِ الْعُلُويِّ وَالسُّفْلِيِّ
 وَتَجْرِي عَلَى الْأَشْخَاصِ الْبَاطِنَةِ، الَّتِي أُقِيمَتْ لَهَا أَشْخَاصٌ ظَاهِرَةٌ، مِثْلُ
 السَّمَاوَاتِ، وَالْأَرْضِ، وَالْبَحَارِ، وَذَلِكَ أَنَّ السَّمَاءَ لَهَا حِجَابٌ يَحْجُبُ
 الْأَرْضَ بِمَا بَيْنَهُمَا مِنَ السَّحَابِ، الَّذِي يَحْجُبُ نَظَرَ الْعَالَمِ السُّفْلِيِّ أَنَّ

^١ في نسخة أخرى: الحال.
^٢ في نسخة أخرى: يظهر.
^٣ في نسخة أخرى: ولا يوافقهم مع القول اعتبار. وفي نسخة أخرى: ولا يوافقهم من القول اعتبار.

يَرَى وَيُشَاهِدَ مَا كَانَ يُعَايِنُهُ مِنَ السَّمَاءِ، وَكَذَلِكَ يَحْجُبُ مَا كَانَ يُعَايِنُ
 مِنَ الْأَرْضِ، وَمَا كَانَ يُعَايِنُ مِنَ الْعَالَمِ الْعُلُويِّ، وَكَذَلِكَ الشَّمْسُ
 يَكُونُ لَهَا سُلْطَانٌ عَلَى الْعَالَمِ الْعُلُويِّ فِي وَقْتٍ وَزَمَانٍ، وَلَا يَكُونُ لَهَا
 عَلَى الْعَالَمِ السُّفْلِيِّ، بَلْ يَتَمَنَّى وَيَشْتَهِي وَيَرْغَبُ إِلَيْهَا فَإِنْ ظَهَرَتِ
 الشَّمْسُ، اسْتَبْشَرَ بِهَا، وَإِنْ حُجِبَتْ، تَأَلَّمَ لَهَا وَتَوَجَّعَ لِفَقْدِهَا، وَكَذَلِكَ
 هِيَ، فِي وَقْتٍ وَزَمَانٍ تَكُونُ ظَاهِرَةً مَوْجُودَةً فِي الْعَالَمِ السُّفْلِيِّ، كَمَا
 كَانَتْ ظَاهِرَةً مَوْجُودَةً فِي الْعَالَمِ الْعُلُويِّ، حَتَّى يَتَأَلَّمَ مِنْهَا الْعَالَمُ السُّفْلِيُّ
 وَيَحْجُبُوا أَنْفُسَهُمْ عَنْهَا وَيَتَّخِذُوا عَنْهَا ^(١) عِوَضًا، بَعْدَ تِلْكَ الرَّغْبَةِ
 فِيهَا، وَالْمِيلَ إِلَيْهَا، وَيَكُونُ لَهُمُ التَّوَقُّيُّ مِنْهَا، وَالنَّهْيُ عَنِ الْقُرْبِ إِلَيْهَا
 خَوْفًا مِنَ التَّأَذِّي بِهَا وَالضَّرَرِ كَمَا كَانَ مِنْهَا النَّفْعُ، وَذَلِكَ صِرَاطُ
 مُسْتَقِيمٍ، يُجْرِي عَلَيْهِ رَبُّكَ تَدْبِيرَ الْقُدْرَةِ فِي الْعَالَمِ بِالسَّوِيَّةِ.

وَكَذَلِكَ الرُّعُودُ، وَالْبُرُوقُ، وَالْأَمْطَارُ، وَالْأَنْدَاءُ ^(٢)، وَالظِّلُّ وَالْحَرُّ
 وَالْبَرْدُ، وَالشَّلْجُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْأَفْلَاكِ وَالنُّجُومِ، وَالسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ

^(١) في نسخة أخرى: منها.
^(٢) من الندى، ما يَسْقُطُ بالليل.

الَّتِي وَقَعَ ^(١) لَهَا أَسْمَاءُ ظَاهِرَةٌ وَبَاطِنَةٌ، وَلَهَا أَشْخَاصُ بَشَرِيَّةٌ وَنُورَانِيَّةٌ
 وَهِيَ رُتَبُ الْعَالَمِ النُّورَانِيِّ، وَمَنَازِلُهُمْ فِي الْعَالَمِ الظُّلُمِيِّ الْبَشَرِيِّ التُّرَابِيِّ
 بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ، تَجْرِي فِي الْحَالَتَيْنِ اللَّتَيْنِ شَرَحْتُهُمَا لَكَ، وَيَكُونُ
 فِيهِمَا مِنَ الْأَدِلَّةِ وَالْإِنْصَافِ مِثْلَ مَا كَشَفْتُهُ لَكَ وَشَرَحْتُهُ لَكَ، وَإِنَّكَ
 لَوْ ثَبَتَ قَلِيلًا عَلَى مَا شَرَحْتُهُ لَكَ، لَقَرُبَ عَلَيْكَ فَهْمُهُ، وَقَوِيَ ذَهْنُكَ
 عَلَى إِدْرَاكِهِ وَالْإِحَاطَةِ بِهِ، وَالْحَقُّ، أَنَّ فِيهِ مِنَ التَّفْسِيرِ وَالشَّرْحِ
 وَالْكَشْفِ كِفَايَةً لِمَنْ عَقَلَ، وَذِكْرِي لِمَنْ تَذَكَّرَ، وَكَانَ لَهُ قَلْبٌ، وَأَلْقَى
 السَّمْعَ، وَهُوَ شَهِيدٌ.

^١ في نسخة أخرى: وقعت.

بَابُ مَعْرِفَةِ تَفْسِيرِ: السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ

١٦٨

وَقَدْ تَقَدَّمْتُ إِلَيْكَ، أَنِّي أَشْرَحُ وَأُبَيِّنُ لَكَ مَا خَاطَبْتُكَ بِهِ مِنْ
 قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ
 ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾^(١) وَذَلِكَ يَا مُفَضَّلُ، أَنَّهُ لَمَّا كَانَ
 قَدْ بَدَأَ السَّمَاءَ، وَهِيَ الْبَابُ الْمُقِيمُ، مُكُونُهُ وَهُوَ السَّيِّدُ مُحَمَّدٌ، الْبَيْتُ
 الْقَدِيمُ الَّذِي هُوَ حِجَابُ مَوْلَاكَ، وَاسْمُهُ بَاطِنًا، وَعَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ظَاهِرًا
 فَلَمَّا كَوَّنَهُ بِذَاتِهِ، كَوَّنَ مِنْ كَوْنِهِ الْأَرْضَ، وَهِيَ الْيَتِيمُ الْأَكْبَرُ، الَّذِي
 هُوَ الْمِقْدَادُ كَوَّنَهُ مِنْ جَوْهَرِيَّتِهِ، ثُمَّ كَشَفَ لَهُ عَنْ ذَاتِهِ، فَعَايَنَهُ
 بِالْعَظَمَةِ فَكَبَّرَهُ وَعَظَّمَهُ، وَحَارَ فِي إِدْرَاكِهِ، فَأَوْجَدَ فِي نَفْسِهِ أَنَّ فَوْقَهُ
 غَايَةً، فَوَقَفَ عِنْدَ ذَلِكَ عَنِ السُّجُودِ، وَارْتَقَبَ مَا وَجَدَهُ وَعَقَلَهُ مِنْ
 مُرَادِ مَوْلَاهُ فَظَهَرَ الْأَزَلُ الَّذِي لَمْ يَزَلْ، وَأَوْجَدَهُ مَعْنَوِيَّتَهُ، فَسَلَّمَ لَهُ
 بِالْإِخْلَاصِ، ثُمَّ ظَهَرَ لَهُ السَّيِّدُ مُحَمَّدٌ بِالْبَشَرِيَّةِ التُّرَابِيَّةِ، فَأَوْجَدَهُ أَنَّهُ
 كَوَّنَ جِسْمَهُ مِنْ ذَلِكَ التُّرَابِ، فَلَمَّا أَظْهَرَهُ بِالْبَشَرِيَّةِ، ظَهَرَ لَهُ
 بِالْإِسْتِوَاءِ، وَهُوَ بَشَرِيٌّ، فَقَالَ هُنَالِكَ لِلْسَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ، أَنِّي: وَهِيَ فِي

نُورَانِيَّةُ الْكَوْنِ الْأَوَّلِ، وَالْأَرْضِ وَهِيَ فِي الْبَشَرِيَّةِ الْأَرْضِيَّةِ، وَذَلِكَ
 بِوَقْتٍ وَاحِدٍ فَقَالَ: ﴿إِثْنِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾^(١) وَكَانَ
 ذَلِكَ عِنْدَ ظُهُورِهِ لَهُمَا، وَنَظَرِهِمَا إِلَيْهِ وَتَصَدِيقِهِمَا بِهِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ
 فَأَجَابَ الشَّخْصَانِ جَمِيعًا لَمَّا^(٢) ظَهَرَ لَهُمَا بِالْبَشَرِيَّةِ، وَعَلِمَا أَنَّهُ هُوَ
 وَكَانَتْ تِلْكَ الْإِجَابَةُ، وَهِيَ: أَتَيْنَا طَائِعِينَ إِجَابَةَ الْبَابِ وَالْيَتِيمِ
 بِإِقْرَارِهِمَا^(٣) لِلْمَعْنَى بِالْأَحَدِيَّةِ، وَلِلْإِسْمِ بِالْوَحْدِيَّةِ^(٤)

وَقَدْ ثَبَتَ لَكَ يَا مُفَضَّلُ، أَنَّ كُلَّ سَمَاءٍ، سَلَسَلُ فِي النُّورَانِيَّةِ، وَكُلُّ
 أَرْضٍ الْمِقْدَادُ فِي التُّرَابِيَّةِ، وَمَنْ كَانَ بَعْدَهُمَا مِنْ أَهْلِ الْمَرَاتِبِ وَالدرَجِ
 فَهُوَ دُونَهُمَا فِي الْمَنْزِلَةِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْبَابَ حُجَّةً عَلَى أَهْلِ الْمَرَاتِبِ لِأَنَّهُمْ
 مِنْ جَوْهَرِيَّتِهِ ظَهَرُوا، وَهُوَ جَوْهَرُهُمْ، وَكَذَلِكَ كُلُّ رُتْبَةٍ هِيَ حُجَّةٌ عَلَى
 مَنْ هُوَ دُونَهَا، لِأَنَّ بَعْضَهُمْ مِنْ جَوْهَرِيَّةِ بَعْضٍ، وَأَصْلُهُمْ مِنْ جَوْهَرِيَّةِ
 الْبَابِ وَالْبَابُ مِنْ نُورِ الْإِسْمِ^(٥)، وَالْإِسْمُ مِنْ نُورِ ذَاتِ الْمَعْنَى، فَلْيَعْقِلْ

^١ فصلت. الآية ١١
^٢ في نسخة أخرى: جميعاً لما ظهر.
^٣ في نسخة أخرى: إلى إقرارهما.
^٤ في نسخة أخرى: بالوحدانية.
^٥ في نسخة أخرى: نُور نُور الاسم.



العَالَمُ هَذَا الشَّرْحُ، وَذَلِكَ يَا مُفَضَّلُ، جَارٍ فِي الْعَالَمَيْنِ الْعُلُويِّ
وَالسُّفْلِيِّ، لِأَنَّ كُلَّ ظُهُورٍ يَظْهَرُ، هُوَ حُجَّةٌ عَلَى مَنْ دُونَهُ فِي الْمَنْزِلَةِ
وَالرُّتَبَةِ، إِنْهُمْ يَا مُفَضَّلُ، فَإِنَّ الَّذِي قَدْ وَعَدْتُكَ بِهِ، كَشَفْتُهِ لَكَ
وَشَرَحْتُهُ.

إِرَادَةُ الْمَوْلَى وَابْتِدَائِهِ الْمُلْكَ

اَعْلَمْ يَا مُفَضَّلُ، إِنَّ لِمَوْلَاكَ إِرَادَةً أَمْضَاهَا فِي خَلْقِهِ، يُظْهِرُهَا
 حِينَ، وَيُخْفِيهَا حِينَ، فَإِذَا أَظْهَرَهَا، كَانَ جَزَاءً عَمَّا أَخْفَاهَا، وَإِذَا
 أَخْفَاهَا كَانَ جَزَاءً عَمَّا أَظْهَرَهَا، فَمِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ النُّورَانِيِّ، إِذَا أَظْهَرَهُمْ
 مَعَهُ بِظُهُورِهِ فِي الْبَشَرِيَّةِ، كَانَ جَزَاءً لَهُمْ عَلَى أَفْعَالٍ سَلَفَتْ فِي النُّورَانِيَّةِ
 اسْتَوْجَبُوا بِهَا ذَلِكَ الظُّهُورَ، وَكَذَلِكَ إِذَا ظَهَرَ لِلْعَالَمِ الْمَنْكُوسِ، أَهْلِ
 الْجُحُودِ وَالْكُفْرِ، وَأَوْجَدَهُمْ ذَاتَهُ، وَدَلَّاهُمْ عَلَى نَفْسِهِ، وَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِقْرَارِ
 بِهِ، وَالتَّسْلِيمِ إِلَى حِجَابِهِ وَبَابِهِ، فَيَكُونُ مِنْهُمْ مِثْلُ مَا كَانَ أَوَّلًا مِنْ
 الْجُحُودِ وَالْكُفْرِ بِهِ، وَالْإِمْتِنَاعِ عَنْ طَاعَةِ حِجَابِهِ، وَالْإِنْكَارِ لِبَابِهِ
 فَيَنْقُلُهُمْ إِلَى الْمُسُوخِيَّةِ، حَتَّى يَصِيرَ فِي وَقْتٍ وَزَمَانٍ، مَنْ كَانَ مُحْمُولًا
 يَصِيرُ حَامِلًا لِمَنْ حَمَلَهُ، وَمَنْ كَانَ مَقْتُولًا يَصِيرُ قَاتِلًا لِمَنْ قَتَلَهُ، وَمَنْ
 كَانَ مَمْلُوكًا يَصِيرُ مَالِكًا لِمَنْ مَلَكَهُ، وَمَنْ كَانَ مَرْكُوبًا يَصِيرُ رَاكِبًا لِمَنْ
 رَكَبَهُ، وَيَجْرِي ذَلِكَ فِيهِمْ مِنَ الْفِيلِ، وَالْأَسَدِ، وَالْجَمَلِ، إِلَى الْحَيَّةِ
 وَالْعَقْرَبِ، وَالِدُّودِ، الَّذِي يَأْكُلُ بَعْضُهُ بَعْضًا، فَيَقْتُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا

وَيَرْكَبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَيَعْنَفُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، مَثَلًا بِمِثْلِ، وَشَيْئًا
 بِشَيْءٍ، وَلَوْ عَقَلَ الْعَالَمُ الْمُنْكَوسُ مَا سَمِعُوهُ وَعَرَفُوهُ، لَأَشْفَقُوا عَلَى
 أَنْفُسِهِمْ، وَلَكَانُوا عَلِمُوا أَنَّ الْإِحْتِيَاطَ الَّذِي يَحْتَاطُهُ الْبَشَرِيُّ عَلَى
 الْبَهِيمَةِ وَالطَّيْرِ وَالْهَوَامِّ وَسَائِرِ الْمُسُوخِيَّةِ، إِنَّمَا يَحْتَاطُهُ عَلَى نَفْسِهِ
 وَالْإِحْسَانَ الَّذِي يُحْسِنُهُ إِلَيْهَا، يُحْسِنُهُ إِلَى نَفْسِهِ، وَالْإِسَاءَةَ الَّتِي يُسِيئُهَا
 إِلَيْهَا، يُسِيئُهَا إِلَى نَفْسِهِ عِنْدَمَا يَرُدُّ بِهَا، وَأَنَّهُ لَيَمْلِكُ الْمَالِكُ الْمَمْلُوكَ
 وَالْمَمْلُوكُ الْمَالِكَ، وَالْحُرُّ الْعَبْدَ، وَكُلُّ ذَلِكَ مُجَازَاةٌ وَمُكَافَأَةٌ مِنْ بَعْضٍ
 لِبَعْضٍ.

الْمُسُوخِيَّةُ تَأْخُذُ بِأَوْتَارِهَا وَحُقُوقِهَا:

وَاعْلَمْ يَا مُفَضَّلُ، أَنَّ الْمُسُوخِيَّاتِ تَأْخُذُ بِأَوْتَارِهَا^(١) وَحُقُوقِهَا عِنْدَ
 كَوْنِهَا وَكَرَّهَا، وَرَدَّهَا إِلَى الْبَشَرِيَّةِ، وَرُجُوعِهَا إِلَى الْمُسُوخِيَّةِ وَتُرْدُّ فِي
 كُلِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِهَا مِمَّا وَجَبَ عَلَيْهَا الْحُلُولُ فِيهِ، مِنَ النَّسْخِ وَالْفَسْخِ
 وَالْمَسْخِ، وَالْوَسْخِ، وَالرَّسْخِ، فَإِذَا كَانَ حَدِيدًا، وَقُطِعَ بِهِ حَدِيدٌ فِي عَهْدٍ مَا

^١ في نسخة أخرى: بأوتارها. نسخة: بأثارها. نسخة: بثأرها.

يُرَدُّ ذَلِكَ الْمَقْطُوعُ فِي زَمَانٍ آخَرَ، وَعَهْدٍ آخَرَ، قَاطِعًا الَّذِي قَطَعَهُ وَيُرَدُّ
 كُلُّ فَاعِلٍ، فَيَصِيرُ مَفْعُولًا بِهِ، وَكُلُّ صَانِعٍ، فَيَصِيرُ مَصْنُوعًا بِهِ، مَثَلًا
 بِمِثْلِ وَكَذَلِكَ الْحَجَرُ الَّذِي يُقَطَّعُ بِالْحَدِيدِ، يُرَدُّ الْحَدِيدُ حَجَرًا
 وَالْحَجَرُ حَدِيدًا، حَتَّى يَقْطَعَهُ، مَثَلًا بِمِثْلِ، وَكَذَلِكَ مَا كَانَ مِنْ رِصَاصٍ
 وَنَحَاسٍ وَفِضَّةٍ، وَذَهَبٍ، يُرَدُّ إِلَى الْحَالِ الَّتِي يَجْرِي عَلَيْهِ فِيهَا مَا كَانَ
 مِنْهُ فِي غَيْرِهَا، حَتَّى يَسْتَوِيَ كُلُّ مَنْ كُلٍّ، وَأَزِيدُكَ يَا مُفَضَّلُ، فِي ذَلِكَ
 شَرْحًا وَاضِحًا، لَيْسَ هُوَ مَعَكَ.

اِعْلَمْ يَا مُفَضَّلُ، أَنَّهُ مَا مَرَّ شَيْءٌ عَلَى أَحَدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَجْنَاسِ مِنَ
 الْعَالَمِ الظُّلْمِيِّ وَهُوَ فِي الْبَشَرِيَّةِ^(١)، إِلَّا وَمَرَّ عَلَيْهِ فِي الْمُسُوخِيَّةِ
 وَالرُّسُوخِيَّةِ مِثْلُهُ، لِأَنَّهُ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَدَهْرٍ، يُرَدُّ ذَلِكَ الْبَشَرِيُّ إِلَى
 الْمُسُوخِيَّةِ، وَمِنْ الْمُسُوخِيَّةِ إِلَى الرُّسُوخِيَّةِ، وَمِنْ الرُّسُوخِيَّةِ إِلَى
 الْبَشَرِيَّةِ، فَيَسْتَوِي الْمَفْعُولُ بِهِ مِنَ الْفَاعِلِ بِهِ، مَثَلًا بِمِثْلِ، فَمَنْ^(٢) كَانَ
 مِنْهُمْ بَشَرِيًّا، وَقَطَعَ بِحَدِيدٍ حِجَارَةً، تَصِيرُ الْحِجَارَةُ^(٣) حَدِيدًا

^(١) في الأصل: "أَنَّهُ مَا مَرَّ شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الْأَجْنَاسِ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِ الظُّلْمِيِّ وَهُوَ فِي الْبَشَرِيَّةِ"
^(٢) في نسخة أخرى: فما.
^(٣) في الأصل: الكلمة غير موجودة.

وَالْبَشَرِيُّ حِجَارَةً، وَالْحِجَارَةُ بَشَرِيًّا، فَيَقْطَعُ الْمَقْطُوعُ الْقَاطِعَ، وَيَصِيرُ
 الْحَدِيدُ حِجَارَةً، فَيَقْطَعُ قَاطِعَهُ، وَكَذَلِكَ الْحِلْيَةُ تَصِيرُ بَشَرِيًّا، وَتَتَحَلَّى
 بِالْبَشَرِيِّ الَّذِي تَحَلَّى بِهَا، لِأَنَّ الْبَشَرِيَّ يُرَدُّ إِلَى الرَّسْخِ، وَالرَّسْخُ إِلَى
 الْبَشَرِيَّةِ، مَثَلًا بِمِثْلِ، حَتَّى يَسْتَوْفِيَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْآخِرِ مَا أَخَذَهُ مِنْهُ
 فَنَنْظُرُ إِلَى طَبَقَاتِ الْعَالَمِ الظُّلُمِيِّ فِي تَرَكَيبِهِمُ الْبَشَرِيَّةِ، مِمَّنْ قَدْ
 مُكِّنَ لَهُ الْمَكِنَّةُ الْعَظِيمَةُ، لَا يَكَادُ يَتَحَلَّى بِالكَثِيرِ مِنَ الْحُلِيِّ، مَعَ أَنَّهُ
 لَوْ أَرَادَ الْكَثِيرَ مِنْهَا لَكَانَ، وَإِنَّ مِنْهُمْ مَنْ يَتَّخِذُ آنِيَةً يَسْتَعْمِلُهَا فِي
 مَأْكُولَاتِهِ وَمَشْرُوبَاتِهِ، فَكَذَلِكَ يَجْرِي عَلَيْهِ مِنْهَا مِثْلُ مَا جَرَى مِنْهُ
 عَلَيْهَا.

وَإِنَّكَ يَا مُفَضَّلُ، لَتَجِدُ فِي الْعَالَمِ الظُّلُمِيِّ مَنْ لَا يَمْلِكُ إِلَّا دِرْهَمًا
 وَاحِدًا، وَهُوَ مُحْتَاجٌ إِلَى الْقُوتِ، فَيَمْنَعُهُ عَنْ نَفْسِهِ، وَيَصُوغُهُ خَاتَمًا
 يَتَخَتَّمُ بِهِ، وَذَلِكَ لِيَسْتَوْفِيَ مَا لَهُ عَلَى ذَلِكَ الْخَاتَمِ، وَإِنَّ مِنْهُمْ مَنْ لَا يَدَعُ
 أَنْ يَتَحَلَّى بِالْفِضَّةِ، وَالذَّهَبِ، وَالتُّحَاسِ، وَالرَّصَاصِ، وَالْحَدِيدِ، وَالزُّجَاجِ
 وَإِنَّ مِنْهُمْ مَنْ يُعَلِّقُ فِي رَقَبَتِهِ، أَوْ فِي عَصْدِهِ، أَوْ فِي وَسْطِهِ، الْخَرَزَ

وَالْحِجَارَةَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الرَّسَخِ، وَكُلُّ ذَلِكَ لِيَتَزَيَّنَ بِهِ، مِثْلَ مَا تَزَيَّنَ بِهِ أَوَّلًا، وَهُوَ فِي كَوْنِ الْبَشَرِيَّةِ، وَكَذَلِكَ الْخَيْلُ، وَالْجِمَالُ وَالْحَمِيرُ وَالِدَّوَابُّ، وَالْكَلابُ، وَأَنْوَاعُ الْبَهَائِمِ وَالطَّيْرِ، حَتَّى الْحَيَّاتِ وَالِدَّيْبِ^(١) أَمَّا رَأَيْتَ سَمَكًا مُقَرَّطًا قَدْ صِيدَ، وَجُعِلَ فِي آذَانِهِ قُرُوطٌ وَخَرَزٌ؟ وَذَلِكَ مَوْجُودٌ كَثِيرًا^(٢)، وَهُوَ يَجْرِي عَلَيْهَا، بِحَسَبِ مَا أُجِرَتْ عَلَى تِلْكَ الْحَيِّ فِي تَرَاكِيِبِهَا، مَثَلًا بِمِثْلِ، عَدَلًا مِنْ مَوْلَاكَ، وَقِسْطًا بِالْحَقِّ.

حَالُ الْمُؤْمِنِينَ فِي ذَلِكَ وَخَلَاصِهِمْ مِنْهُ:

قَالَ الْمُفَضَّلُ مِنْهُ السَّلَامُ: فَوَجَلَ قَلْبِي عِنْدَ ذَلِكَ، وَعَلِمَ مَوْلَايَ مَا فِي نَفْسِي. فَقَالَ لِي: يَا مُفَضَّلُ، إِنَّهُ قَدْ اشْتَكَلَ عَلَيْكَ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ وَتُرِيدُ أَنْ تَسْأَلَنِي عَنْهُ، وَهُوَ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَسْتَعْمِلُونَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ الَّتِي شَرَحْتُ لَكَ فِيهَا هَذَا الشَّرْحَ الْعَظِيمَ، فَكَيْفَ يَكُونُ حَالُ الْمُؤْمِنِينَ فِي ذَلِكَ، وَكَيْفَ يَخْلُصُونَ مِنْهُ؟ قَالَ الْمُفَضَّلُ مِنْهُ السَّلَامُ:

^١ هناك زيادة عما هو موجود في باقي النسخ: وسائر المسوخيات، فمنها ما يتحلّى وتباع في تحليها بالفضة والنحاس والرصاص وكل هذا يجري عليها كما أُجِرَتْ هي على تلك الحلي في تراكيبها، مثلاً بمثل " في نسخة أخرى: ويوجد ذلك كثيراً.



فَقُلْتُ: مَوْلَايَ، أَنْتَ أَعْلَمُ بِمَا فِي نَفْسِي مِنْ سِرِّي وَإِعْلَانِي، وَإِنَّكَ
 أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي كَمَا وَصَفْتَ نَفْسَكَ، فَقُلْتُ: ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوسَّوْسُ بِهِ
 نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾^(١)

فَقَالَ مَوْلَانَا عَزَّ عِزُّهُ: إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَدْخُلُونَ فِي ذَلِكَ، وَلَا
 يَجْرِي عَلَيْهِمْ شَيْءٌ مِنْهُ، بَلْ كُلُّهُ لِلْمُؤْمِنِينَ حَلَالٌ طُلُقٌ فِي الْعَالَمِينَ
 الْعُلُويِّ وَالسُّفْلِيِّ، أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَهُ سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ
 الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^(٢)

وَذَلِكَ يَا مُفَضَّلُ، أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ مَلَكَ الْمُؤْمِنَ مَالَ
 الْكَافِرِ، وَنَفْسَهُ، وَأَهْلَهُ، وَوَلَدَهُ، وَرُوحَهُ، وَبِهِ^(٣) يَعِيشُ وَلَوْلَا الْمُؤْمِنُ
 مَا عَاشَ الْكَافِرُ، وَلَا تَذَوَّقَ طَعْمَ الدُّنْيَا، وَلَا تَنَسَّمَ الْهَوَاءَ وَلَا تَتَنَعَّمَ فِي
 حَيَاتِهِ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ، وَإِنَّمَا بِالْمُؤْمِنِينَ يَنَالُ الْجَاهِدُونَ مَا يَنَالُونَهُ

١ ق. الآية ١٦
 ٢ الأعراف. الآية ٣٢
 ٣ في نسخة أخرى: وفيه.

بِأَفْعَالِهِمِ الْجَمِيلَةِ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ، وَبِاصْطِنَاعِ الْخَيْرِ إِلَيْهِمْ يُدَاخِلُ
 الْمُؤْمِنُونَ مِنَ السُّرُورِ مَا يُثَابُ عَلَيْهِ الْكَافِرُونَ، الَّذِينَ أَدَّوْا إِلَى ^(١) ذَلِكَ
 السُّرُورِ، فَيَكُونُ لَهُمْ فِي الْبَشَرِيَّةِ الرَّفْعَةُ، وَالْغِنَى، وَالْجَاهُ وَالْأَحْوَالُ
 السَّنِيَّةُ، وَلَهُمْ فِي الْمُسُوخِيَّةِ مِثْلُ ذَلِكَ إِذَا رُدُّوا إِلَيْهَا ^(٢) نَعَمْ يَا مُفَضَّلُ
 وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَفَعَلِهِمْ ^(٣) بِهِمُ الْقَبَائِحَ يَهْلِكُونَ وَيَحِلُّ بِهِمْ مَا يَحِلُّ بِهِمْ فِي
 الْبَشَرِيَّةِ وَالْمُسُوخِيَّةِ، وَيُكْشَفُ لِلْمَسُوحِينَ أَنَّ بِأَفْعَالِهِمِ بِالْمُؤْمِنِينَ
 نَالَهُمْ مَا هُوَ حَالٌ بِهِمْ ^(٤)، فَيَوَدُّونَ أَنْ يُرَدُّوا إِلَى الْبَشَرِيَّةِ حَتَّى يَزِيدُوا
 فِي فِعْلِ الْجَمِيلِ بِالْمُؤْمِنِينَ، فَإِذَا رُدُّوا إِلَى الْبَشَرِيَّةِ، ازْدَادُوا فِي فِعْلِ
 الْقَبِيحِ بِالْمُؤْمِنِينَ، فَيَرُدُّهُمْ الْمَوْلَى لِذَلِكَ الْفِعْلِ إِلَى الْمُسُوخِيَّةِ وَغَيْرِهَا
 مِنَ الْوَسْخِ، وَالرَّسْخِ، لِأَنَّهُمْ كُلَّمَا رُدُّوا إِلَى الْبَشَرِيَّةِ، تَنَاسَوْا تَوْحِيدَ
 مَوْلَاهُمْ، وَتَعَدَّوْا عَلَى أَوْلِيَائِهِ، فَيَعْكُسُهُمْ إِلَى الْفَسْخِ، وَالْمَسْخِ وَالْوَسْخِ
 وَالرَّسْخِ، لِيُعَذَّبُوا فِيهَا بِأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ، كَمَا قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ:

^١ في نسخة أخرى: الذي قد أهدى إليه ذلك السرور.
^٢ في نسخة أخرى: لأنهم أوفوا لهم الجميل مع المؤمنين وباصطناع الخير إليه يداخل المؤمن من السرور ما يثاب عليه الكافر الذي أدى إليه ذلك السرور، فيكون له في البشرية الرفعة والغنى والجاه والأحوال السنية وله في المسوخية مثل ذلك إذا رد إليها.
^٣ في نسخة أخرى: وأفعالهم. وفي نسخة: وبفعلهم
^٤ في نسخة أخرى: نالهم ما هو حل بهم.



﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ

١٧٨

صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾^(١)

فَاعْرِفْ هَذَا الشَّرْحَ يَا مُفَضَّلُ، وَتَبَيَّنْهُ، وَافْهَمْهُ، وَافْقَهُ، فَقَدْ
 سَلَكَتَ صِرَاطَ رَبِّكَ، وَأَوْجَبْتُ عَلَيْكَ فِيهِ إِلْزَامَ نَفْسِكَ بِاسْتِعْمَالِ مَا
 شَرَحْتُهُ لَكَ، وَعَرَّفْتُكَ بِهِ، وَأَنْ تَشْرَحَهُ أَنْتَ لِمَنْ هُوَ دُونَكَ، وَمَنْ آَلَ
 إِلَيْكَ، وَتَأْمُرَهُمْ بِاسْتِعْمَالِ فَقْهِهِ، وَقَبُولِهِ، وَإِقَامَةِ شُرُوطِهِ، وَالْعَمَلِ بِهِ
 وَتَصَدِيقِهِ.

أُمُورٌ فِي الْبَشَرِيَّةِ تَجْرِي عَلَى سُنَّتِهَا وَرُتَبِهَا:

وَاعْلَمْ يَا مُفَضَّلُ، أَنَّ مَوْلَاكَ أَجْرَى أُمُورًا فِي الْبَشَرِيَّةِ، وَأَوْجَدَهَا
 وَأَمْضَاهَا، وَقَدَّرَهَا، وَحَتَمَهَا، فَهِيَ تَجْرِي عَلَى سُنَّتِهَا، وَرُتَبِهَا، وَذَلِكَ أَنَّكَ
 تَجِدُ فِي الْعَالَمِ الظُّلْمِيِّ مَنْ يَسْتَنْكِحُ وَيَنْكِحُ الْبَنَاتِ، وَالْأَخَوَاتِ
 وَالْأُمَّهَاتِ، وَهَكَذَا تَجِدُهُمْ فِي الْمُسُوخِيَّاتِ، وَذَلِكَ أَنَّكَ تَرَى الرَّجُلَ

يُزَوِّجُ أُمَّهُ، أَوْ أُخْتَهُ، أَوْ ابْنَتَهُ، مِنْ رَجُلٍ تَزَوَّجَ أُمَّهُ، أَوْ أُخْتَهُ، أَوْ ابْنَتَهُ
 وَكَذَلِكَ فِي الْمُسُوخِيَّةِ، فَإِنَّكَ تَرَى الرَّجُلَ يَمْلِكُ النَّعَمَ، وَغَيْرَهَا مِنْ
 الْبَهَائِمِ، وَالطَّيْرِ^(١)، وَإِنَّ سَائِرَ أَجْنَاسِ الْمُسُوخِيَّاتِ، مِنْ دَوَابِّ وَحَمِيرِ
 وَجَمَالٍ، وَبَقَرٍ، وَغَنَمٍ، وَمَعَزٍ، وَكِلَابٍ، وَغَيْرَهَا، يَثْبُتُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ
 فِي تَبَايُنٍ فِعْلِيٍّ وَأَجْنَاسِيٍّ، وَيَكُونُ مِنْهَا مَا يَكُونُ مِنَ الْبَشَرِ، مِنْ
 التَّوَالِدِ، وَالتَّظَافِرِ، وَالتَّنَاسُلِ^(٢)، وَالتَّرْبِيَةِ.

وَكَذَلِكَ يَتَوَالَدُ الْعَالَمُ مِنَ الْعَرَبِيَّاتِ وَ^(٣) الْأَكْرَادِ وَالْعَجَمِ وَالرُّومِ
 وَالْأَرْمَنِ وَالنَّبَطِ^(٤) وَسَائِرِ أَصْنَافِ الْعَالَمِ وَأَجْنَاسِ السُّودَانِ أَيْضًا، كَمَا
 تَتَزَاوَجُ وَيَقَعُ النِّكَاحُ بَيْنَهَا، فَيَتَزَوَّجُ الْحُرُّ بِالْعَبْدَةِ، وَالْعَبْدَةُ بِالْحُرِّ
 وَالْعَجَمِيُّ بِالْعَرَبِيَّةِ، وَالْيَهُودِيُّ وَالنَّصْرَانِيُّ بِامْرَأَةٍ تَدَّعِي الشَّرْفَ وَيَنْكِحُ
 الْمَرْأَةَ غَيْرَ كُفَّيْهَا فِي النَّسَبِ وَالْأَصْلِ، وَكَذَلِكَ يَتَزَوَّجُ الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ
 وَلَيْسَتْ كُفَّاهُ فِي الْحَسَبِ أَوْ النَّسَبِ، وَكُلُّ مَا يَجْرِي عَلَيْهِمْ فِي الْبَشَرِيَّةِ

^١ في نسخة أخرى: وَكَذَلِكَ تَرَاهُمْ يَمْلِكُ الرَّجُلُ فِي الْمُسُوخِيَّاتِ الْأَنْعَامَ.

^٢ في نسخة أخرى: والنسل.

^٣ في نسخة أخرى: من العربيات في الأكراد.

^٤ قوم ينزلون بالبطائح بين العراقيين.

يَجْرِي عَلَيْهِمْ فِي الْمُسُوخِيَّةِ، وَيُرَدُّ لِكُلِّ ذِي حَقٍّ حَقُّهُ وَيُخْرِجُ كُلُّ مَنْ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِمَّا عَلَيْهِ.

وَكَذَلِكَ يَا مُفَضَّلُ، تَتَزَوَّجُ الْمَرْأَةُ الدَّيْنَةُ بِالرَّجُلِ النَّصْرَانِيِّ، كَذَلِكَ
 يَعْلُو الْفَرَسَ الْعَرَبِيَّةَ الْبِرْدُونُ الدَّيْنِيُّ، وَيَعْلُو الْحِصَانُ الرَّمَكَةُ^(١) وَيَعْلُو
 الْحِمَارُ الْفَرَسَ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْفَرَسَ كَانَتْ حِمَارًا، وَكَانَ الْحِمَارُ فَرَسًا
 وَكَذَلِكَ يَجْرِي عَلَيْهِمْ فِي الْبَشَرِيَّةِ، يَنْكِحُ الْمُسْلِمُ النَّصْرَانِيَّةَ فِي ظُهُورِ
 ثُمَّ تَعُودُ النَّصْرَانِيَّةُ فِي ظُهُورِ ثَانٍ، فِي الدُّكُورِيَّةِ، وَيَكُونُ فِي شَرِيعَةِ
 الْحَنْفِيَّةِ، وَيَعُودُ الرَّجُلُ إِلَى التَّأْنِيثِ، وَيَكُونُ فِي الْمِلَّةِ النَّصْرَانِيَّةِ
 فَيَتَزَوَّجُهَا وَيَأْخُذُ مِنْهَا مَا كَانَ لَهُ عِنْدَهَا مِنْ حَقٍّ، وَاعْلَمْ يَا مُفَضَّلُ، أَنَّهُ
 يَجْرِي عَلَيْهَا فِي الْمُسُوخِيَّةِ كَذَلِكَ، فَيَكُونُ بَعْضُهَا فِي ظُهُورِ فَرَسًا
 فَيَرْكَبُهَا الْحِمَارُ، وَتَصِيرُ فِي ظُهُورِ حِمَارًا، وَيَعُودُ الْحِمَارُ فَرَسًا، فَيَرْكَبُهَا
 وَلَا يَكُونُ اجْتِمَاعٌ فِي ظُهُورِ وَاحِدٍ، لَا فِي الْبَشَرِيَّةِ، وَلَا فِي الْمُسُوخِيَّةِ
 وَكَمَا أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لِلنَّصْرَانِيِّ أَنْ يَنْكِحَ امْرَأَةً مُسْلِمَةً، كَذَلِكَ لَا يَتَهَيَّأُ

^(١) الرمكة الأثني من البراذين.

لِلْحِصَانِ أَنْ يَثْبُ (١) عَلَى أَتَانٍ، وَكَمَا يَتَهَيَّأُ لِحِمَارٍ أَنْ يَثْبُ عَلَى أَتَانٍ
 كَذَلِكَ يَتَهَيَّأُ لِلْمُسْلِمِينَ أَنْ يَنْكِحُوا النَّصَارَى، كَمَا تَرْكَبُ الْخَيْلُ
 الْحَمِيرَ، وَهُوَ إِقَامَةُ عَدْلٍ مَوْلَاكَ فِي الْخَلْقِ الْمَنْكُوسِ، بِمَا اسْتَحَقُّوا
 وَاکْتَسَبُوا.

بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْيَهُودِ:

وَإِنِّي أَزِيدُكَ يَا مُفَضَّلُ فِي ذَلِكَ عِلْمًا، لَيْسَ هُوَ عِنْدَكَ، وَلَا عَلِمْتَهُ
 وَلَا عَلِمَهُ أَحَدٌ قَبْلَكَ، أَنَّ الْيَهُودَ الَّذِينَ ثَبَتَ عَلَيْهِمْ فِي الْبَشَرِيَّةِ هَذَا
 الْإِسْمُ، لَا يُنْكِحُونَ نِسَاءَهُمْ لِلْمُسْلِمِينَ وَلَا لِلنَّصَارَى (٢)، وَكَذَلِكَ لَا
 يُنْكِحُونَ الْمُسْلِمَةَ، وَلَا النَّصْرَانِيَّةَ، لِأَنَّهُ عِنْدَهُمْ مُحْظُورٌ لَا يَقْدِرُونَ
 عَلَيْهِ وَكَذَلِكَ يَجْرِي أَمْرُهُمْ فِي الْمُسُوخِيَّةِ، وَهُمْ الْبِغَالُ الَّتِي لَا يُوثَبُ
 عَلَيْهَا، وَلَا تَثْبُ هِيَ عَلَى شَيْءٍ، بَلْ هِيَ بِحَالِهَا مُنْفَرِدَةٌ فِيمَا هِيَ فِيهِ، كَمَا
 كَانَتْ فِي الْبَشَرِيَّةِ، وَرُبَّمَا يُنَالُ مِنْهَا شَيْءٌ عَلَى سَبِيلِ الْإِغْتِيَالِ وَالْإِكْرَاهِ
 فَهُوَ يَجْرِي مِنْهَا مَجْرَى مَا كَانَ سَلَفَ لَهَا، وَهِيَ فِي الْبَشَرِيَّةِ وَمِنْ ذَلِكَ

(١) في نسخة أخرى: يشب. وفي نسخة: ينزو.
 (٢) في نسخة أخرى: النصارى.

وَثُوبٌ بَغْلٍ عَلَى فَرَسٍ، وَفَرَسٍ عَلَى بَغْلَةٍ، وَلِذَلِكَ لَا يَكُونُ بَيْنَهُمَا تَوَالُدٌ
 فِي الْبَشَرِيَّةِ وَالْمُسُوخِيَّةِ، وَهِيَ فِي الرَّسْخِ: الرَّصَاصُ الْأَسْوَدُ أَلَا تَرَى إِلَى
 ظُلْمَتِهِ وَسَوَادِهِ؟ وَهَذَا يَا مُفَضَّلُ دَلِيلٌ وَاضِحٌ، لِأَنَّ الرَّصَاصَ الْأَسْوَدَ لَا
 يَعْلُو عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ إِلَّا أَفْسَدَهُ، وَمَا وَقَعَ بِهِ مِنَ الْمُمَازَجَةِ بِغَيْرِهِ
 مِنَ الرَّصَاصِ الْقَلْعِيِّ، فَهُوَ بِمَعْنَى مَنْ أَسْلَمَ أَوْ تَنَصَّرَ مِنَ الْيَهُودِ، فَإِنْ
 وَقَعَ عَلَيْهِ اسْمُ الْإِسْلَامِ أَوْ التَّصْرَانِيَّةِ، جَازَ لَهُ أَنْ يَتَزَوَّجَ مِنْهُمْ وَيَنْكِحَ
 مِنْهُمْ، وَهَكَذَا تَقَعُ الْمُمَازَجَةُ بِهِ ^(١)، وَهُوَ فِي الرُّسُوخِيَّةِ بِالتَّزَاوُجِ بِغَيْرِهِ
 مِنَ الرَّصَاصِ الْقَلْعِيِّ، فَيُضِيفُ إِلَيْهِ تَزَاوُجَهُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ^(٢) فَإِنْ أَرَدْتَ
 أَنْ تَعْرِفَ أَشْخَاصَهُمْ فِي الْمُسُوخِيَّةِ، فَانْظُرْ إِلَى كُلِّ مَا رَأَيْتَهُ مِنَ الدَّوَابِّ
 يُشَاكِلُ الْبِغَالَ فِي مَعَانِيهَا، فَذَلِكَ مِمَّا وَصَفْتُ لَكَ شَرْحَهُ.

^(١) فِي نَسْخَةِ أُخْرَى: الْمُمَازَجَةُ تَقَعُ بِهِ.
^(٢) فِي نَسْخَةِ أُخْرَى: فَيُضَافُ بِهِ تَزَاوُجُهُ فِيمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ.

مَعْرِفَةُ مَنْ ظَاهِرُهُ بَشَرٌ وَبَاطِنُهُ مَسْحٌ^(١)

١٨٣

وَاعْلَمْ يَا مُفَضَّلُ أَنَّ فِي الْعَالَمِ أُمُورًا وَأَحْوَالًا^(٢)، وَبَوَاطِنَ، ظَاهِرُهَا
 عِنْدَ الْعَالَمِ بَشَرٌ، وَهِيَ فِي الْبَاطِنِ مَسْحٌ، وَشَرَحُ ذَلِكَ الْقَوْلِ فِيمَنْ
 ظَاهِرُهُ بَشَرٌ، وَبَاطِنُهُ مَسْحٌ، وَبَيَانُهُ فِي الْعَالَمِ الظُّلُمِيِّ، أَنَّكَ تَجِدُ فِي
 الْعَالَمِ مَنْ يَهْدُرُ هَدِيرَ الْحَمَامِ، وَيَنْهَقُ نَهْيَقَ الْحَمِيرِ، وَيَصْهَلُ صَهِيلَ
 الْخَيْلِ وَيَشْحَجُ شَحِيجَ^(٣) الْبِغَالِ، وَيَنْبَحُ نَبَاحَ الْكِلَابِ وَيَعِجُّ عَجِيجَ
 الْبَقَرِ وَيَصِيحُ صِيَاخَ الدُّيُوكِ، وَيَضْبَحُ^(٤) ضُبَاحَ الثَّعَالِبِ، وَيَصِيحُ صِيَاخَ
 الْقِطَطِ، وَيُشْقِشِقُ شَقْشَقَةَ الْفَأْرِ، وَيَصِيحُ صِيَاخَ الْقِرَدَةِ وَمِنْهَا مَا
 يَنْوَحُ مِثْلَ الطُّيُورِ فِي الْأَسْوَاقِ وَالطُّرُقِ، وَيَجْعَلُهُ مَرْبَحَهُ وَمَعِيشَتَهُ الَّتِي
 يُعْرِفُ بِهَا، وَتَرَى فِي الْعَالَمِ، مَنْ يُعْنَى بِتَرْبِيَةِ الْكِلَابِ، أَوْ الْحَمَامِ، أَوْ
 الْقِطَطِ، أَوْ تَرْبِيَةِ جِنْسٍ مِنْ أَجْنَاسِ الْمُسُوخِ، وَكُلُّ ذَلِكَ، لِأَنَّ رُوحَهُ
 تَأَلَّفَ ذَلِكَ الْجِنْسَ وَتَرْتَاخُ إِلَيْهِ، لِأَنَّهُ مِنَ الْأَجْنَاسِ الَّتِي كَانَ حَلَّ بِهَا

^١ غير موجود ك باب مستقل وقد وضعناه ك باب مستقل كما هو موجود في نسخة أخرى.

^٢ في نسخة أخرى: أصولاً.

^٣ في نسخة أخرى: شحج.

^٤ أي ينبح.

قَبْلَ ذَلِكَ الْوَقْتِ ^(١) وَكَذَلِكَ، مَنْ أَلَفَ الْجَوَارِحَ وَالْفُهُودَ، وَالصَّيْدَ بِهَا
 فَيَعْرِفُ مَا كَانَتْ تَعْرِفُهُ قَدِيمًا، وَتُمْسِكُ عَلَى صَاحِبِهَا بِمِقْدَارِ مَا ^{١٨٤}
 أُمْسَكَ هُوَ عَلَيْهَا وَكَمَا ضَرَّهَا تَضُرُّ بِهِ، وَهُوَ فِي الْمُسُوخِيَّةِ فِي كُلِّ نَوْعٍ
 مِنْهَا "وَكَذَلِكَ يَعُودُ فِي غَيْرِهَا مِنْ أَعْدَى الْأَجْنَاسِ وَأَبْدَاهَا إِلَيْهِ،
 بِمِقْدَارِ مَا كَانَ الْمُعَانِي لَهُ" ^(٢) وَذَلِكَ أَنَّكَ يَا مُفَضَّلُ، تَرَى فِي الْعَالَمِ مَنْ
 يُؤْثِرُ الْقِرْدَ وَالْكَلْبَ، وَالذَّبَّ وَالْبَهِيمَةَ، وَالْقِطَّ، وَالطَّيْرَ الْجَارِحَ، عَلَى
 نَفْسِهِ، وَيَضُرُّ بِنَفْسِهِ، وَيُحْسِنُ إِلَى ذَلِكَ الَّذِي قَدْ أَغْرَى بِهِ، وَذَلِكَ
 بِقَدْرِ مَا كَانَ أَوْلَاهُ وَأَبْدَاهُ إِلَيْهِ، وَآثَرُهُ بِهِ فِي الْكَرَّةِ الْأُولَى، ذَلِكَ الْمَسْخُ
 وَهُوَ فِي الْبَشَرِيَّةِ وَالْبَشَرِيِّ وَهُوَ فِي الْمُسُوخِيَّةِ بِذَلِكَ الْجِنْسِ.

فَاَنْظُرْ إِلَى مَا شَرَحْتُ لَكَ، وَاكْشِفْ عَنْهُ، تَجِدْهُ، وَتُعَايِنُهُ، وَتَعْرِفُهُ
 وَتَعْرِفُ مَنْ هُوَ بِهِ، فَلْيَحْمَدِ أَهْلَ الْإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ مَوْلَاهُمْ، عَلَى مَا
 أَوْلَاهُمْ مِنْ إِسْبَاغِ نِعْمَتِهِ عَلَى أَوْلِيَائِهِ، فَأَنْقَذَهُمْ مِنَ الظُّلْمَةِ، وَجَعَلَهُمْ
 مِنْ أَهْلِ النُّورِ، ثُمَّ أَوْجَدَهُمْ مَعَانِي أَهْلِ الْخِلَافِ وَالْجُحُودِ وَالْإِنْكَارِ.

^١ في نسخة أخرى: لألفة ذلك الجنس ترتاح روحه إليه، لأنها من الأجناس التي كان حل بما قبل ذلك الوقت.
^٢ في نسخة أخرى: وكذلك يعود في غيره من الأجناس بمقدار ما كان معانياً له.

وَأَعْلَمَ يَا مُفَضَّلُ، أَنَّ فِي الْعَالَمِ التُّورَانِيِّ، مَنْ يَعْرِفُ فَضْلَهُ عَلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ، فَيَسْأَلُ اللَّهَ لَهُ الزِّيَادَةَ وَالْإِرْتِقَاءَ وَالْبُلُوغَ إِلَى تَنَاهِي الدَّرَجَاتِ لِأَنَّهُ قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾^(١)

وَقَالَ: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾^(٢) ثُمَّ أَوْجَدَ ذَلِكَ فِي جَمِيعِ الْمَكُونَاتِ، مِنَ الْعَالَمِينَ الْعُلَوِيِّ الْكَبِيرِ التُّورَانِيِّ، وَالسُّفْلِيِّ الصَّغِيرِ الْبَشَرِيِّ، أَصْحَابِ الْمَرَاتِبِ وَالْدَّرَجِ، فَأَوْجَدَ فَضْلَهُمْ عَلَى مَنْ هُوَ دُونَهُمْ فِي الْمَنْزِلَةِ، مِنَ الْعَالَمِ التُّرَابِيِّ، أَهْلِ الْإِجَابَةِ وَالْإِقْرَارِ وَالْمَعْرِفَةِ ثُمَّ أَوْجَدَ فَضْلَ هَذِهِ الْمَنْزِلَةِ عَلَى عَالَمِ الْجُحُودِ وَالْإِنْكَارِ وَأَوْجَدَ فَضْلَ عَالَمِ الْجُحُودِ وَالْإِنْكَارِ مَا دَامُوا فِي الْبَشَرِيَّةِ عَلَى مَنْ هُوَ دُونَهُمْ فِي الْفُسُوحِيَّةِ، وَفَضَّلَ مَنْ هُوَ فِي الْفُسُوحِيَّةِ عَلَى مَنْ هُوَ فِي الْمُسُوحِيَّةِ وَفَضَّلَ مَنْ هُوَ فِي الْمُسُوحِيَّةِ عَلَى مَنْ هُوَ فِي الْوُسُوحِيَّةِ، وَفَضَّلَ مَنْ هُوَ فِي الْوُسُوحِيَّةِ عَلَى مَنْ هُوَ فِي الرُّسُوحِيَّةِ، وَهَذِهِ كُلُّهَا دَرَجَاتٌ فِي مَعَانِيهَا بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، وَيَرْفَعُ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ فِي

^(١) الزخرف. الآية ٣٢

^(٢) الانعام. الآية ٣٥٢

جَمِيعَ مَا جَرَى عَلَيْهِمْ بِكُلِّ رُتَبَةٍ وَمَنْزِلَةٍ مِنْ تِلْكَ الرُّتَبِ وَالْمَنَازِلِ
 يَعْلُو فِيهَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، فَمَالِكٌ وَمَمْلُوكٌ، وَمُوسِرٌ وَمُعْسِرٌ، وَشَقِيٌّ
 وَسَعِيدٌ وَآمِنٌ وَخَائِفٌ وَعَزِيزٌ وَذَلِيلٌ، فِي الْبَشَرِيَّةِ وَالْمُسُوخِيَّةِ
 وَالرُّسُوخِيَّةِ وَجَمِيعِ مَا جَرَى عَلَيْهِ فِي الْكِرَاتِ وَالرَّجَعَاتِ، فِي الْأَكْوَارِ
 وَالْأَدْوَارِ وَالْأَحْقَابِ وَالْأَعْصَارِ ظُهُورَاتٍ يَعُودُ فِيهَا مِنَ الشَّدَّةِ إِلَى
 الرِّخَاءِ، وَمِنَ الضَّعْفِ إِلَى الْقُوَّةِ، وَمِنَ الْمَمْلُوكِ إِلَى الْمَالِكِ.

وَهَذَا يَا مُفَضَّلُ، لَيْسَ عَنْهُ رَجْعَةٌ وَلَا حَدٌّ وَلَا رُخْصَةٌ فَلْيَنْظُرِ
 الْعَالَمُ الظُّلْمِيُّ إِلَى مَا شَرَحْتُهُ لَكَ، وَالْجَاحِدُونَ فَلِأَنْفُسِهِمْ ^(١) يُقَدِّمُونَ
 فَقَدْ أَنْذَرْتُهُمْ وَحَذَّرْتُهُمْ: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ ^(٢) عَنِ
 بِالتَّهْلُكَةِ الْمَصِيرِ إِلَى الْبَهَائِمِ ^(٣).

^١ في نسخة أخرى: لأنفسهم.

^٢ البقرة. الآية ١٩٥

^٣ فَلَا تَدْتَسُوا نُفُوسَكُمْ بِالْبَهَائِمِ وَالطُّيُورِ، وَلَا بِكُلِّ مَا يَدْبُ عَلَى الْأَرْضِ مِمَّا مَيَّزْتُهُ لَكُمْ لِيَكُونَ نَجَسًا. سفر اللاويين ٢٥:٢٠

وَاعْلَمْ يَا مُفَضَّلُ، أَنَّ مَوْلَاكَ أَقَامَ لَهُمْ نَفْسَهُ مَقَامَ الدَّاعِي الرَّؤُوفِ
 وَالتَّاصِحِ الْمُشْفِقِ الْعُطُوفِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي
 أُوفِعَ عَهْدَكُمْ﴾^(١)

وَقَالَ: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾^(٢)
 وَقَالَ: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾^(٣)
 وَقَالَ: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ
 وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾^(٤)

وَاعْلَمْ يَا مُفَضَّلُ، أَنَّ فِي خِطَابِ اللَّهِ الْمَوْجُودِ مِنْ وَاضِحِ الْمَعَانِي
 مَا لَوْ أَنْكَشَفَ لِلْعَالَمِ وَتَبَيَّنُوهُ، لَغَنُوا بِهِ عَنِ السُّؤَالِ وَالْجَوَابِ وَالْبَحْثِ
 وَلَكَانَ لَهُمْ دَلِيلًا وَمَقْصَدًا، لَكِنَّهُمْ عَمُوا عَنْهُ، كَمَا عَمُوا عَنِ الْمُشَاهَدَةِ
 وَالْعِيَانِ وَالْوُجُودِ وَالْبَحْثِ، وَهُمْ فِي غَفْلَتِهِمْ وَعَمَاهُمْ، أَجْهَلُ وَأَكْفَرُ
 وَأَخِيرُ وَأَضَلُّ سَبِيلًا، وَقَدْ جَعَلَ فِي أَهْلِ الْإِقْرَارِ وَالْإِجَابَةِ وَالْمَعْرِفَةِ

^١ البقرة. الآية ٤٠
^٢ المائدة. الآية ٧
^٣ إبراهيم. الآية ٤٧
^٤ الزمر. الآية ٥٦

لِلتَّوْحِيدِ، نُورَ الْقَبُولِ، فَلَا تَمُرُّ بِهِمْ آيَةٌ مِنَ الْآيَاتِ، إِلَّا اعْتَبَرُوا بِهَا
 وَتَفَكَّرُوا فِيهَا، وَكَانَتْ لَهُمْ دَلِيلًا وَشَاهِدًا، عَلَى صِحَّةِ الْيَقِينِ، بِمِيلِهِمْ إِلَى
 الْحَقِّ، وَقَوْلِهِمُ الصَّدَقَ، وَاجْتِنَابِهِمُ الْبَاطِلَ، فَزَادَهُمْ مَوْلَاهُمْ بِذَلِكَ إِيمَانًا
 وَهُدًى، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى
 رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾^(١)

وَقَوْلُهُ: ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾^(٢) وَقَالَ مُخْبِرًا عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ
 عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٣)
 وَآيٍ فِي الْقُرْآنِ مِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا لِأَهْلِ الْإِيمَانِ وَالْقَبُولِ
 وَالتَّسْلِيمِ.

^١ الانفال . الآية ٢
^٢ الكهف . الآية ١٣
^٣ التوبة . الآية ٧٥
 في نسخة أخرى فقد جاءت الآية رقم ٦٣ من سورة الأنعام (لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ).

وَأَمَّا أَهْلُ الْجُحُودِ وَالْكُفْرِ وَالْإِنْكَارِ وَالظُّلْمَةِ وَالْكَدْرِ، فَإِنَّهُ خَبَّرَ عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾^(١).

وَقَالَ: ﴿وَمَا نُرِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾^(٢)
 وَقَالَ: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾^(٣)
 وَقَالَ: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ
 كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى﴾^(٤)

وَقَالَ: ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾^(٥) وَآيٌ فِي الْقُرْآنِ مِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ، فِي مَقَامِهِمْ عَلَى الْجُحُودِ الْأَوَّلِ، وَالْكُفْرِ، وَالْإِنْكَارِ، وَالْمُخَالَفَةِ، وَالْعِنَادِ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ، لِثَبَاتِهِمْ عَلَى الْجُحُودِ الْأَوَّلِ، فِي الدَّعْوَةِ الْأُولَى، فِي الذَّرْوِ الْأَوَّلِ وَانْتِقَالِهِمْ فِي تِلْكَ الظُّلُمَاتِ، وَكُلَّمَا عَتَوْا وَتَعَدَّوْا زَادَتْ ظُلُمَتُهُمْ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ظُلُمَاتٌ

^١ الأنبياء. الآية ٢
^٢ الزخرف. الآية ٤٨
^٣ الأعراف. الآية ١٤٦
^٤ الرعد. الآية ٣١
^٥ الانعام. الآية ٤

بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يُجْعَلِ اللَّهُ لَهُ
 نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ^(١)

وَقَالَ: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ﴾^(٢)
 فَهُمْ فِيهِ يُلْجُونَ وَيُؤَلِّجُونَ، وَالظُّلُمَاتُ فِي الْبَحْرِ اللَّجِّيِّ، هِيَ الْمُسُوخِيَّاتُ
 وَهِيَ طَبَقَاتٌ مُّتَدَارِكَةٌ مُّتَرَادِفَةٌ^(٣) فِي أَصْنَافِ الْعَجَائِبِ وَالتَّرَاكِبِ
 يَصْعُبُ وَصْفُهَا عَلَى الْوَاصِفِينَ، وَنَعْتُهَا عَلَى الْمَخْلُوقِينَ لِكَثْرَةِ أَجْنَاسِهَا
 وَاخْتِلَافِ صُورِهَا، وَتَغْيِيرِ أَشْكَالِهَا، وَتَعَدُّدِ أَسْمَائِهَا وَسُكْنَاهَا فِي مَعَادِنِ
 الْأَرْضِ، وَالْجِبَالِ، وَالْبَحَارِ، وَالْهَوَاءِ، وَالرِّيَّاحِ، وَالْأَجَامِ، وَهِيَ أَعْدَادُ
 كَثِيرَةٌ لَا تُحْصَى، وَلَا يُحَاطُ بِهَا، فَهَذِهِ ظُلُمَاتُ الْبَحْرِ اللَّجِّيِّ.

^١ النور. الآية ٤٠.
^٢ النور. الآية ٤٠.
^٣ أي متتابعة.

الظُّلُمَاتُ الثَّلَاثُ:

وَأَمَّا الظُّلُمَاتُ الثَّلَاثُ، فَهِيَ الرَّسْخُ فِي مَعَادِنِ الذَّهَبِ، وَالْفِضَّةِ
 وَالْحَدِيدِ وَالنُّحَاسِ، وَالرَّصَاصِ، فَإِنَّهَا مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ، وَإِنَّمَا عَلَا
 الذَّهَبُ عَلَى الْفِضَّةِ بِعَظَمِ مَنْزِلَتِهِ عَلَى كُلِّ مَنْ هُوَ رَسَخٌ، لِأَنَّ الذَّهَبَ
 يُفْضَلُ عَلَى الْفِضَّةِ فِي كُلِّ مَا يَأْتِي مِنْهُ، لِأَنَّهُ أَعْلَى مِنْهُ فِي الْمَنْزِلَةِ
 فَشَخْصُ الذَّهَبِ الشَّيْطَانُ الرَّجِيمُ الثَّانِي، لَعَنَهُ اللَّهُ، لِكَوْنِ الْوَاحِدِ مِنْهُ
 يُبَاعُ بِأَضْعَافِهِ مِنَ الْفِضَّةِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْأَوَّلَ وَالثَّالِثَ كَانَا تَبَعًا لِلثَّانِي
 وَتَحْتَ أَمْرِهِ وَطَاعَتِهِ.

وَكَذَلِكَ الْفِضَّةُ بِشَخْصِ الْأَوَّلِ، لِأَنَّ الْوَاحِدَ مِنَ الْفِضَّةِ، يُبَاعُ
 بِأَضْعَافِهِ مِنَ الْحَدِيدِ، وَالْحَدِيدُ بِشَخْصِ الثَّالِثِ، وَقَدْ كَانَ تَبَعًا لِأَمْرِ
 الْأَوَّلِ وَتَحْتَ أَمْرِهِ، وَمُطِيعًا لَهُ فِيمَا يَأْتِي بِهِ، أَلَا تَرَى إِلَى ظُلْمَةِ الْحَدِيدِ
 وَشِدَّتِهِ فِي كَوْنِهِ؟

وَأَمَّا النُّحَاسُ، فَهُوَ أَشْخَاصُ التَّابِعِينَ لَهُؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ، وَكَذَلِكَ الرَّصَاصُ
 وَالْحِجَارَةُ وَمَا جَانَسَهَا، فَهِيَ مِنَ الثَّانِي وَإِلَيْهِ، وَهُوَ أَصْلُهَا وَأُسُّهَا
 وَجَوْهَرُهَا فِي كُلِّ كَوْنٍ وَحُدُوثٍ، فَهَذِهِ الظُّلُمَاتُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا
 اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: ﴿فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾^(١)

أَمَّا الْحَدِيدُ، فَلَيْسَ فِيهِ مِنْ لَوْنِ الذَّهَبِ وَسَلَاسَتِهِ، وَلَا مِنْ ثَمَنِ
 الْفِضَّةِ شَيْءٍ، بَلْ هُوَ مُظْلِمُ الْجَوْهَرِ، لِشِدَّةِ كَوْنِهِ مِنْ هُوَ شَخْصُهُ فِي
 الطُّغْيَانِ وَالْكُفْرِ، وَثَبَاتِهِ عَلَى الْجُحُودِ وَالْإِنْكَارِ، وَهُوَ فِي شِدَّةِ ظُلْمَتِهِ
 لَا يَخْرُجُ عَمَّا هُوَ فِيهِ، بَلْ يَتَّخِذُ لِقَتْلِ وَتَلْفِ كُلِّ مَنْ صَغَى إِلَيْهِ وَقَبِلَ
 مِنْهُ، أَوْ آنِيَّةٍ أَوْ آلَةٍ تُصْنَعُ بِهَا سَائِرُ الْأَشْيَاءِ، مِنَ التَّجَارَةِ وَالْخَزْرِ
 وَالْحِيَاظَةِ وَالْحَفْرِ وَالْحَرْثِ وَغَيْرِهَا، مِمَّا تَجْرِي فِيهِ آلَةُ الْحَدِيدِ، وَكَذَلِكَ
 كَانَ مِنْ بَدْءِ كَوْنِهِ فِي الْبَشَرِيَّةِ، وَالثَّالِثُ مِنَ الظُّلُمَاتِ، فَهِيَ الْحِجَارَةُ
 يُؤْلَمُهَا الْحَدِيدُ، وَإِنْ هِيَ أَصَابَتْ شَيْئًا آلَمَتْهُ، وَلَيْسَ مِنْهَا نَفْعٌ غَيْرَ مَا
 يُشِيدُ بِهَا أَوْ يُرَدَّمُ بِهَا، وَإِنَّ مِنْهَا مَا يُصْنَعُ أَحْيَانًا لِيُسْتَعَانَ بِهِ عَلَى الْبِنَاءِ

وغيره، ومن ذلك التُّورَةُ، وَالْجِصُّ، وَالْإِسْفِيدَا حُ^(١) وَمَا شَاكَلَهُ، وَهِيَ
 بِمَعْنَى الشَّخْصِ الَّذِي مِنْ جَوْهَرِهَا، وَالْحَدِيدُ يُلَائِمُ الْحِجَارَةَ، وَهُوَ
 مُتْلِفُهَا وَالنَّارُ تُتْلِفُهَا. قَالَ تَعَالَى: ﴿فِي كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾^(٢)

فَأَوْجَدَ أَنَّ فَوْقَ الْحِجَارَةِ مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْهَا قَسْوَةً، وَذَلِكَ هُوَ الْحَدِيدُ
 الَّذِي يَأْتِي عَلَى الْحِجَارَةِ، وَالْحَجَرُ نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الْحَدِيدِ، مُكَوَّنٌ مِنْ
 جَوْهَرِهِ، فَهَذَا بَيَانُ شَرْحِ مَا خَتَمَ بِهِ حِينَ قَالَ: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ
 حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾^(٣)

وَقَدْ فَسَّرْتُ لَكَ فِي الشَّرْحِ، أَنَّ هَذِهِ الظُّلُمَاتِ أَشْخَاصٌ فِي
 الْبَشَرِيَّةِ قَبْلَ نُزُولِهَا إِلَى الرُّسُوخِيَّةِ، وَتَلَفَ كُلٌّ مِنْ قَبْلِ مِنْهَا وَأَصْغَى
 إِلَيْهَا فَالذَّهَبُ هُوَ الثَّانِي، الضُّدُّ الْمَلْعُونُ وَالشَّيْطَانُ الرَّجِيمُ، وَأَصْلُ
 الطُّغْيَانِ وَالْكُفْرِ^(٤) وَالْفِضَّةُ تَبَعُهُ^(٥) لِأَنَّ الْأَوَّلَ كَانَ تَبَعًا لِلثَّانِي
 وَمُطِيعًا لَهُ لِأَنَّهُ بَابُهُ، وَالثَّالِثُ تَبَعًا لِلأَوَّلِ وَالثَّانِي، وَهُوَ أَظْلَمُ مِنْهُمَا فِي

^١ رماد الرصاص
^٢ البقرة. الآية ٧٤
^٣ الاسراء. الآية ٥١
^٤ في نسخة أخرى: فَالذَّهَبُ، هُوَ أَصْلُ الطُّغْيَانِ وَالْكُفْرِ.
^٥ في نسخة أخرى: يَتَّبِعُهُ.

كُونِهِ وَكَدَرِهِ وَبَنُو أُمِّيَّةَ أَتْبَاعُ الثَّالِثِ، لِأَنَّهُمْ مِنْ جِنْسِهِ وَقَوْمِهِ، وَبَنُو
 الْعَبَّاسِ، هُمْ أَشْخَاصُ الرَّصَاصِ، وَهُمْ أَلْعَنُ الْجَمِيعِ، وَالنُّحَاسُ، هُوَ
 أَشْخَاصُ التَّابِعِينَ لِبَنِي أُمِّيَّةَ وَبَنِي الْعَبَّاسِ، مَالِكٌ، وَأَبُو الْهَذِيلِ
 الْعَلَّافُ^(١) وَالشَّافِعِيُّ، وَأَبُو حَنِيفَةَ، وَمَنْ كَانَ أَمْثَالَهُمْ، لِأَنَّ الذَّهَبَ
 بِشَخْصٍ سَكَدَ لَعَنَهُ اللَّهُ، وَهُوَ الضُّدُّ الْمَلْعُونُ، الشَّيْطَانُ الرَّجِيمُ، إِبْلِيسُ
 الْأَبَالِسَةِ، وَالْفِضَّةُ، بِشَخْصٍ بَابِهِ زَارَمُدٌ، لِقَوْلِهِ: إِنَّ لِي شَيْطَانًا يَغْتَرِينِي.
 وَهُوَ سَكَدٌ.

وَالْحَدِيدُ بِشَخْصٍ سَجْكَوْقُ^(٢)، وَهُوَ أَظْلَمُ الظُّلُمَاتِ الثَّلَاثِ، وَهُوَ
 الَّذِي آزَرَ الثَّانِي، وَعَاضَدَهُ، وَبَايَعَهُ، وَتَابَعَهُ، وَكَتَبَ لَهُ الصَّحِيفَةَ أَنْ لَا
 تُطِيعُوا مُحَمَّدًا وَآلَ بَيْتِهِ، وَهُوَ الَّذِي غَلَبَ وَتَغَلَّبَ عَلَى الْخِلَافَةِ، "وَعَيَّرَ
 الْمَصَاحِفَ وَأَحْرَقَهَا، وَنَفَى أَبَا ذَرٍّ الْغِفَارِيَّ، وَأَوَى مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ
 إِلَى الْمَدِينَةِ، وَكَانَ الرَّسُولُ عَزَّ عِزُّهُ قَدْ نَفَاهُ"^(٣)، وَبَنُو أُمِّيَّةَ أَتْبَاعُهُ فِي
 ذَلِكَ، "فَلَقَدْ كَذَبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، ثُمَّ إِنَّهُ مَنَعَ عَطَاءَ الْمُؤْمِنِينَ

^١ في نسخة أخرى: أبي الهذيل العلاف. هو محمد بن عبد الله بن مكحول العبدي، المتكلم، شيخ البصريين.

^٢ وهو عثمان بن عفان.

^٣ في نسخة أخرى: وغسل المصاحف، ونفى أبو ذر وأوى مروان بن الحكم إلى المدينة وكان نفاه الرسول عز عزه.



وَالْمُسْلِمِينَ، وَجَعَلَ يُسْرِفُ فِي عَطَائِهِ بَنِي أُمَيَّةَ وَالْحَدَمَ وَغَيْرَ ذَلِكَ
 فَكَانَتْ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ خُسْرًا، فَقَدْ خَسِرَ عَمَلَهُ، وَنَالَ حَتْفَهُ^(١) ١٩٥
 وَالرَّصَاصُ، أَشْخَاصُ بَنِي الْعَبَّاسِ، وَالْمُتَلَبِّسِينَ بِالْخِلَافَةِ الْمُتَسَمِّينَ
 بِأَمْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ.

وَالنُّحَاسُ، هُوَ أَشْخَاصُ الْفُقَهَاءِ الَّذِينَ نَصَبُوا أَنْفُسَهُمْ لِإِضْلَالِ
 مَنْ اتَّبَعَهُمْ، وَصَدُّوا الْعَالَمَ عَنْ أَهْلِ الْبَيْتِ، وَأُورِدُوا مِنَ الْأَكَاذِيبِ مَا
 رَغِبَ النَّاسُ بِرَازِمَدَ، وَسَكَدَ، وَسَجَّكَوْقَ، وَبَنِي أُمَيَّةَ، وَبَنِي الْعَبَّاسِ.

أَمَّا الْحِجَارَةُ وَجَمِيعُ أَنْوَاعِ الرُّسُوحِ، فَهُمْ أَتْبَاعُ لَهُمْ فِي الْمَنْزِلَةِ،
 وَهِيَ عَلَى مَا وَصَفْتُ لَكَ، شَيْخٌ مَلْعُونٌ رَجِيمٌ هُوَ السَّامِرِيُّ لَعَنَهُ اللَّهُ،
 وَإِنَّمَا حَلَّ هَؤُلَاءِ وَتَسَمَّوْا بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فِي مَقَامَاتٍ قَامُوا فِيهَا
 وَادَّعَوْا الْمَعْنَوِيَّةَ، وَتَسَمَّوْا بِالْإِسْمِيَّةِ، فَلِذَلِكَ رَسَخُوا فِي هَذِهِ الظُّلُمَاتِ.

^١ هذه العبارة غير موجودة في النسخ.

[وَفِي الظُّلْمَةِ شَرْحٌ مَا يَكْبُرُ عَلَى الْعَالَمِ، وَيَعْجِزُونَ عَنْ بُلُوغِ نَعْتِهِ وَوَصْفِهِ وَذَلِكَ^(١)، أَنَّ الظُّلْمَةَ مَقْرُونَةٌ بِسَائِرِ الْأَشْيَاءِ، لِأَنَّ الظَّاهِرَ كُلَّهُ مِنَ الظُّلْمَةِ، وَمُمَارِجُ الْبَاطِنِ فَلَوْ ذَهَبَ الْعَالَمُ إِلَى مَعْرِفَةِ أَحَدِهِمَا لَمَا عُرِفَ إِلَّا بِضَدِّهِ الَّذِي هُوَ خِلَافُهُ، وَلَوْلَا الظَّاهِرُ مَا عُرِفَ الْبَاطِنُ وَكَذَلِكَ لَوْلَا الْبَاطِنُ مَا عُرِفَ الظَّاهِرُ، فَأَقِرَّ^(٢) بِمَا حَدَّثْتُكَ إِيَّاهُ فَإِذَا عَرَفْتَهُ غَنِيَتْ بِهِ عَنْ شُرُوحٍ كَثِيرَةٍ، وَلَوْلَا الظَّاهِرُ الَّذِي هُوَ الظُّلْمَةُ مَا عُرِفَ الْبَاطِنُ الَّذِي هُوَ التُّورُ وَالْقُدْرَةُ، فَلَمَّا ظَهَرَتِ الْقُدْرَةُ بِالْأَشْخَاصِ وَالْهَيَاكِلِ الطِّينِيَّةِ، أَقَامَتْ مَعَ الضِّدِّ الظُّلْمِيِّ فِي مَقَامَاتٍ، فَنَاسَبَهَا^(٣) وَأَوْرَتْ أَنَّهُ مُسَاوٍ لَهَا وَأَنَّهُ يَقُومُ مَقَامَهَا^(٤) وَأَوْرَى الْقَادِرُ أَنَّهُ يَطْلُبُ النَّصْرَ مِنَ اللَّهِ عَلَى الْعَالَمِ الْمَنْكُوسِ، وَعَلَى الضِّدِّ الَّذِي أَظْهَرَ الظُّلْمَ كَمَا أَوْرَى أَنَّهُ تَحْتَ الضَّعْفِ، حَتَّى إِذَا أَكْمَلَ فِيهِمْ مَعْرِفَةَ الظُّلْمَةِ وَحَقَّقَهَا وَمَكَّنَهَا، وَبَسَطَهَا، وَأَنْفَذَهَا عِنْدَ الْعَالَمِ، أَتَى بِالْقُدْرَةِ، وَهِيَ الْبَاطِنُ عَلَى الظَّاهِرِ، فَأَهْلَكَتُهُ، وَهُوَ عِنْدَهُمْ ظُهُورُ الْبَغْيِ مِنَ الظُّلْمَةِ

^١ ما بين معكوفين لا توجد في نسخ بل بدلاً من العبارة: [واعلم] أن الظلمة مقرونة.

^٢ في نسخة أخرى: فاقراً.

^٣ في نسخة أخرى: فناسبها. وفي نسخة: فناصرها.

^٤ في نسخة أخرى: ورأت أنها مساوية له، وإنها تقوم مقامه.



الَّتِي هِيَ الضُّدُّ فَلَمَّا غَلَبَتِ الْقُدْرَةُ الضُّدَّ وَدَحَضَتْهُ، كَانَ كَأَن لَمْ يَكُنْ
 شَيْئًا، وَدَلِيلُ ذَلِكَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾^(١) ١٩٧
 فَالْحَقُّ الْقُدْرَةُ وَالْبَاطِلُ الضُّدُّ، وَمِثْلُ ذَلِكَ، ظُهُورُ فِرْعَوْنَ، وَهَامَانَ
 وَقَارُونَ، وَالنُّمْرُودَ وَعَادٍ، وَثَمُودَ، وَكُلِّ مَا كَانَ مِنْ ظُهُورَاتِ الضُّدِّ قَبْلَ
 ذَلِكَ أَوْ بَعْدَهُ، مِمَّنْ ادَّعَى الرُّبُوبِيَّةَ فِي أَوْقَاتِهِ، فَأَجَابُوهُ وَاتَّخَذُوهُ إِلَهًا
 وَكَانَتِ الْقُدْرَةُ الْبَاطِنَةُ قَائِمَةً بِذَاتِهَا فِي الدَّعْوَةِ، فَأُورَتْ^(٢) فِي كُلِّ مَقَامٍ
 ضَعْفًا، مِثْلَ الْغَرَقِ فِي الْبَحْرِ، وَالْإِحْرَاقِ فِي النَّارِ، وَمِثْلَ الْحَبْسِ، وَالْقَتْلِ
 وَالصَّلْبِ، وَمَا يَجْرِي مَجْرَى ذَلِكَ، فَكَانَ لِذَلِكَ كُلِّهِ ظَاهِرٌ وَبَاطِنٌ، يُمَيِّزُ
 الظَّاهِرَ مِنَ الْبَاطِنِ وَالْبَاطِنَ مِنَ الظَّاهِرِ.

وَقَدْ أَبَانَ اخْتِيَارُ الْعَالَمِ لِلْبَاطِنِ وَجَوْهَرِهِ وَوُجُودِهِ، الْفَرْقَ بَيْنَهُ
 وَبَيْنَ الظَّاهِرِ، حَيْثُ أَتَى بِمَا لَمْ يَأْتِ بِهِ الظَّاهِرُ وَهُوَ الضُّدُّ، مِنْ تَغْرِيقِ
 فِرْعَوْنَ، وَأَخْذِ النُّمْرُودِ بِالْبَلِيَّةِ، وَإِهْلَاكِ عَادٍ وَثَمُودَ وَغَيْرِهِمَا بِالصَّيْحَةِ
 وَالرَّيْحِ وَالْحَسْفِ، وَالتَّنْكِيلِ، وَكَانَ ذَلِكَ جَزَاءً عَنِ الْأَفْعَالِ الَّتِي أَجْرَاهَا

^١ الانفال . الآية ٨
^٢ في نسخة أخرى: فأرى.

الضُّدُّ بِالْوَلِيِّ فِي الْمَقَامِ، وَإِنْ كَانَ الْفِعْلُ الْأَوَّلُ وَقَعًا بِالضُّدِّ، فَإِنَّمَا^(١)
 وَقَعَ الْجَزَاءُ عَلَيْهِ لِإِظْهَارِهِ أَنَّهُ هُوَ أَوْقَعَ ذَلِكَ بِالْقُدْرَةِ، فَكَانَ ذَلِكَ
 جَزَاؤُهُ

الظُّلْمَةُ مُقَارَنَةٌ مُقَاوِمَةٌ لِلنُّورِ:

وَأَعْلَمَ يَا مُفَضَّلُ، أَنَّ الظُّلْمَةَ مُقَارَنَةٌ مُقَاوِمَةٌ لِلنُّورِ، فَمِنْ ذَلِكَ
 اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَإِقَامَةُ الْمَوْلَى فِيهِمَا يَجْرِي مَعَ الظُّهُورِ، بِلَا زَوَالٍ وَلَا
 زِيَادَةٍ فِيهِ، وَلَا نُقْصَانٍ مِنْهُ، بَلْ هُوَ دَائِمٌ بِدَوَامِ الْمُلْكِ، لِأَنَّ الظَّاهِرَ
 وَالْبَاطِنَ قِسْمَانِ عَلَى الدَّهْرِ كُلِّهِ، ظُلْمَةٌ وَنُورٌ، وَلَيْلٌ وَنَهَارٌ، يَتَزَايَدُ النَّهَارُ
 فِي بَعْضِ السَّنَةِ، فَيَنْقُصُ اللَّيْلُ، وَيَتَزَايَدُ اللَّيْلُ فِي وَقْتٍ آخَرَ مِنَ السَّنَةِ
 فَيَنْقُصُ النَّهَارُ، وَكَذَلِكَ تَظْهَرُ الْقُدْرَةُ وَالِدَّعْوَةُ فِي زَمَانٍ طَوِيلٍ، وَيَخْمُدُ
 الْبَاطِلُ فِي زَمَانٍ آخَرَ، وَتَخْفَى دَعْوَةُ الْحَقِّ كَمَا كَانَ ذَلِكَ فِي زَمَنِ نُوحٍ
 عَزَّ عِزُّهُ أَقَامَ نُوحٌ وَهُوَ الْإِسْمُ، ثُمَّ ظَهَرَ الْمَعْنَى بِمِثْلِ صُورَتِهِ عَلَى مَا رَأَى
 الْعَامَّةُ تِسْعَ مِائَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً، وَفِي زَمَنِ غَيْرِهِ أَقَلٌّ مِنْ ذَلِكَ، إِلَى

^١ في نسخة أخرى: وإنما.

الْوَقْتُ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ. وَهَكَذَا كَانَ فِي آخِرِ هَذِهِ الْقُبَّةِ، فَقَدْ أَخْفَى
 مَوْلَاكَ شَخْصَهُ عَنِ الْمُنْكَرِينَ، وَمَنِ اسْتَحَقَّ مِنَ الْمُقَرَّرِينَ، وَذَلِكَ بِمَا
 سَلَفَ لَهُمْ مِنَ الذُّنُوبِ، فَظَهَرَتْ دَعْوَةُ الْبَاطِلِ حِينَ طَوِيلًا، مِثْلَمَا
 كَانَتْ دَعْوَةُ الْحَقِّ ظَاهِرَةً فِي الْأَوَّلِ، فِي عَهْدِ آدَمَ تِسْعَ مِائَةٍ وَثَلَاثِينَ
 سَنَةً، وَهَكَذَا، لَمْ تَزَلْ تَظْهَرُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَدَعْوَةُ الْبَاطِلِ، إِلَى ظُهُورِ
 الْكَشْفِ، حَيْثُ يَتَسَاوَى ظُهُورُ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، حَتَّى أَنَّهُ لَوْ ذَهَبَ الْعَالَمُ
 إِلَى أَنْ يَجِدُوا زِيَادَةً بِأَحَدِهِمَا عَلَى الْآخَرِ أَوْ نُقْصَانًا عَنْهُ، مَا وَجَدُوا
 ذَلِكَ، وَوَجَدُوهُمَا شَيْئًا وَاحِدًا.

وَكَذَلِكَ الظُّهُورُ وَالْغَيْبَةُ، يَرُدُّ اللَّيْلُ مَا أَخَذَهُ مِنَ النَّهَارِ، ثُمَّ يَرُدُّ
 النَّهَارُ مَا أَخَذَهُ مِنَ اللَّيْلِ. كَذَلِكَ يَرُدُّ الظَّاهِرُ عَلَى الْبَاطِنِ مَا أَخَذَهُ مِنْهُ
 ثُمَّ يَرُدُّ الْبَاطِنُ عَلَى الظَّاهِرِ مَا أَخَذَهُ مِنْهُ، حَتَّى تَصِيرَ الْغَيْبَةُ وَالظُّهُورُ
 شَيْئًا وَاحِدًا، يَتَسَاوِيَانِ وَيَعْتَدِلَانِ، فَيَصِيرُ فِي أَهْلِ الْخِلَافِ أَغْلَالٌ
 وَأَصَارٌ، بِزِيَادَتِهِ وَنُقْصَانِهِ، وَحَرِّهِ وَبَرْدِهِ، فَيَصُومُونَ فِي أَطْوَلِ النَّهَارِ
 وَأَصْعَبِ يَوْمٍ مِنَ السَّنَةِ، وَيُصَلُّونَ وَيُجَاهِدُونَ، فَيَمُرُّ عَلَى الصَّائِمِ مِنْ

طُولِ النَّهَارِ وَشِدَّةِ حَرِّهِ وَسُمْومِهِ، شِدَّةٌ عَظِيمَةٌ، وَكَذَلِكَ فِي زَمَانٍ آخَرَ
 عِنْدَمَا يُدْرِكُهُمُ الصَّيَامُ فِي أَقْصَرِ يَوْمٍ مِنَ السَّنَةِ، فَيُلْحَقُهُمْ مِنْ شِدَّةِ
 الْبَرْدِ فِي الْوُضُوءِ حَالٌ عَظِيمٌ، وَهَكَذَا يُلْحَقُهُمْ فِي الْجِهَادِ مِنَ الصُّعُوبَةِ
 حَالٌ شَدِيدٌ مِثْلُ ذَلِكَ فِي الْحَجِّ، مَرَّةً فِي شِدَّةِ الْحَرِّ، وَمَرَّةً فِي شِدَّةِ الْبَرْدِ
 فَيَنَالُهُمْ مِنْ ذَلِكَ عَذَابٌ عَظِيمٌ.

وَهَذَا يَا مُفَضَّلُ، صِرَاطُ رَبِّكَ وَعَدْلُهُ فِي ذَاتِهِ، وَظُهُورُهُ فِي الظَّاهِرِ
 وَالْبَاطِنِ، وَهُمَا التُّورُ وَالظُّلُمَةُ، فَإِذَا بَانَ لَكَ هَذَا وَانْكَشَفَ، وَجَدْتَهُ
 فَيَخْلِقُهُ خَاصَّهُمْ وَعَامَّهُمْ، وَقَدْ حَدَّثْتُكَ إِيَّاهُ يَا مُفَضَّلُ، مِنْ ظُهُورِهِ فِي
 مَقَامِ آدَمَ، وَنُوحَ، وَإِبْرَاهِيمَ، وَمُوسَى، وَعِيسَى، وَمُحَمَّدٍ، ثُمَّ فِي مَقَامِ
 الْإِمَامَةِ، إِلَى حَيْثُ أَنْتَ تُعَايِنُهُ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ، حَيْثُ تَكُونُ غَيْبَةً
 الْبَلَاغِ، فَيُقِيمُ الظَّاهِرُ إِلَى الْكَشْفِ، وَيَكُونُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ مَا كَانَ
 جَارِيًا فِي مُلْكِ مَوْلَاكَ، لَا نَفَادَ لَهُ، وَلَا انْقِضَاءَ، وَلَا زَوَالَ.

فَلَا يَغْرَنَّكَ يَا مُفَضَّلُ، مَنْ نَعَثُوهُ لَكَ، فَهُمْ كَمَا قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ:
 ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ



عَلِمَ ^(١) ذَلِكَ أَنَّهُمْ ضَلُّوا وَلَمْ يُرْضِهِمْ ذَلِكَ، حَتَّى أَضَلُّوا الْعَالَمَ الْحَبِيثَ
 بِضَلَالِهِمْ، وَقَدْ قَالَ جَلَّ جَلَالُهُ مُخْبِرًا عَنْ قَوْلِهِمْ: **﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا**
رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ﴾ ^(٢) فَمِنَ الْجِنَّ: الثَّانِي سَكَدَ
 لِأَنَّهُ الْجَانِي الْمَعْصِيَّةَ وَالْفَاعِلُ لَهَا، وَمِنَ الْإِنْسِ: الْأَوَّلُ وَهُمَا شَخْصًا ^(٣)
 الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ.

ثُمَّ أَخْبَرَ عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ: **﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا**
فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾ ^(٤) وَالسَّادَةُ وَالْكُبَرَاءُ، إِشَارَةً إِلَى الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ،
 وَهُمْ أَصْلُ كُلِّ ضَلَالَةٍ وَطُغْيَانٍ، وَهُمْ الْأَوَّلُ وَالثَّانِي.

وَقَدْ بَيَّنَّيْهَا لَكَ يَا مُفَضَّلُ، فَأَعْرِفْ نِعْمَةَ رَبِّكَ عَلَى هَذِهِ الشُّرُوحِ
 فَقَدْ أَجَبْتُكَ عَنْ كُلِّ سُؤَالٍ أَرَدْتَ أَنْ تَسْأَلَ عَنْهُ، وَهُوَ صِرَاطُ رَبِّكَ
 فَتَمَسَّكَ بِهِ، وَهُوَ يُغْنِيكَ عَنْ سُؤَالِ الْغَيْرِ، وَقَدْ أَوْسَعْتُ عَلَيْكَ الْجَوَابَ
 فَادَّخِرْهُ، لِيَكُونَ لَكَ صِرَاطًا تَمْشِي عَلَيْهِ، وَنُورًا تَسْتَضِيءُ بِهِ، وَتُهْدِيهِ

^١ النحل . الآية ٢٥
^٢ فصلت . الآية ٢٩
^٣ في نسخة أخرى: أشخاص .
^٤ الأحزاب . الآية ٦٧

إِلَى الْعَارِفِينَ، وَتُلْقِيهِ إِلَيْهِمْ، وَتَأْمُرُهُمْ بِكِتْمَانِهِ، وَالْعَمَلِ بِهِ، وَالصَّبْرِ عَلَيْهِ، وَالْإِجْتِهَادَ وَالزِّيَادَةَ مِنْهُ، وَالْخُرُوجَ عَنِ الْمَكْرُوهَاتِ، وَقَبُولِ الْحَقِيقَةِ، فَطُوبَى لِمَنْ أَخَذَ مِنْهُ مَا لَهُ، وَتَرَكَ مَا عَلَيْهِ، وَقَامَ بِوَاجِبِهِ فَكُنْ لِمَوْلَاكَ مِنَ الشَّاكِرِينَ، وَعَلَى أَنْعَامِهِ مِنَ الْحَامِدِينَ، وَعَلَى مَعْرِفَتِهِ مِنَ الثَّابِتِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى حِجَابِهِ الْأَعْظَمِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا.

تم متن الكتاب

تحقيق الكتاب

٢٠٣

لم يكن هناك اختلاف كثير بين نُسخ الكتاب إلا في بعض الكلمات التي لا تُغَيِّرُ جوهر المعنى، لذلك وضعنا هذه الاختلافات في الهوامش مع إهمال الأخطاء الواضحة في بعض النُسخ اعتمادًا على النُسخ الأكثر موثوقية وعلى سياق الكلام ولَحْن الروايات المعرفية الباطنية الأخرى.

فيما يخص هذه النسخة، فقد اعتمدنا في التحقيق على عدة نُسخ منها نسخة كتبها الشيخ يوسف النجار عن نسخة حققها الأستاذ كمال نور الدين زوباوي عن نسخة صححها الشيخ عبد اللطيف إبراهيم إلى الشيخ ناصر حكيم.

كذلك اعتمدنا كثيرًا على نسخة دقيقة مفيدة حققها ودققها الدكتور أكرم إبراهيم شحيدة. عُرِضَت النسخة على المحقق سميع حسن وأحمد بشير، وقد علّقوا عليها بأنها النسخة الأدق.

وتمت مقابلة هذه النسخة على:

أولاً: النسخ التي دققها وقارنها الباحث د. أكرم شحيدة:

* نسخة إلكترونية...

كُتِبَ في نهاية النسخة: "تم نقل هذه النسخة عن نسخة مطبوعة على الآلة الكاتبة، عن نسخة مكتوبة عن خط العلامة الشيخ عبد اللطيف إبراهيم، مصححة من قبله لسيادة ولي الله الطاهر الشيخ صالح ناصر الحكيم عفا الله عنهما وعن المؤمنين مؤرخة بتاريخ ١٩٨٣/٤/٨ م."

* نسخة مطبوعة على الكمبيوتر...

لم يُذكر اسم الكاتب ولكن من الواضح أنها منقولة أيضاً عن طريق نسخة أخرى منقولة عن الشيخ عبد اللطيف إبراهيم.

* نسخة بخط يوسف بن غريب حفيد الشيخ عبد الله الدالة...

٢٠٥

كُتِبَ فِي نَهَايَتِهَا: "وهو بخط العبد الفقير الحقير المقر بالذنب
والتقصير عبد المؤمنين وخادم الموحدين العبد الطائع الله الفقير الله
يوسف بن غريب بن الشيخ جابر بن الشيخ عبد الله الدالة بن الشيخ
محمد بن غريب بن الشيخ يونس بن الشيخ علي بصرمون بن الشيخ
جعفر نسيًا إلى الشيخ غريب حريصون إلى الشيخ ميهوب العليقة
ابن حسان بن ندى بن محمد ابن عبد الله الناسخ البغدادي من آل
برمك ما كتبنا إلا ما وجدنا وما كنا للغيب حافظين..... وتم النسخ
بقرية القليعة من نواحي صافيتا ١٢٠٧ هـ. وهذه النسخة موجودة مع
كتاب الأسوس في المكتبة الوطنية في باريس بعدد رقم ١٤٤٩ عربي
حيث أن كتاب الصراط ورد بآخر مجموعة والمجموعة تحتوي: كتاب
الأسوس - منظومة للكاتب يوسف - قصيدة لعلي بن صارم - كتاب
الصراط.

* نسخة مطبوعة في ليبيا صادرة عن مركز المدار الإسلامي في عام

٢٠٦

٢٠٠٥.

تحقيق الدكتور المنصف بن عبد الجليل حيث اعتمد في تحقيقه على
نسخة في المتحف الوطني في باريس... وقد اعتمد على هذه المخطوطة
فقط ووقع في بعض الأخطاء كونه من غير المنبع الخصبي وإن كان
تحقيقًا أكاديميًا.

ولم يعتمد المحقق..... هذه النسخة كونه قد اعتمد على مخطوطة
واحدة وأيضًا لكون تحقيقًا ينفع للعامة والاطلاع فقط.

ثانيًا: النسخ التي قارنها الشيخ سميع حسن:

* نسخة بخط الشيخ خليل عيد الصالح

قد فرغ من نسخها في ١٦ صفر ١٣٧٩هـ عن خط داؤود بدر الذي ذكر
أنه نسخ عن خط الشيخ محمود ديب الحارة عن خط الشيخ الدرويش

محمد وذكر أنه نقل عن خط سليمان الخطيب (٣٧٩). عن خط
محمود حسين بعمره عن خط عمران حمد.

* نسخة بخط شعبان علي شعبان عام ١٣٨٨ هجري.

وذكر المحقق أنه تجاهل أكثر هذه النسخة لكثرة الأخطاء.

* نسخة بخط حسين محمد بدر ١٩٩١م.

* نسخة بخط ثابت خليل عن نسخة بخط الشيخ عبد اللطيف

إبراهيم

١٤١٦ هجري.

* نسخة بخط تراب أحمد مكنّا.

* نسخة مكتوب أنها بخط أفقر عباده المؤمنين عن نسخة مكتوبة

بخط الشيخ عبد اللطيف إبراهيم ١٩٨٣م.

كذلك فيما يخص النسخ المتوفرة من كتاب "الصراط"، فقد ذكر
الباحث ماهر أحمد خميس في بحثه المنشور حول المفضل بن عمر
ومؤلفاته ما يلي:

ومن الذين ذكروا الكتاب (الصراط):

* ذكره ماسينيون منسوباً إلى المفضل بن عمر عن العالم، وهو
مخطوط في المكتبة الوطنية بباريس برقم ١٤٤٩ عربي من ٨٦ أ حتى
١٨٢/١. والناسخ هو يوسف بن الشيخ غريب بن الشيخ جابر، وتم
النسخ بقرية القليعة من نواحي صافيتا بسوريا سنة ١٢٠٦هـ (٣).

* ذكره ضيائي في فهرسه منسوباً للمفضل بن عمر وذكر أنه رأى
نسخة من الكتاب في ٤٨ ورقة وبخط شعبان بن فاضل كتبت عام
١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م في جبلة - سوريا وعليها شرح لأحد الشيوخ عن
نسخة الشيخ عبد اللطيف إبراهيم وذكر في بدايته: "رواه الشيخ أبو
الحسين محمد بن علي الهذري عن الشيخ الثقة أبي الحسين محمد بن

علي الجلي عن سيدنا أبي عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي... عن
يونس بن ظبيان عن المفضل بن عمر **عليه السلام** أنه قال: سألت
مولاي جعفر الصادق الوعد **منه السلام** وقد حضر عنده جماعة من
أهل التوحيد والإقرار يسألونه عن معرفة الصراط وشرح باطنه وبيان
نعتة..."

* ذكره بروكلمان أنه من رواية أبي الحسن الخدري، وأشار إلى
مخطوطة باريس رقم ١٤٤٩ عربي وهو كما قال بروكلمان إذ إن سند
الكتاب يبدأ من أبي الحسن الهذري [بخلاف تحقيق المنصف عبد
الجليل عن ذات المخطوطة حيث ذكر الخدري ولعله خطأ في نقل
المؤلف أو الترجمة عن... عن المفضل بن عمر....

* وذكره سيزكين ضمن مؤلفات الإمام جعفر الصادق ثم ضمن
مؤلفات المفضل بن عمر ويشير إلى مخطوطة باريس ذاتها.

من هو المفضل بن عمر الجعفي؟

٢١٠

هو أبو محمد المفضل بن عمر الجعفي، وُلد في الكوفة نهاية القرن الأول الهجري (بزمن مولانا الباقر) وقد أدرك زمن الباقر والصادق والكاظم والرضا جل علاهم الأعلى، ولكنه لم يروي عن الباقر بسبب صغر سنه، التحق بمولانا الصادق جل علاه وكان من أجلاء أصحابه وخواصهم وروى عنه الكثير وأعلن بآية مولانا الصادق بعد غيبة السيد أبي الخطاب علينا سلامه، ثم أنتقل إلى مولانا الكاظم جل علاه وحدث عنه، ثم أنتقل إلى الرضا جل علاه فحدث عنه وروى، أنفرد المفضل بن عمر في رواياته عن معرفة الله وأهميتها وغيرها من المعارف الإلهية.

له عدة مؤلفات:

٢١١

وهي ضمن ما أخبر به مولانا جعفر الصادق **عز عزه** للمفضل **منه السلام** وإليه التسليم: أكتب وبث علمك في إخوانك، فإن مت فأورث كتبك بنيك، فإنه يأتي الناس زمان هرج لا يأنسون فيه إلا بكتبهم^١.

ومنها:

- كتاب الفكر المسمى بكتاب التوحيد هو أملاء مولانا جعفر الصادق **عز عزه** برواية المفضل بن عمر، الذي دحض بها أقاويل المشركين والملحدين في معرفة الخلق والاعتبار.
- كتاب الإهليلجة هو رسالة كتبها باب الله الأعظم المفضل بن عمر **منه السلام** وإليه التسليم للمولى الصادق **عز عزه** يُعلمه أن أقوامًا ظهوروا من أهل الملة يحدون الربوبية، ويجادلون على ذلك،

^١ المصدر: الكافي للكليني

ويسأله أن يرد عليهم قولهم، ويحتج عليهم فيما ادعوا بحسب ما احتج به على غيرهم.

• وصية المفضل بن عمر **منه السلام** وإليه التسليم لجماعة من الشيعة، تتضمن هذه الوصية بتقوى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والالتزام بالعبادات والتفقه بالدين والتحلي بمكارم الأخلاق وولاية آل محمد وبث العلم.

• كتاب الهفت الشريف هو أملاء مولانا جعفر الصادق **عز عزه** برواية المفضل بن عمر الجعفي **منه السلام** وإليه التسليم، يتضمن هذا الكتاب على مفاهيم عدة، مثل بداية الخلق والعلة في ذلك والعوالم والأكوار والأدوار وتشبيهه في قتل مولانا الحسين **عز عزه** جل ربي عن القتل والتنكيل وغيرها من مواضيع.

• الرسالة المفضلية (الصورة الأنزعية) هو أملاء مولانا الصادق **عز عزه** برواية المفضل بن عمر، عمر الله به قلوب المؤمنين، وهو يتضمن

على ظهور الباري **جل وعلا** وتنزيهه عن الصورة، وتفسير سورة النور بالمفهوم الباطني، وبداية خلق الحروف وعلة جعل حرف الألف في المقدمة بعد ما كان في الخاتمة.

أقوال الموالى **جل** علاهم في شأنه علينا سلامه

المولى الصادق عز عزه:

قال عبد الله بن الفضل الهاشمي: كنت عند الصادق جعفر بن محمد **عز عزه** إذ دخل المفضل بن عمر، فلمّا بصر به ضحك إليه، ثمّ قال: إليّ يا مفضل، فوريّني إنّني لأُحبّك وأُحبّ من يحبّك، يا مفضل لو عرف جميع أصحابي ما تعرف ما اختلف اثنان^(١).

عن هشام بن أحمر قال: دخلت على أبي عبد الله **عز عزه** وأنا أريد أن أسأله عن المفضل بن عمر، وهو في ضيعة له في يوم شديد الحر والعرق يسيل على صدره، فابتدأني فقال: نعم والله الذي لا إله إلا

^١ المصدر: رجال الكشي

هُوَ، المفضل بن عمر الجعفي، حتى أحصيت نيفًا وثلاثين مرة يقولها ويكررها قال: إنما هو والد بعد والد^(١).

عن داود بن كثير الرقي قال مولانا الصادق **عز عزه**: المفضل بن عمر الولد بعد الوالد، هو عيبة علمي وحجتي وبابي، وموضع سري وجهري، وكذلك ابنه^(٢).

عن مولانا الكاظم قال مولانا الصادق **عز عزه**ما للمفضل بن عمر **منه السلام**: يا فضل الله ورحمته^(٣).

عن أبي خديجة سالم بن مكرم قال مولانا الصادق **عز عزه**: يا مفضل أنت المفضل في الدنيا والآخرة، وقال: مفضل كأسمه^(٤).

عن محمد بن سنان قال مولانا الصادق **عز عزه** وقد دخل عليه المفضل **منه السلام**: يا مفضل أنظر في وجهي ما ترى في وجهك، قال

^١ المصدر: رجال الكشي
^٢ المصدر: هداية الكبرى للخصيبي
^٣ المصدر: هداية الكبرى للخصيبي
^٤ المصدر: الهداية الكبرى للخصيبي

المفضل: فتطلعت في وجه سيدي فإذا على جبهتي ^(١) مكتوب موسى
 فقال: مرحباً بالناطق عني والمُشيد أُمري، بِكَ يَهْتَدِي الهادي وإِليك ^{٢١٥}
 ليسري الساري ^(٢).

المولى الكاظم عز عزه:

عن محمد بن سنان قال مولانا الكاظم عز عزه: يا محمد إن
 المفضل كان أنسي ومستراحي ^(٣)

عن خالد بن نجيح الجوان قال لي أبو الحسن الكاظم عز عزه: ما
 يقولون في المفضل بن عمر؟ قلت: يقولون فيه هبه يهودياً أو نصرانياً
 وهو يقوم بأمر صاحبكم، قال: ويلهم ما أخبت ما أنزلوه، ما عندي
 كذلك ومالي فيهم مثله ^(٤).

^١ وفي نسخة أخرى: جبهته
^٢ المصدر: المعارف للشاب الثقة
^٣ المصدر: عيون أخبار الرضا للصدوق
^٤ المصدر: رجال الكشي

عن يحيى بن عبد الله الحسيني عن مولانا الكاظم وقد سُئل عن
 المفضل بن عمر **منه السلام** فقال: تسألوني عن رجل قد فضله الله
 بما فضل، سلمان، وسفينة، ورشيداً، وأبا خالد الكابلي، ويحيى بن أم
 الطويل الثمالي، وجابر بن يزيد الجعفي، وزاده فضلاً بأن جعل ابنه
 محمداً بابي من بعده^(١).

المولى الرضا عز عزه:

عن محمد بن صدقة قال مولانا الرضا **عز عزه**: المفضل نور في
 الظلمات والمصباح المتوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا
 غربية من استضاء به اهتدى ومن استدبره ضلّ^(٢).

عن محمد بن سنان قال مولانا الرضا **عز عزه**: صدق المفضل
 وهو باب الله في أرضه، والمصباح للمؤمنين في الظلمات، وهو الولد
 بعد الوالد، فقلت: يا سيدي بعد أي والد؟ فقال: بعد أبي الخطاب^(١).

^١ المصدر: الهداية الكبرى للخصيبي
^٢ المصدر: المعارف للشاب الثقة

المولى الجواد عز عزه:

٢١٧

عن يحيى بن حبيب الزيات قال أخبرني من كان عند أبي الحسن
عز عزه جالسا فلما نهضوا قال لهم القوا أبا جعفر فسلموا عليه
 وأحدثوا به عهدا فلما نهض القوم التفت إلي فقال: يرحم الله المفضل
 إنه كان ليقنع بدون هذا^(٢).

عن يونس بن ظبيان: كنا نحدث عند المفضل حتى مضى من
 الليل جزء، فأمسينا عنده، وكانت ليلة ظلماء ما نُبصر أكفنا، فلما
 خرجنا من عنده لاحت كفه فلمعت أصابعه كأنها برق، فلم نزل
 نمشي في ضوئها حتى دخلنا منازلنا^(٣).

وكانت الشيعة مثل يونس بن ظبيان، ومحمد بن سنان، وداود
 الرقي، وأمثالهم يخاطبونه: يا فضل الله ورحمته^(٤)

^١ المصدر: الهداية الكبرى للخصيبي
^٢ المصدر: مرآة العقول في شرح أخبار الرسول للمجلسي
^٣ المصدر: الهداية الكبرى
^٤ المصدر: الهداية الكبرى

عن صالح بن سهل قال سمعت المفضل يقول: أنا سلمان^(١).

٢١٨

عن محمد بن مهران قال مولانا الصادق **عز**ه: المفضل الولد بعد الوالد، وقال: فأنا مسكنه هو عيبة علمي وبابي وحجتي على خلقي وأتباع أمره الدعاة إليه أيتامه الأنوار الهداة^(٢).

عَنْ يُونُسَ بْنِ ظَبْيَانَ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى الْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي عُلوِّ بَيْتٍ عَلَى سَطْحٍ مُشْرِفًا عَلَى صَحْنِ الدَّارِ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا فَضْلَ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ: لَوْ أَنْعَمَ عَلَيَّ بِمُعَايِنَةِ مَا فَضَّلَكَ اللَّهُ بِهِ حَتَّى أَخْرَجَ بِهِ إِلَى الشَّيْعَةِ فَيَزِدَادُونَ إِيمَانًا وَيَقِينًا، فَضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى حَصِيرِ بَجَانِيهِ أَبْيَضَ بِلَا نَقْشٍ وَخَطَّ فَبَسَطَهُ فِي الْهَوَاءِ وَصَعِدَ عَلَيْهِ، وَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مَوْضِعِهِ، فَجَلَسَ وَأَخَذَ الْحَصِيرَ فَدَرَجَهُ وَجَعَلَهُ بَجَانِيهِ^(٣).

^١ المصدر: المعارف للشاب الثقة

^٢ المصدر: المعارف للشاب الثقة

^٣ المصدر: الهداية الكبرى

عن يونس بن ظبيان أنه قال: كُنتُ أنا وأصحابي نجلس عند المُفَضَّل بن عُمر **منه السَّلام** إلى أن يَنْتَصِفَ اللَّيْلُ أو أقل أو أكثر فإذا أردنا الانصراف أضاءت أصابعه لكل واحد منّا إلى أن يَصِلَ إلى منزله، وإن أيتامه شَرَبُوا عنده في بعض اللَّيالي وأرادوا الانصراف فقال لهم عليكم وقت، فلما انتصف اللَّيْلُ وكانت ليلة ظلماء، فشال كَفُّه فأشرقت خمس أصابعه كالشَّمْعِ وكانت طرقهم مختلفة، فلم تَزَلْ أصابعه تُضيء بين أيديهم إلى أن دخل كل واحد منهم إلى منزله^(١).

عن ابن أبي عمير بأسناده أن الشيعة حين أحدث أبو الخطاب ما أحدث: خرجوا إلى أبي عبد الله **عليه السَّلام** فقالوا أقم لنا رجلا نفزع إليه في أمر ديننا وما نحتاج إليه من الأحكام؟ قال: لا تحتاجون إلى ذلك متى ما احتاج أحدكم عرج إلي وسمع مني وينصرف فقالوا: لا بد: فقال: قد أقمتم عليكم المفضل اسمعوا منه وأقبلوا عنه، فإنه لا يقول على الله وعلي إلا الحق، فلم يأت عليه كثير شيء حتى شنعوا

عليه وعلى أصحابه، وقالوا: أصحابه لا يصلون ويشربون النبيذ وهم أصحاب الحمام ويقطعون الطريق، والمفضل يقربهم ويدنيهم^(١).

عن عبد الله بن الفضل الهاشمي قال: كنت عند الصادق جعفر بن محمد **عز عزمهم** إذ دخل المفضل بن عمر، فلما بصر به ضحك إليه، ثم قال: إلي يا مفضل، فوري إني لأحبك وأحب من يحبك، يا مفضل لو عرف جميع أصحابي ما تعرف ما اختلف اثنان، فقال له المفضل: يا ابن رسول الله لقد حسبت أن أكون قد أنزلت فوق منزلتي، فقال **عليه السلام**: بل أنزلت المنزلة التي أنزلك الله بها^(٢).

عن يونس بن ظبيان قال السيد أبي الخطاب **منه السلام**: عليكم بهذا يعني المفضل بن عمر **منه السلام**، فإن فيه خلف الخلف وتأويل ما في المصحف، فاستصحبوا رأيهم وأتمروا لأمره، فقد تضايقت حلق البطان واستدار بأهله الزمان، قال يونس: وأنا مع وصيته أنظر إلى المفضل وهو كالمخاض في شهرها، فقال أبو الخطاب

^١ المصدر: رجال الكشي
^٢ المصدر: رجال الكشي



للمفضل: كُن الليلة، فقد أنادي أنك أنت الملحمة التي يميز الله
فيها أصحابك عند النور والظلمة، ويكرم أقواماً بهوان أقوام لقوله ^{٢٢١}
تعالى (فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين)^(١).

أما عند المقصرة الظاهرية فقد اختلف القول فيه

أقوال رجال المقصرة في قدح المفضل بن عمر:

● النجاشي: فاسد المذهب، مضطرب الرواية، لا يعبأ به، قيل: إنه كان
خطابياً، وقد ذكرت له مصنفات لا يعول عليها.

● ابن الغضائري: ضعيف متهافت، مرتفع القول، خطابي، وقد زيد
عليه شيء كثير، وحمل الغلاة في حديثه حملاً عظيماً، ولا يجوز أن
يكتب حديثه، وروى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام.

• ابن المطهر الحلي: فاسد المذهب، مضطرب الرواية، لا يعبأ به
 ٢٢٢ متهافت، مرتفع القول، خطابي، وقد زيد عليه شئ كثير، وحمل الغلاة
 في حديثه حملا عظيما، ولا يجوز ان يكتب حديثه.

• ابن داود الحلي: ضعيف متهافت، خطابي.

أقوال رجال الشيعة في مدح المفضل بن عمر:

• الطوسي: من قوام الأئمة عليهم السلام من المحمودين الذين مضوا
 على منهاجهم.

• المفيد: من خاصة أبي عبد الله عليه السلام وبطانته، وثقاته
 الفقهاء الصالحين.

• المجلسي: بل يظهر من الأخبار الكثيرة علو قدرهما وجلالتهما.

• ابن شهر آشوب: من خواص أصحاب الصادق عليه السلام



• أبو علي الحائري: ومّا يدلّ على عدم غلوّه بل وجلالته ووثاقته
كونه من وكلاء الكاظم والصادق مدّة مديدة ومن خدامهما كما يظهر
بالتتبع ظهوراً لا يبقى معه ريب، فلو كان غالياً لما رضى بذلك.

٢٢٣

• الخوئي: والنتيجة أن المفضل بن عمر جليل، ثقة، والله العالم.

• محمد التستري: وكتابه المعروف بتوحيد المفضل، الذي عبر عنه
النجاشي بقوله: " كتاب فكر " أقوى شاهد عملي على استقامته، فإنه
يقهر كل ملحد على أن يكون موحدا وبالجملة: الحق كون مدحه
محققا وقدحه غير محقق.

• حسين النوري الطبرسي: وعندنا تبعا لجملة من المحققين، من
أجلاء الرواة، وثقات الأئمة الهداة عليهم السلام.

• محسن الأمين: اختلف أصحابنا في وثاقته وعدمها بل في صحة
عقيدته وعدمها ونسب إلى الغلو بل قيل إنه كان خطابيا فمن زعم



٢٢٤

عدم وثاقته لم يقبل روايته ومن زعم فساد عقيدته بالغلو تبرأ منه
وهذا دأب أصحابنا مع كل غال وهو مما نفاخر به وكيف كان فليس له
اتباع ينسبون إليه على أن الذي رجحه المحققون من أصحابنا وثاقته
وبرأءته من الغلو.

تم الكتاب بحمد مولانا أمير النحل جل ذكره

الصراط



وَهُوَ مِنْ كُتُبِ الْأُصُولِ لِمَوْلَانَا الصَّادِقِ
عَزَّ عِزُّهُ، بِرِوَايَةِ الْمُفَضَّلِ، فِي شَرْحِ مَعْنَى
الصَّراطِ الْحَقِيقِيِّ وَدِقَّتِهِ وَوَصْفِهِ، وَسِيرِ
الْمُؤْمِنِ فِي طَرِيقِهِ الْمَعْرِفِيِّ، وَمُرُورِهِ عَلَى
الْعَقَبَاتِ لِلتَّخَلُّصِ مِنَ الْأَجْسَادِ اللَّحْمِيَّةِ
الدَّمَوِيَّةِ، وَمَفَاهِيمِ الْمَرَاتِبِ وَالدَّرَجِ،
وظُهُورِ الْبَارِي جَلَّ وَعَلَا فِي كُلِّ كَوْرٍ
وَدَوْرٍ، وَكَيْفَ كَانَ ظُهُورُهُ، وَشَرْحِ مَفْهُومِ
الْمَسُوحِيَّةِ وَغَيْرِهَا

